

| ص   | محتويات العدد                                                                                                                |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 2   | شروط النشر.....                                                                                                              |
| 3   | كلمة العدد.....                                                                                                              |
|     | <b>قضايا دولية</b>                                                                                                           |
| 4   | العلاقات التركية الإفريقية ..... يس اقطاي                                                                                    |
| 10  | الحرب على السودان قراءة تحليلية في بواعثها ومآلاتها ..... السفير إبراهيم الكباشي                                             |
| 39  | إستراتيجيات عرجاء لمكافحة الإرهاب ..... أسماء الحسيني                                                                        |
| 44  | السودان: من يستهدفه ولماذا؟ ..... د. عبد الرزاق مقري                                                                         |
|     | <b>بحوث ودراسات</b>                                                                                                          |
| 60  | الابعاد الديموغرافية للحروب على السودان ..... أ.د/ هاشم محمد الأمين<br>د. مزمل الرئيس أحمد                                   |
| 91  | السودان القديم وآثاره: بين الحرب والنزاع ..... د. عبد المنعم أحمد عبد الله بابكر                                             |
|     | <b>قضايا إفريقية</b>                                                                                                         |
| 117 | الكوارث الرئيسية في منطقة شرق إفريقيا..... عبد الوهاب أحمد محمد أحمد                                                         |
| 134 | ميلشيات الدعم السريع ودورها في تنامي الإرهاب في إفريقيا..... فريق / حنفي عبد الله أفندي                                      |
| 150 | دور القوى الإقليمية والدولية في تشكيل المشهد الجيوسياسي..... د. نشوى عبد النبي<br>في البحر الأحمر وتأثيره على القرن الأفريقي |
|     | <b>الاقتصاد الافريقي</b>                                                                                                     |
| 175 | أضواء على منتدى العلاقات الصينية الإفريقية لعام ٢٠٢٤..... معاذ محمد أحمد                                                     |
|     | <b>تعليم</b>                                                                                                                 |
| 184 | جامعات مالي التاريخية: تمبكتو نموذجًا..... د. دريس تراوري                                                                    |
|     | <b>قضايا اجتماعية</b>                                                                                                        |
| 197 | جزر القمر حياة إفريقية تزخر بالتراث الاجتماعي..... د. مزمل الرئيس أحمد                                                       |

## شروط النشر

### مجلة افريقيا للدراسات الاستراتيجية والبحوث تصدر عن

مركز افريقيا للدراسات الاستراتيجية والبحوث، وهو مؤسسة بحثية غير ربحية مستقلة تأسست في تركيا عام ٢٠٢٠م، تهتم بقضايا القارة الإفريقية؛ من خلال البحث، والتطوير، وإنتاج الأفكار، وعمليات دعم اتخاذ القرار، وصنع السياسات العامة، والتأثير على مسارات القرارات؛ من خلال تحديد عدد من القضايا والموضوعات دورياً للبحث والتحليل الاستراتيجي. يقوم المركز أيضاً بدور المراقب والمحلل، والناشر المحايد، في قضايا استشراف المستقبل في إفريقيا

### تهدف هذه المجلة إلى:

- نشر البحوث العلمية في مجال الدراسات الاستراتيجية عن القارة الإفريقية بعد تحكيمها من محكمين مؤهلين لتساهم في نشر العلم والمعرفة في العالم.
- البعد عن تعقيدات النشر والسرعة في الإجراءات مع الالتزام بالدقة والموثوقية
- اتباع الشروط العالمية في النشر مثل شروط مجلات SCOPUS ونيل الترخيص منها
- مجالات البحوث التي تنشر في هذه المجلة تضم مجالات الدراسات الإنسانية كالاقتصاد وإدارة الأعمال، الدراسات الاجتماعية، الآثار الإفريقية، ثقافات الشعوب الإفريقية، الأدب والنقد الإفريقي، الأنثروبولوجي، الحكم، التاريخ الإفريقي والفنون الإفريقية.
- كما تهتم أيضاً بنشر البحوث مجالات العلوم الطبيعية كعلم الفلك، علم الأحياء، المجالات الطبية علوم الأرض علوم الرياضيات والاحصاء وعلم البيئة.

### شروط النشر في المجلة:

- تنشر المجلة البحوث والدراسات والمقالات من الباحثين من ذوي الكفاءة والخبرة في مجالات تخصصهم.
  - أن يكون البحث ذا قيم علمية بحيث يقدم إنتاجاً جديداً في عالم المعرفة.
  - أن يكون البحث سليماً من حيث الصياغة اللغوية والإملائية.
  - أن لا يكون البحث مستأً من بحث أو كتاب تم نشره مسبقاً.
  - أن لا تتجاوز عدد صفحات البحث (30) صفحة متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع والأشكال والرسومات والجدول والصور.
  - تخضع كل البحوث والدراسات والمقالات للتحكيم قبل نشرها من قبل محكمين، من ذوي الكفاءة والخبرة.
  - يتم رفض النشر في حالة ارتفاع نسبة الاستئلال العلمي للبحث المقدم للنشر عن (25%)
  - معرفة المطلوبات الأخرى المرتبطة بالبحث للنشر حسب شروط المجلة
- راجع موقع المجلة التالي <https://asadcenter.org>  
مجلة إفريقيا للدراسات الاستراتيجية والبحوث ( اساد )

## هيئة التحرير

رئيس مجلس الإدارة:  
مهندس محمد عطا المولى

رئيس التحرير:  
د. انتصار أبوناجمة

نائب رئيس التحرير:  
د. مزمل الرئيس

سكرتير التحرير:  
معاذ محمد

أعضاء هيئة التحرير:  
د. محمد حامد الفكي  
طاهرة سلاف الدين  
الزاكي زكريا

التصميم والإخراج الفني:  
د. محمد حامد الفكي

المدقق اللغوي:  
د. مطر عبدالله إسحاق

المترجم:  
د. سليمان ناصر

## كلمة العدد

### د. انتصار أبوناجمة

(الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات)

وأزكى صلوات ربي وسلامه على سيدي رسول الله

يطل عليكم مركز إفريقيا للدراسات الاستراتيجية والبحوث في باكورة إنتاجه من الوثائق المنشورة، مجلة علمية فصلية لها من اسمه نصيب (مجلة إفريقيا للدراسات والبحوث)، أريد لها أن تكون منصة علمية رائدة، يتوسل بها المركز لتحقيق رؤيته في أن يكون المركز الرائد في التنوير وبناء المعارف والقدرات وصناعة التأثير الإيجابي في عمليات صنع القرار وبناء السياسات وتشكيل الرأي في الشأن الإفريقي.

تضيء المجلة على قارة إفريقيا؛ تلك البقعة الغامضة التي تنطوي على كنوز هي محط مطامع كل الدنيا، كما تمور بأسخن الأحداث كذلك تبعا للتدافع في مضمارها الذي يستقطب الفاعلين من كل صوب وتركيا لها في إفريقيا تاريخ ومصالح، وتتوفر على إمكانات تؤهلها لإقامة شراكات منتجة مع دول القارة تقوم على مبدأ الكل رابع، بما يمكن هذه الدول من استثمار مواردها في التنمية ورفاه المواطن.

تسعى المجلة عبر البحوث العلمية والمقالات والتقارير إلى تقديم معارف نوعية وتحليلات عميقة وموضوعية حول الفرص التي تزخر بها القارة، مثلما تضيء على التحديات التي تواجهها، مع التركيز على تعزيز الفهم الإقليمي والدولي للتطورات الاستراتيجية في السياسة والاقتصاد والاجتماع في إفريقيا، إضافة إلى ترسيخ مفاهيم قضايا التنمية المستدامة.

للمجلة فريق من الباحثين يغطي الأقاليم الجغرافية المختلفة للقارة الإفريقية، كما يكتب لها رموز الفكر والمعرفة في مجالات شتى، تصدر المجلة من مقر المركز في تركيا في نسخة ورقية لمن لهم ذلك النمط من الرابطة الحسية مع المنتج المعرفي، كما تصدر في نسخة الكترونية تضمن الانتشار والتغطية لطيف واسع من المتلقين المنتشرين في جغرافيا يتعذر وصول النسخة الورقية لها. يحفل العدد الأول بعناوين ثرة مع الوعد بالترقي في مدارج التجويد تسديدا ومقاربة سعيا للوصول للكمال المتاح.

يسعدنا تواصلكم مع المجلة وتلقي مشاركاتكم الفكرية والعلمية التي تسهم في تقدم ونماء القارة الإفريقية

# العلاقة التركية الإفريقية تعاون ، تكافل ، تكامل



يس أقطاي



عند الحديث عن علاقة تركيا مع القارة الإفريقية، أبدأ بالعبارة التي أطلقها الرئيس رجب طيب اردوغان والتي تلخص وتوجز شكل العلاقة، حيث قال الرئيس اردوغان، إن «نظرتنا إلى إفريقيا لم تكن أبدًا مثل نظرة المستعمرين الذين جاءوا إليها، ولن تكون كذلك. نتمسك بمبدأي الاحترام والكسب المتبادلين أساسًا في كل علاقاتنا مع إفريقيا. كما نبذل جهودًا حثيثة بغية تطوير علاقاتنا، ضمن نهج يهدف للتطور والإدارة وتحقيق مكاسب معاً».

وتأسيسًا على ما تقدم شهدت العلاقات بين تركيا وإفريقيا تطوراً ملحوظاً في العقدين الأخيرين، حيث ركزت تركيا على تعزيز علاقاتها السياسية، الاقتصادية، والثقافية مع الدول الإفريقية.

وضمن هذا المنطلق كانت زيارات رئيس الجمهورية التركية الى دول القارة الإفريقية من أهم منطلقات السياسة الخارجية التركية. وأضحت مساحة التلاقي بين تطلعات الشعوب الإفريقية والشعب التركي تزداد يوماً بيوماً.

فالأساس في هذا التقارب هو الاحترام المتبادل وخارج أية نظرة استغلال او اضطهاد لشعوب القارة الإفريقية مثلما كانت قد عانت لعقود طويلة.

ولا ننسى أن اقتراب الغرب من قارة إفريقيا كان بعيداً عما يدعيه الغرب اليوم من معايير الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان، بل كما يعرف الجميع كان اقتراباً قبيحاً بكل المقاييس، مؤسساً على الاحتلال والاستغلال والسيطرة. وبالتالي كانت وما زالت تركيا العدالة والتنمية تقف موقفاً متصدراً لاحقاق العدل بين شعوب الارض من خلال رفع الاضطهاد وسوء الاستغلال بداية.

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )



وفي خطوات عملية، أبرزت زيارات رئيس الجمهورية التركية الى دول القارة الإفريقية مثالين مهمين، الاول: أن يد التعاون ممدودة لإحداث تنمية حقيقية وعلمية، وهنا أذكر دور الوكالة التركية للتنمية تيكا ووقف المعارف التركي، والثاني: أن تركيا العدالة والتنمية تنظر لجميع الدول الإفريقية نظرة احترام واحدة بغض النظر عن مساحة الدولة وموارها وعدد سكانها. يدرك العالم أن إفريقيا بمواردها وجغرافيتها يمكنها أن تحقق الاكتفاء لنفسها وللعالم أجمع، ولكن هذا الإدراك لم يصاحبه الرغبة في التعاون للاستثمار الأمثل لموارد القارة، تعاون يستند على تجارة عادلة واحترام للإنسان الإفريقي المنتج المتشبث في أرضه.

ففي التاريخ كان الحضور الإسلامي في إفريقيا بهدف التجارة مصحوبًا بنقله حضارية جعلت من مناطق عديدة مراكزًا حضارية مشعة، على عكس ما قام به الاستعمار الغربي عندما امتص الموارد في تلك البقاع وتركها بدون أية اضافة حضارية، بل أفني ما كان قائمًا.

ولا تخفى على العين المتفحصة لكل مدينة إفريقية، أن هذه المدن تمتعت بانجازات حضارية مذهلة ذات يوم، وان هذا الإنجاز قد تم تدميره قصدا من قبل وحوش الغرب التي استعمرت القارة في زمن ليس ببعيد.

وفي هذا المقام أود أن أخص دولة السودان لما لها من مكانة في قلبي، ففي إحدى الزيارات المتعددة الى السودان لمست حبًا خاصًا خالصًا من الشعب السوداني الى الشعب التركي، بل ان إحدى الزيارات التي قمت بها كانت مخصصة لتلبية كم من الدعوات الكريمة التي تلقيتها وإخوتي من حزب العدالة والتنمية ولم يسعفنا الوقت سابقا لتلقيتها.

وأنوه هنا أن السودان بالنسبة الى تركيا ليس فرصة استثمارية، بل علاقة عضوية يمكن لكل منهما أن يشد من أزر الآخر، فالمحبة القائمة إلى تركيا وشعبها يشكل قوة عظيمة، وتطلع الى اليوم الذي ينعم فيه السودان بالسلام والاستقرار لكي تترجم المحبة الى تعاون اقتصادي وسياسي يحدث فرقًا ويكون سببًا ليعم الخير على الجميع.

وبالحديث عن الاهتمام التركي في إفريقيا، يأتي هذا الاهتمام في سياق انفتاح تركيا على العالم، ورغبتها في إيجاد شراكات استراتيجية جديدة هذا الانفتاح والتحول ارتبطت بسياسات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وتركيا العدالة والديمقراطية، حيث أصبحت إفريقيا ضمن أولويات السياسة الخارجية لتركيا.

ولتكتمل الصورة أرى في هذا المقام أن يتم عرض الخلفية التاريخية للعلاقات بين تركيا وإفريقيا، وما يمثله هذا البعد من أن كلاهما لم يكونا غرباء عن بعضهما تاريخيا، بل إن العلاقة مؤسسة وذات جذور.

تعود العلاقات بين تركيا وإفريقيا إلى العصور العثمانية، حيث كانت الإمبراطورية العثمانية تمتد في شمال إفريقيا وتربطها علاقات تجارية ودبلوماسية مع العديد من الدول الإفريقية. على الرغم من هذا الإرث التاريخي، إلا أن العلاقة بين تركيا وإفريقيا شهدت فترة طويلة من الركود بعد تفكيك الإمبراطورية العثمانية في أوائل القرن العشرين.

ففي السنوات الأولى التي أعقبت تفكيك الخلافة الإسلامية وقيام الجمهورية في تركيا، اتبعت تركيا سياسة تركز على الغرب والتغريب وأهملت لفترة طويلة إفريقيا، كما أهملت الكثير من الجغرافيا المحيطة بتركيا تحت مسميات عديدة.

استمرت هذه السياسة حتى نهاية القرن العشرين عندما بدأت تركيا تعيد تقييم استراتيجياتها الدولية، واستفاقت تركيا العدالة والتنمية في مطلع القرن الحادي والعشرين على واقع دولي مستجد، تمثل في التغيرات التي شهدها العالم بعد نهاية الحرب الباردة.

هذا الواقع المستجد، تطلب بالضرورة السعي إلى إحياء العلاقات التركية الإفريقية في العقدين الأخيرين، حيث بدأت العلاقات التركية الإفريقية تأخذ منحى جديداً في بداية الألفية الثالثة، وخصوصاً بعد عام 2005م الذي تم إعلانه "عام إفريقيا" في تركيا. كان هذا القرار جزءاً من استراتيجية تركيا لتعزيز وجودها في القارة الإفريقية، والذي شمل إقامة المزيد من السفارات وتعزيز التعاون الاقتصادي والدبلوماسي مع الدول الإفريقية.

وضمن سياسة الانفتاح التركي على العالم وهنا على وجه الخصوص إفريقيا، فلهذه السياسة أهداف عدة، ففي البعد الاقتصادي، تسعى تركيا إلى فتح أسواق جديدة في إفريقيا لمنتجاتها، وتوسيع استثماراتها في قطاعات حيوية مثل البناء، الطاقة، والزراعة. القارة الإفريقية تعتبر سوقاً ضخماً غير مستغل بشكل كافٍ، مما يجعلها وجهة مثالية للشركات التركية.

أثمرت سياسة الانفتاح الاقتصادي هذه عن نتائج ملموسة وخاصة بين تركيا وإفريقيا، هذه النتائج يمكن سردها في عجالة هنا:

— شهدت العلاقات التجارية بين تركيا وإفريقيا توسعاً ملحوظاً في العقدين الأخيرين، حيث تسعى تركيا إلى تعزيز وجودها الاقتصادي في القارة الإفريقية. يعكس هذا التوجه رغبة تركيا في فتح أسواق جديدة وتوسيع استثماراتها خارج حدودها التقليدية، وخاصة في ظل التغيرات الاقتصادية العالمية والمنافسة الشديدة على الموارد والأسواق في إفريقيا.

## نمو التجارة التركية الإفريقية

منذ أوائل الألفية الثالثة، أصبحت إفريقيا جزءاً هاماً من استراتيجية تركيا الاقتصادية. وفقاً للإحصاءات، قفز حجم التجارة بين تركيا وإفريقيا من حوالي 5.4 مليار دولار في عام 2003م إلى أكثر من 25 مليار دولار بحلول عام 2020م، مما يمثل نمواً كبيراً في فترة زمنية قصيرة.

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث (اساد)

يشمل التبادل التجاري مجموعة واسعة من المنتجات مثل المواد الغذائية، السيارات، الأجهزة الكهربائية، والآلات.

## الدول الإفريقية الأكثر تعاملًا اقتصاديًا مع تركيا:

- جنوب إفريقيا: تُعتبر واحدة من أكبر الشركاء التجاريين لتركيا في القارة، حيث يتم تصدير العديد من المنتجات التركية مثل السيارات والآلات.
- نيجيريا: تعتبر نيجيريا من أكبر الموردين للنفط والغاز الطبيعي لتركيا، بينما تستورد تركيا منها أيضاً المواد الخام.
- مصر: تمتاز العلاقات التركية المصرية بتبادل تجاري نشط و تعزز هذا التعامل بالانفراج السياسي الذي ساد بين البلدين الشقيقين مؤخراً (2024 م). حيث تشكل المنتجات الصناعية والغذائية أهم الصادرات التركية إلى مصر.

## الاستثمارات التركية في إفريقيا

بالإضافة إلى التجارة، زادت تركيا من استثماراتها المباشرة في إفريقيا، حيث تستثمر الشركات التركية في مجالات عديدة مثل البناء، البنية التحتية، الطاقة، والزراعة. تعد الشركات التركية من الرواد في قطاع الإنشاءات في إفريقيا، حيث قامت ببناء مطارات، جسور، طرق، ومرافق عامة في دول مثل إثيوبيا، تنزانيا، وغانا.

## أبرز المنتجات المتبادلة

- الصادرات التركية إلى إفريقيا: تشمل مجموعة متنوعة من المنتجات مثل الملابس، السلع المصنعة، الأجهزة الكهربائية، والمعدات الصناعية. تركيا تُعرف أيضاً بتصدير الآلات والمواد الغذائية المصنعة مثل منتجات الحبوب والزيوت النباتية.
- الواردات التركية من إفريقيا: تتنوع بين المواد الخام مثل المعادن والمواد النفطية، بالإضافة إلى المنتجات الزراعية مثل البن، الكاكاو، والفواكه.

## الفرص والتحديات

على الرغم من النمو المتسارع في التجارة بين تركيا وإفريقيا، هناك عدد من التحديات التي تعيق تطور هذه العلاقات بشكل أكبر، من بينها:

- المنافسة الدولية: تواجه تركيا منافسة شديدة من دول أخرى مثل الصين، الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، التي تسعى أيضاً إلى تعزيز وجودها الاقتصادي في إفريقيا.
  - البنية التحتية الضعيفة: لا تزال بعض الدول الإفريقية تعاني من ضعف البنية التحتية
- مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث (إسداد)

- مما يؤثر سلباً على تدفق السلع والخدمات.
- عدم الاستقرار السياسي: تعاني بعض الدول الإفريقية من اضطرابات سياسية وأمنية تؤثر على استقرار البيئة الاقتصادية والتجارية.
  - وعلى الرغم من التحديات انفة الذكر ، يبدو أن مستقبل التجارة التركية الإفريقية واعد. تسعى تركيا إلى تحقيق هدف زيادة حجم التبادل التجاري مع إفريقيا إلى 50 مليار دولار بحلول منتصف العقد الثالث من القرن الواحد والعشرين.

## في التعليم والثقافة:

من خلال مؤسسة ”تيكا“ (وكالة التعاون والتنسيق التركية)، تعمل تركيا على تقديم منح دراسية للطلاب الأفارقة، بالإضافة إلى فتح مدارس ومراكز ثقافية لتعزيز التواصل بين الشعوب. التعليم يُعد من الوسائل الناعمة التي تستخدمها تركيا لتوسيع نفوذها في إفريقيا، حيث تركز على تعليم اللغة التركية وتقديم الدعم في مجالات العلوم والتكنولوجيا..

## في المساعدات الإنسانية والتنمية:

تُعد تركيا من الدول الرائدة في تقديم المساعدات الإنسانية للدول الإفريقية، وخصوصاً في أوقات الأزمات. ساهمت تركيا بشكل كبير في تقديم المساعدات الطبية والغذائية في مناطق متضررة من النزاعات والكوارث الطبيعية، كما تعمل على تقديم مشاريع تنمية تهدف إلى تحسين الظروف المعيشية للسكان المحليين، ولعل تدفق المساعدات التركية إلى السودان الشقيق المستمر برغم ظروف الحرب هناك خير دليل على التزام تركيا بالإنساني والاخلاقي.

## في التعاون الأمني والعسكري:

في السنوات الأخيرة، زادت تركيا من تعاونها العسكري مع دول إفريقيا عديدة. هذا التعاون يشمل تدريب القوات الأمنية المحلية، وتقديم الدعم اللوجستي في مجالات مكافحة الإرهاب وتأمين الحدود.

ويعد الصومال من أبرز الدول التي تتمتع بعلاقات عسكرية متينة مع تركيا، حيث قامت تركيا ببناء قاعدة عسكرية هناك وتقديم دعم كبير للحكومة الصومالية، إضافة إلى ما تقدمه تركيا إلى دول إفريقية أخرى مثل مالي والنيجر والسودان.

هنا يجدر الذكر هنا أن التعاون الأمني من وجهة نظر تركيا هو تعاون موجه لدعم الاستقرار وتحقيق السلام في إفريقيا.

## الخاتمة

يمكن القول إن العلاقات التركية الإفريقية شهدت نقلة نوعية في العقدين الأخيرين، مدفوعة بمصالح اقتصادية واستراتيجية مشتركة.

تواصل تركيا سعيها إلى تعزيز نفوذها في القارة الإفريقية من خلال توسيع التعاون في مجالات الاقتصاد، التعليم، الأمن، والمساعدات الإنسانية. على الرغم من التحديات التي تواجهها، إلا أن آفاق التعاون بين الجانبين تبدو واعدة، خاصة في ظل النمو المتزايد لاقتصادات الدول الإفريقية واهتمام تركيا المتزايد بالقارة.

ومثل أية قوة تستعيد عافيتها وتصعد من جديد، ضمن منظومة قيمية ليست استعمارية ولا توسعية، فإن تركيا تواجه تحديات من دول أخرى لديها أهداف وغايات استعمارية مثل روسيا والصين والولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا.

إضافة إلى بعض التحديات الداخلية لدى بعض الدول الإفريقية مثل الفساد وعدم الاستقرار السياسي، مما يجعل من الصعب تنفيذ بعض المشروعات التنموية.

كلمة أخيرة، تركيا الجديدة قوة داعمة لكل الشعوب التي تؤمن بالتعاون الإنساني والعيش الرغيد لبني البشر، مستندة على حضارة متجذرة ومؤمنة بما أودعه الله عز وجل في كتابه الكريم، أن الأمم والشعوب خلقت لتتعارف.



بسم الله الرحمن الرحيم

# الحرب على السودان

قراءة تحليلية في بواعثها ومآلاتها



السفير إبراهيم الكباشي السودان: الأرض وأهلها

أطلق الجغرافيون العرب قديما وصفان لأفريقيا: أفريقيا

شمال الصحراء الكبرى أسموها بلاد البيضان, وأفريقيا جنوب الصحراء أسموها بلاد السودان. فالسودان بهذا التوصيف فضاء يمتد من البحر الأحمر شرقا حتى ساحل المحيط الأطلسي غربا. وأطلق الإغريق في تراثهم القديم على الفضاء الذي يشمل اليوم السودان و الحبشة وما جاورهما إسم إثيوبيا, وتعني « الوجوه التي تسمرت بلفح الشمس».

السودان النيلي الحالي مهد لأقدم الحضارات التي سجلتها محافظ التاريخ البشري. وحين تذكر تلك الحضارات القديمة تقفز للصدارة مملكة كوش المنسوبة إلى كوش بن حام بن نوح, و ممالك كرمة ونبطة و مروي ؛ تماما كما تذكر محافظ التاريخ آثار الحضارات الفرعونية والسومرية و البابلية و السبائية و نظائرها.

أما إثيوبيا المعاصرة, في جوار السودان الشرقي الحالي, فقد غير أباطرتها إسم الحبشة إلى إثيوبيا في أزمان لاحقة حين انبسط ملكهم حتى بلغ مروي السودانية. و ما برحت محافظ التاريخ القديم والوسيط تحكي سرديات تعززها الآثار العديدة النفيسة للحضارة السودانية في متاحف السودان و بريطانيا و أمريكا و غيرها. غير أن المنخرطين في حرب الدعم السريع الراهنة, متعددة الجنسيات ضد السودان, عمدوا بقصد مكرر لنهب متاحف السودان الخازنة لتاريخ حضاراته الممتدة لألاف السنين.

ولقد اعتمدت الإدارة الإستعمارية البريطانية إسم السودان بحدوده الحالية وفق إتفاقية الحكم الثنائي الإنجليزي - المصري عام 1899 , إثر إستيلائهم على البلاد بعد القضاء على دولة المهديّة الإسلامية. و بإستقلال البلاد عام 1956 أبقي رواد الإستقلال على إسم السودان للدلالة الحصرية على وضع البلاد الحالي تميزاً لها عن مستعمرات السودان الفرنسي : تشاد و مالي و النيجر.

تقول محافظ التاريخ الوسيط : إن الوجود العربي - الطاعن و المقيم - عرف السودان مبكراً قبل الإسلام و بعده. فقد هاجرت مجموعات من جنوب الجزيرة العربية عابرة البحر الأحمر غرباً, و تمازجت مع قبائل البجا الساحلية, و هاجرت مجموعات أخرى إمتزجت بالنوبيين شمال السودان. غير أن دخول الإسلام القاصد للفضاء الجغرافي غرب البحر الأحمر, و إلى ضفتي نهر النيل كان - على الأقل - في مرحلتين مشهودتين.

أولهما: هجرة ثلثي من أسلموا إلى الحبشة على مرحلتين كانت أولاهما في العام الثاني للبعثة المحمدية آخرهما في العام الخامس . فقد هاجر ثلاثة وثمانون رجلاً و امرأة للحبشة بإمارة الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب. لبث هؤلاء المهاجرون في الحبشة أربع عشرة سنة. ولم تكن تفصل الحبشة عن السودان ذلك الزمان فواصل الحدود السياسية الراهنة. فالإسلام - إذن- عرف هذا الجزء من أفريقيا في أول أعوام ظهوره, أحد عشر عاماً - تقول روايات السيرة - قبل الهجرة إلى المدينة المنورة.

أما المرحلة الثانية, فقد كانت في العام 651م , واحد وعشرون عاماً بعد الهجرة إلى المدينة, في آخر خلافة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب. كان ذلك بمقتضى عهد موادعة مع مملكة المقرة في شمال السودان. إمتد السريان ”الفعلى“ لهذه الموادعة لأكثر من سبعة قرون, حتى إنتهى بزوال مملكة المقرة في القرن الرابع عشر الميلادي 2.

وقد هيأت قرون الموادعة الإسلامية - النوبية الطويلة ظروفًا مواتية للإنتشار الأفقي للإسلام عبر مساحات السودان الواسعة. و بالعموم, نستطيع القول بأن الإسلام عرف أفريقيا - وبلاد السودان خاصة - قبل أن يعرف المدينة المنورة. و ظهر - كما رأينا - وجوده فيها قبل أن تتأسس له دولة. و التقت طلائع المسلمين الأولى بسكان بلاد السودان قبل إلتقائهم بأهل الشام و اليمن و الجزء الأكبر من الجزيرة العربية.3

نشأت في حوالى نصف القرن الخامس عشر الميلادي عدد من السلطنات و الممالك في وسط السودان كمملكة سنار و مملكة المسبعات و مملكة تقلي .. تلك كانت ممالك مسلمة إمتد تواصلها شمالاً بمصر, كما امتد غرباً بسلطنات و ممالك الفور و الداجو و التججر و غيرها. و عبر الزمن تأسست لسلطنات و ممالك غرب السودان إتصالات تجارية و علمية مع الوجود العربي المسلم في الشمال الأفريقي, و من هناك إنتشر فيها المذهب المالكي و قراءة ورش القرآنية و الطرق الصوفية القادمة من المغرب العربي الكبير كالطريقة التجانية.

أورد هذا الإستهلال التاريخي القصير في صدر المقال « تبصرة و ذكرى » , و لتقرير حقيقتين مركبتين , يبدو أنهما غابتا كلية عن رعاة الحرب الإستعمارية - الإستيطانية الراهنة.

أولهما: إن بواعث تفكيك و دمار السودان, بدءاً بتحطيم جيشه , و إحالته و أهله رماداً اشتدت به الريح في يوم عاصف.. هذه بواعث تشكلت من نزوات مركبة ؛ سكرة المال , وجشع الإستعمار, و طغيان الإستعلاء , و رغائب التسلط. فقد تأسس البناء الحضاري للسودان - كما سلفت الإشارة - منذ آلاف السنين. أماد و قرون بعيدة قبل أن يشق كرستوفر

كولمبس بحر الظلمات إلى أرض جديدة. و زهاء عشر الف سنة قبل أن تتأسس في العام 1971م دولة " شقيقة » في الخليج . وقد شاءت تصارييف القدر أن يكون أبناء السودان سابقين في إرساء دعائم وجود دولة الإمارات العربية المتحدة . و كان السودان ضمن طليعة الدول التي إعترفت بإستقلالها عام 1971م. و بعث لها نخبة من أميز الإداريين لتأسيس وإدارة مرافقها الحيوية. بل كان المئات من ضباط وجنود القوات المسلحة السودانية أيضا في صدارة من أسهموا في بناء وتعزيد جيشها الوطني , بمن فيهم - للمفارقة - العقيد حينها , و الرئيس لاحقا عمر حسن البشير. و لما بلغت من العمر نصف قرن, وآتاها الله من المال ما إن مقاديره لتتوء بحسابه بنوك الدنيا, لم تجد من تبذل المال للقضاء عليه إلا من كان سندا بجانبها أيام كانت لا تزال في المهد صبية.

إن السطو على متاحف التاريخ , و سرقة آثار الحضارة السودانية القديمة , مع أنه أحدث مظاهر الجريمة المنظمة , فهو أيضا ينطوي على إفتراض بالغ الحمق لدى رعاة هذا الإجرام. افتراض يقول : إن نهب الآثار التاريخية منذ كوش بن حام بن نوح , مجرد السودان و أهله من أكبر مدلولات الإنتماء لهذا الموروث الحضاري التليد. و يحسبون ذلك استغراق موجب يعزز غايات مشروع التفكيك المفضي إلى الإزالة الأبدية لدولة السودان. ولا أدري كيف يمكن تحقيقهم لهذه الفرضية مع وجود أمرين عصيين على ذلك تماماً . أحدهما ؛ الذاكرة الجمعية الذهنية الوجدانية الحافظة. و الآخر هو الأهرامات و رواسي الجبال و ما ظلت مخطوطات شعابها ترويه على مدى آلاف السنين. إزاء هذا الخطل يثور السؤال الاستنكاري التلقائي فيما إن كان قد خطرت بتحالف الغزاة فكرة السطو على إهرامات المصورات وتهريبها أو اقتلاع جبل البركل بما يرويه عن حضارة نبته ونقله كذلك ؟! حتى يتحقق لهم محو كل عائق أمام مشروع تفكيك أقدم دول العالم و أغناها موروثاً حضارياً.

و ثانيهما: مما ذاع نشره بكثافة , أن واحدةً من أهم أهداف الحرب على السودان, هي رغائب الغزاة للقضاء على الإسلام وحملة مشاعله . و قد سلفت الإشارة إلى تشرف بلاد السودان بدين محمد صلى الله عليه و سلم منذ العام الثاني من مبعثه. معلوم في ما أورده صحائف السيرة النبوية عن مكائد اليهود بالإسلام و أهله . لكنني لم أقف - في مرويّات التاريخ - على نظائر لعداوة الإسلام, و عداوة من يعتصم بشمول دعوته , تماماً كعداوة أم جميل حمالة الحطب . فالإسلام في السودان ليس قمامة فكرية صدرتها حديثاً للعالم تقليعات الليبرالية المستحدثة , وليس ثوب عارية رخيص إذا ما رثَ ينخلع. الإسلام في هذا البلد وطيدة أركانه.. مديدة جذوره منذ أن حل, في فجر مولده, في هذا الجزء من الأرض. و في تالي أجزاء هذا المقال ما يوفي بالتدليل الجلي على ما إليه ذهبت.

### ميراث الإستعمار البريطاني:

بدأ تشكل التفاعلات السياسية للقوى الإجتماعية السودانية المعاصرة في طوايا ما أنتجه العقل الإستعماري الثنائي الإنجليزي - المصري (1899-1956). فبسقوط دولة المهديّة رسم الإنجليز التضاريس السياسية للبلاد, و ألزموا المجتمع السوداني السير عليها.

كان ذلك هو المنهج السياسي الأقل كلفة و الأوفر عائدا لتحقيق الأهداف الكلية للإدارة الإستعمارية.

وفق ذاك المنهج، ولعقود متطاولة، ظلت ديناميات حركة المجتمع السياسي السوداني تدور حول جملة من ركائز تتغذي كل واحدة منها على الأخريات. وكثيراً ما يثور التنازع فيما بينها بدرجات تتراوح بين العنف الدموي المفرط أو التنافس غير المنضبط بقواعد سياسية حاكمة وملزمة للجميع 4.

أشير في ما يلي إلى مظاهر الثابت و المتغير في دايتميات الإجتماع السياسي السوداني . أورد المتغيرات في طوايا ما أناقشه من موضوعات على وجه الإجمال. بينما أورد الثابت منها - بقدر موز من التفصيل- في ركائز ست هي:

1. السلطة و الإدارة المركزية للدولة, ( كيفما كان طابعها التأسيسي: استعمارية أم وطنية, عسكرية أم مدنية, إئتلاف حزبية أم كان نشأتها بتغلب منفرد ) .
  2. العشيرة و الإنتساب العرقي.
  3. الطريقة الصوفية و متوجها التربوي و الروحي .
  4. المؤسسة العسكرية السودانية بقطاعاتها المختلفة: الجيش والمخابرات العامة و الشرطة و قوات الإحتياط .
  5. النخبة الإدارية - المهنية « التكنوقراطية » التي أنتجتها مناهج التعليم التقني- المهني
  6. منذ كلية غردون, و يمثلها القطاعين المهني و الإداري.
- قطاع المال و التكوين الرأسمالي.

تتفاعل هذه الركائز الثابتة ( أو قل الأكثر ثباتا ) فيما بينها بصيغ متنوعة للإعتماد المتساند المتبادل , وتتجاذب جميعها نحو السلطة السياسية التي تمثلها الإدارة المركزية للدولة. و حول هذا التفاعل المضطرب ظلت تدور الحركة السياسية السودانية منذ أوائل القرن العشرين.

محدودية مساحة هذ المقال, وغرضه المركزي, حتمت تناول هذه الركائز في شكلها التفاعلي المتداخل , مع تصويب مجمل - دون غوص مفصل - لثلاث منها استصحابها - لأكثر من سبعين عاما - الإجتماع السياسي السوداني بحضور مضطرب الثبات ؛ و هي الركائز العشائرية و الدينية و العسكرية.

#### الثوابت العشائرية - العرقية:

كان دأب الحكومة المركزية الإستعمارية الذي أرسنه زهاء ستين سنة هو صناعة القيادات العشائرية - القبلية, وتقوية نفوذها بما منحه لها من سلطات إدارية, وسلطات قضائية- جزائية, وأخرى مالية- ضريبية, على نحو أنتج لتلك القيادات تراكماً رأسمالياً متعاضداً, تقوى به نفوذها السلطوي في مواطنها. ولإستدامة ذلك النفوذ تزداد بإضطراد درجات

الإعتماد المتبادل بين القيادات العشائرية من جهة، والحكومات المركزية مانحة ذلك التفويض الإداري الأهلي من جهة مقابلة.6

فقد حتمت مساحة البلاد الواسعة، ذات الصحارى الممتدة شمالا، والأحراش الغابية جنوبا، و ذات القبائل التي يتجاوز عددها الخمسمائة، والتي تتحدث بجانب العربية أكثر من مائة لغة ولهجة، و التي تجاور تسع دول تتداخل عبر حدودها المشتركة عشرات القبائل.. فبلاد بهذا الإتساع الأفقي لا ريب أنها تستعصي على أنماط الإدارة الديوانية المركزية، حتى إن كانت إدارة بريطانية تمتد مستعمراتها حول العام. فقواعد الإدارة العلمية الخمس: التخطيط والتنظيم والتنسيق والرقابة والإتصال، لا يمكن إعمالها بفاعلية مهنية إنطلاقا من مركز واحد في قطر هذه خصائصه، و بوسائل إنتقال يومها على ظهور الجمال.7

إن إنجاز أهداف الاستعمار البريطاني حينها استوجبت تصميم هندسة إدارية تنسجم مع ما استقرت عليه أعراف المجتمعات السودانية القاعدية التي كانت ريفية- بدوية في غالبيتها.

في عشرينات القرن الماضي أصدرت الإدارة البريطانية قانون « المناطق المقفولة »، الذي كان هدفه ضرب سياج محكم يعزل جنوب السودان عن شماله. و بموجب ذلك القانون يمنع تواجد العرب أو من يتحدثون العربية في جنوب السودان. كما يمنع ارتداء الملابس العربية أو أي شكل للأداء العلني للشعائر الدينية الإسلامية.8

تم تقسيم جنوب السودان - بالميل المربع - على أكثر من ثلاثمائة بعثة تنصيرية من كنائس أوربا و أمريكا و أستراليا، هدفها الأول تحويل جنوب السودان - الذي كان بعضه مسلما و غالبه على المعتقدات المحلية الأفريقية - إلى المسيحية. كان الهدف الإستراتيجي هو صناعة حزام عازل بين شمال أفريقيا العربي المسلم من جهة، و وسط أفريقيا من جهة أخرى. بلغت هذه السياسة غايتها الإستراتيجية طويلة الأمد و القاصدة لفصل السودان عن العمق الأفريقي، في ثلاث مراحل، تصاعدت وتأثرها على مدى خمسة و أربعين عاما من حروب الإستنزاف الطويلة : كانت دورتها الأولى هي حرب «أنانيا» لسبع عشرة سنة بين عامي 1955 و 1972، و الثانية حرب «الحركة الشعبية» التي قادها جون قرنق لإحدى و عشرين سنة بين عامي 1983 و 2005، ثم كانت الثالثة التمهيد الإنتقالي لإنفصال جنوب السودان بين عامي 2005 و 2011.

و كما سلفت الإشارة، فقد تأسست الإدارة البريطانية في الشمال - و امتد منهجها في العهد الوطني بعد الإستقلال - على توظيف كادر عشائري محلي، وإستقوائه سياسيا و ماليا، لإنجاز أهداف الحكم المركزي. فسلطات العهود الإستعمارية ( ثم السنين الأولى للحكم الوطني) لم تكن تملك لا الموارد المالية ولا الكادر البشري المدرك لخصائص المجتمعات القاعدية. و لحسن طالعها، فإن المجتمع العشائري القائم على الولاء العرقي ظل ماثلا و لقرون عديدة سابقة ولاحقة لحقب الإستعمار الخديوي ثم البريطاني. وعلى تضاريس هذه الخصائص القاعدية الثابتة، سلكت جميع النظم السياسية السودانية نهج هذا التعاقد المصلحي بين حكومات المركز من طرف و العشائر الملتحمة بحواضنها المحلية

من طرف ثان.9

كانت جملة الإداريين الإنجليز " الرئيسيين " على إمتداد مساحة البلاد البالغة مليون ميل مربع لا تزيد عن واحد و خمسين. هم:

الحاكم العام.. و السكرتير الإداري.. و السكرتير القضائي.. و السكرتير المالي.. و المفتش العام. يعاون هؤلاء تسعة مديرون بعدد مديريات السودان التسع آنذاك. و لكل مديرية أربعة مراكز بما جملته ستة و ثلاثون مركزا يديرها ستة و ثلاثون مفتشا. جل أولئك كانوا شبابا حديثي التخرج تلقوا تكوينهم الإداري في جامعتي كامبريدج و أكسفورد، و كان أغلبهم بين منتصف العشرينات و أوائل الثلاثينات من أعمارهم. تم إعدادهم فنيا و بديا لأداء مهام الإدارة على ظهور الجمال. فأداروا البلاد سبعة و خمسين عاما بتحالف وظيفي مع زعماء العشائر الأهلية الملتصقين ببطن و أفخاذ قبائلهم.

### ميراث الكيان الديني الصوفي:

فإن كانت قيادة العشيرة القبلية - لمئات السنين - هي مركز الولاء السلطوي في غالب أرياف السودان، فإن الطريقة الصوفية ظلت تمثل المحور الجاذب للولاء الروحي و التربوي في غالب أنحاء البلاد.

في سنوات الإستعمار التأسيسية (1899-1915)، صوب الإنجليز سياستهم الدينية نحو فئة «العلماء» المنتمين وظيفيا الى الجهاز الحكومي، خاصة في وظيفتي القضاء الشرعي و الإفتاء. فقد كان حذرهم حينها طاغيا من الكيانات القاعدية المتصوفة التي من حواضنها تولدت الثورة المهدية و قضت على دولة محمد علي باشا. و قُتل في عنفوان تلك الثورة الإداريون الإنجليز الذين كانوا في خدمة الخديوية المصرية، و على رأسهم الحاكم الإنجليزي للسودان جارلس غوردون.

غير أنه مع مرور الزمن تبين للإنجليز أن القيادة الدينية المتمدة عبر البناء المجمعي القاعدي هي الطرق الصوفية. أما وقد زال هاجس الثورة الإسلامية بنموذجها المهدي، فقد شرعت تبسط لهم أسباب التودد و الإحترام الظاهري. فتلقى زعماء طائفتي الختمية و الأنصار خاصة دعومات مالية أسهمت في تكوين ثروة كبيرة لديهم. و بمرور السنوات، ترسخت قناعة حكومة الإحتلال من أن نفوذ هؤلاء المتصوفة في القواعد المجتمعية لا يقارن بأثر العلماء "النخبوي" المحدود بين القلة المتعلمة في المدن و الحواضر.<sup>10</sup>

منذ القرون الأولى التي توطن فيها الإسلام في السودان، إنتشرت في كل ممالكه و سلطاناته كتاتيب التعليم القرآني التي يسميها السودانيون «الخلاوي» جمع «خلوة»، و قام عليها لمئات السنين أئمة التصوف رعاية و إرشادا و تربية سلوكية. و أضحي منتوج ذلك - عبر الزمن - الملايين الذين تشربوا عقيدة الإسلام و التزموا شرائعه. و لهذا فقد تميز نمط التدين السوداني في عمومه بمخرجات هذا التكوين القرآني - الصوفي. فالإسلام - كما قدمنا - دخل السودان مودعة لا فتحا. ولذلك فإن غاشيات الفتنة الكبرى التي ضربت المشرق الإسلامي - العربي ظلت قصية عنه. و بذلك بعدت عنه المذاهب التي أنتجتها الفتنة الكبرى كالشيعة و الخوارج و غيرها.



إن أكثر مدن و حواضر السودان الأوسط الماثلة اليوم بدأت قصة وجودها بشيخ أجيّز في مدرسة صوفية، و تحت إرشاد أستاذه و توجيهه إنتهى إلى بقعة كانت قاصية، أوقد فيها نورا للقرآن، ثم تجمع حوله الدارسون واحدا واحدا حتى إتسعت البقعة الصغيرة، و تكاثر سكانها - عبر الزمن - لتنشأ قرية ثم مدينة.

إن النهج التكويني الذي نهضت عليه مدارس التصوف السني السوداني تأسس على لوازم الإرتباط المتشابك بين المعرفة والسلوك. فحين يطمئن إمام الطريقة أن تلميذه قد تشرب من مصفوفات القيم الإسلامية قدرا يمكنه من بثها بين الناس، يشير إليه أن يولي وجهته شطر هذه الناحية من البلاد أو تلك. و يوصيه ان يتمثل القدوة في ما يأتي أو ما يذر. و أن ينزل كل ساكني بلدته منزلة كريمة. و أن يتمثل القدوة من أخلاق الصالحين في معاملة الناس بود شفيف. و أن يستفرغ الوسع في الإصلاح بين الناس، سواء كان موضوع النزاع شأننا أسريا محدودا، أو نزاعا عشائريا عنيفا، أو كان تجاذبا شرسا على مستوى قيادات الدولة السياسية.

على مدى قرون عديدة ظلت مدرسة التصوف الإسلامي - السني تؤدي وظائفها التي ذكرت. تقترب أحيين كثيرة من مضامين المثال في سنامه الأعلى. أو تقصر عن تصاميم ذلك المثال حين تغشاها غاشيات الناسوت البشري. قد تزدهر في زمن وتضمّر في آخر. و تنمو في ناحية وتذبل في أخرى. غير أنها في غالب الأحوال تتميز بالقابلية المضطردة لإنتاج الأجسام المضادة لفيروسات الزمن السالبة المتعددة.<sup>11</sup>

لا ينبغي أن تنصرف الأذهان الى أن المنهج الصوفي يكرس دائما الإنعزال الشعوري عن تفاعلات الحياة السياسية. إن التأسيس الروحي المعمق للفرد المسلم شرط مهم لإكتساب اللياقة الذهنية و الوجدانية، و هذه أشرط لازمة للصعود على عتبات الواجب الذي يتطلبه الأداء النظيف - الشريف فيما يخص شئون الإدارة والحكم ، و سائر ما أمر الله أن يؤتى وفق منطوق شرائعه.

للحركة الصوفية إنخراط بدرجات متنوعة في الحياة السياسية في كثير من بلدان العالم الإسلامي، و كذلك دورها في السودان كان و لم يزل مذكورا و مشهورا.

**المؤسسة العسكرية السودانية: الجيش الوطني، و جهاز المخابرات، و الشرطة، و قوات الإحتياط.**

إن جذور العسكرية السودانية ضاربة في أعماق التاريخ الوطني المعاصر. فقد سبق تشكيلها المؤسسي إستقلال البلاد بعدة عقود. و لا يضاهيها في سوابق النسق الوجودي المنظم لكيانات المجتمع السوداني إلا الكيانين الديني و العشائري. و قد كان أدائها الحربي تحت الإدارة الإستعمارية البريطانية في الحرب العالمية الثانية إنفاذا لعهد، بين قادتها من جهة و القيادة الإنجليزية من جهة أخرى، بنيل الإستقلال حالما وضعت تلك الحرب أوزارها. و ذاك ما حدث.

حين يبلغ هذا النص القارئ الكريم في نوفمبر 2024م، يجمل بأهل السودان إحياء

الذكري المؤبقة لأول تظاهرة سياسية - عسكرية سودانية في نوفمبر عام 1924م قادها ضباط اللواء الأبيض، واستشهد فيها طلائع الوطنية السودانية المعاصرة : علي عبدالطيف و عبدالفضيل الماظ وصحبهما. فقد تسنمت المؤسسة العسكرية السودانية صدارة الحركة الوطنية لثلاثة عشر عاما قبل ظهور قيادة الحراك الوطني المدني في مؤتمر الخريجين عام 1938م ، و لربع قرن قبل ظهور الأحزاب السياسية عام 1945م.<sup>12</sup>

بين يدي الإستقلال ، إبان حكومة الإنتقال، انفجر أول تمرد مسلح في جنوب البلاد. كانت تلك قذائف أولى تبعثها ملايين القذائف امتدت زهاء نصف قرن مهددة لوجود الدولة. و هو أمر يستلزم على الدوام التعاضد المتناسك بين القوات المسلحة - المعنية أولا بواجب حماية البلاد و درء مظان إنهيارها - من جهة ، وجميع كيانات الدولة السياسية من جهة ثانية. تطاولت أماد الحرب في الجنوب، و تراكمت مطلوباتها ، خاصة تلك اللازمة لمقابلة الوضع اللوجستي للقوات المسلحة الموكل إليها الحفاظ على وجود الدولة. و تعاظمت بذلك الأعباء السياسية والإقتصادية و الإجتماعية و المعنية على الجميع. غير أن العبء الأعظم والمباشر لمطلوبات الدفاع عن البلاد تحمّله دائما ضباط وجنود القوات المسلحة ، الذين ظلت نقتهم على أداء السياسيين في الجهاز التنفيذي إزاء تلك الواجبات جهيرة وشهيرة.

منذ عشية الإستقلال إلى راهننا المائل، أحصيت أكثر من ثلاثين حدثا سياسيا - عسكريا كبيرا، نشأت دوافعه السببية الغالبة من الفجوة العميقة بين إهتمامات السياسيين في قيادة الحكومات ، وبين واجبات العسكريين المصوبة لمهام الدفاع عن وجود الدولة. سبعة من تلك الأحداث نالت مبلغا من الإستيلاء على السلطة كليا أو جزئيا، تفاوتت بين إستيلاء جزئي دام بضع ساعات أو بضعة أيام. و إستيلاء كلي تراوح مداه بين ست سنوات كحكومة الرئيس عبود . أو ست عشرة سنة كحكومة الرئيس نميري. أو ثلاثين سنة كحكومة الرئيس البشير.<sup>13</sup>

و بنهاية حكومة الرئيس عمر البشير في 2019م، بدأ فصل جديد في تاريخ البلاد لم تشهد نظائره منذ مقدم الاستعمار الإنجليزي - المصري. فالاستعمار في نسخته الأولى كان استيلاءا ثنائيا على البلاد، وأما هذا فهو عدوان متعدد الأطراف للاستيلاء الاستيطاني على السودان على النحو الذي أحاول بيانه لاحقا في هذا المقال.

إن كانت مظاهر الحرب على البلاد - في تاريخها المعاصر - قد استهلها تمرد الجنوب في أغسطس 1955، فإن سبعينات القرن الماضي شهدت ظواهر جديدة للحرب على الدولة لم تكن قائمة قبل ذلك. فبجانب المسرح الجنوبي ، فقد تمددت عصابات النهب المسلح في دارفور. وبدأ الوجود الأجنبي يوطد أقدامه فيها على نحو شديد الخطورة. فقد باتت الحدود الغربية للبلاد معبرا يتدفق منه السلاح الآلي الخفيف و المتوسط عبر الصحراء من ليبيا و تشاد. و بذلك أصبحت دارفور مرتعا خصبا لجميع أشكال العصابات.

عقب إنهيار حكومة الرئيس نميري عام 1985م، حلت الحكومة الإنتقالية - ثم سلكت نهجها حكومة الأحزاب التي تلتها - جهاز المخابرات السوداني ، فأصبحت البلاد مكشوفة

تماماً، تسرح فيها و تمرح العديد من استخبارات الدول ذات الأطماع ؛ و ما أكثرها : إسرائيلية و غربية و عربية و أفريقية. و هذا نهج تطابق تكراره بسقوط حكومة الرئيس عمر البشير في العام 2019م. و علت محاذير المشفقين يومها - تماماً كما يحدث اليوم - من أن يقود تراكم الهشاشة الحكومية إلى إنهيار وطني شامل، خاصة حينما يستمتع سكان الخرطوم ووسط السودان في تلك الأيام ، ما كانت تتوعدهم به الحركة الشعبية في بثها الإذاعي اليومي من أثيوبيا بما تضمنه مانفستو تلك الحركة الذي صدر في العام 1983م ، و نقله للعربية الفاتح التجاني ، و نشرته صحيفة الإتحاد الطيبانية، وقد أسهب الحديث عن عزم الحركة الشعبية على تحطيم الجيش السوداني و مصادرة املاك السودانيين » و ما أسمته مبانئهم العالية ». تلك أمانى الحركة الشعبية كما عبرت عنها النسخة الأولى لإعلانها الصادر عام 1983م، و الذي تم تعديله لاحقاً حين جنحت للسلام. 14 و لكنه منهج وجد بالفعل سبيله للنفاز في حرب مرتزقة الدعم السريع الراهنة .

إزاء ظروف الثمانينات الوارد ذكرها ، تشنت جهود القوات المسلحة، و تدهور إمدادها الحربي الضروري لمواجهة تلك التحديات، و اتسع ميدان حركتها مع إنعدام سبل التسليح و الإمداد، ليس فقط إنعدام الذخائر و العتاد الحربي الضروري ، و لكن بلغ البؤس أنعدام الزر و حذاء البوت للجنود و هم يجوبون أحراش الجنوب - شبه حفاة - دفاعاً عن وجود الدولة. و تمنع يومها الأصدقاء و الأشقاء من مد يد المؤازرة العسكرية أو السياسية بالرغم من سريان إتفاقيات الدفاع المشترك.

في 20 فبراير 1989م سلمت القيادة العامة للقوات المسلحة مذكرة لرئيس و أعضاء مجلس رأس الدولة، و رئيس الوزراء ، تنذر فيها بمآلات وخيمة على الأمن الوطني، و تقول إن قدرات الجيش القتالية تناقصت بنسبة 50% عما كانت عليه قبل 5 أعوام. و كان ذلك السبب وراء فقدان أراضي واسعة من البلاد لجيش الحركة الشعبية. و عددت تلك المذكرة أبرز مهددات الأمن الوطني و التي ذكرت منها: التناحر الحزبي، و الإنهيار الإقتصادي، و نمو الميليشيات الحزبية و القبلية، و تفكك المجتمع و وتقشي الفساد، و الحصار الإقتصادي على البلاد. في مقابل ذلك تقول المذكرة: إن قوات العدو تزداد عدداً و تتلقى دعماً عسكرياً و سياسياً بلا حدود. ثم أعادت المذكرة في خاتمتها القول بأن النتيجة الحتمية لتفكك الجبهة الداخلية و الصراع السياسي هو إنهيار البلاد الحتمي أمام « حركة التمرد ». ثم ذيلتها بوجوب رد من الحكومة خلال أسبوع واحد. 15

إنها سُنَّة ماضية في طبائع الأشياء كحركة الرياح، إن يحل الضغط السياسي الأعلى مكان الضغط المنخفض، و أن يفتك الفيروس العدواني النشط - حتى إن بدى حجمه مجهرياً صغيراً - بالجسم السياسي عديم ( أو قليل ) المناعة الروحية و الوطنية. فهزال قيادة الدولة، ووهن جهاز مناعتها الداخلية، هي أكثر المغريات جذبا لانقضا للمتربصين عليها.

أكثر الناس قد لا يدرون أنه في عواصم غربية ( أوروبية و أمريكية ) تقوم مراكز بحثية سياسية متخصصة، ذات إرتباط عضوي بصناعة السياسة لدى حكوماتها، بالمتابعة الدائبة اليومية لأحوال الدول ( منها السودان ) ، ذات الخصائص الجيوسياسية المهمة، و الموارد

الإستراتيجية اللازمة لمستقبل الصناعات التي تأسس عليها التفوق التقني المعاصر لتلك الدول. فالمعادن الإستراتيجية هي التي تحرك أطماع الإستحواذ عليها.

ما يمايز الإقتصادات الناهضة ( روسيا و الصين و دول آسيا و البرازيل ), عن أوروبا و أمريكا, أن الأولى تعتمد التعاون المصلحي المتبادل الخالي من إملاءات التبعية مع دول العالم . بينما تجنح الأخرى إلى الإستحواذ الكلي على مراكز القرار بأساليب الضغط العديدة التي شاع لديهم إصطلاحها بالدبلوماسية القسرية «Coercive Diplomacy», والتي لا تعني دلالتها العملية غير لي الذراع أو الإستحواذ على رغائبهم بوضع اليد, و بأقل التكاليف.<sup>16</sup> بدءاً بمحاولة إنهاك مراكز المناعة الوطنية السياسية والعسكرية, أو بالإختراق المخابراتي الداخلي بأشكاله المتنوعة, أو بحروب الوكالة و شد الأطراف, أو بحشد و توظيف المرتزقة, أو بهذه التدابير العدوانية في آن معا. وقد شهدت بلادنا منذ إستقلالها أنماطاً عدة من كل ما تقدم.

إن كان التجريف السياسي و القيمي, و غيبوبة الضمير الوطني, و الاستحواذ الأجنبي على مقود الدولة, خلال الأعوام الخمس الماضية هو المسؤول عن بسط الأسباب و تمهيد السبل المتعددة لتمرّد الدعم السريع, و غزو البلاد بآرتال المرتزقة, فلا ينبغي أن نتصرف الأذهان عن محاولات لأحتلال البلاد بالمرتزقة « أشبه بالإستطلاعات التجريبية؟! » سبقت حرب المرتزقة الراهنة بعقدين, مدفوعة بما يوفره دائماً عامل الهشاشة السياسية من فرص للغزاة المتربصين بالبلاد. ما من تمرّد نشأ في جزء من البلاد إلا كان مصحوباً بتهيئ لإرتزاق مسلح هدفه النهائي الإستيلاء على الدولة, تماماً كما يسعى الدعم السريع وحلفائه اليوم. ولعل القارئ يذكر أوار المرتزق الألماني رولف شتاينر في حرب جنوب السودان في سبعينات القرن الماضي .

غير أن صنائع الإرتزاق الأقرب للذاكرة المعاصرة - كما أشرت- تجلّى في ما كانت تخطط له دوائر أمريكية استهوتها إغراءات الهشاشة و سوانح الحرب في دارفور, بعد نجاحها في تأجيج الحرب التي إنتهت بإنفصال جنوب السودان. فالتربص بالبلاد سيبقي ماثلاً على الدوام, وسيترجم التربص إلى فعل على الأرض كلما توافرت عوامل التفكك الناتجة عن وهن النظام السياسي و تناحر عناصر الأحزاب المتسلطة التي إعتادت الإرتهان المأجور للأجنبي.

تشكل في العام 2005م حشد متصاف من عشرات المنظمات و « اللوبيات » الأمريكية و الأوروبية و الإسرائيلية, مستقلة أوضاع دارفور, هدفه الأستراتيجي صناعة زخم عالمي يقود بالتواتر المتصاعد إلى فصل دارفور عن جسم السودان, على نحو يماثل ذات السيناريو المرسوم لجنوب السودان, و يتزامن معه, وعلى غرار ما أنتجته حروب البلقان التي قسمت يوغسلافيا, والتي كانت حينها لا تزال طرية في ذاكرة العقل السياسي الأمريكي و الأوربي. فلقد وفرت أجواء دارفور يومها إغراءات نادرة الحدوث لأستخدام حشود المرتزقة, التي ينعتونها أحياناً « بجيوش القطاع الخاص ». و ليس أبلغ في التذليل على ذلك ما خطه الكاتب الأمريكي يقظ الضمير و سيال القلم جيرمي سكا هل Jermy

Scahill الذي كشف في كتابه "بلاكوتر Blackwater" ما كان يتداوله مُلاك شركة المرتزقة هذه من مغريات وفرت لهم ساحة لإحتلال دارفور ! 17

"بلاكوتر" شركة خاصة , تشابه بالتطابق الدعم السريع, و تمتلك جيشا و أسلحة و طائرات, كما تمتلك أحدث منتجات المصانع الحربية من معدات القتال المتقدم , و تحظى بمساندة سياسية قوية في بلاد نشأتها.

وقد أورد جيرمي سكايل في كتابه المذكور أن أحد أبرز مديري شركة بلاكوتر يدعى كوفر بلاك Cofer Black - وقد كان يعمل في السفارة الأمريكية بالخرطوم في تسعينات القرن الماضي - قد أقنع زملاءه , ربما وفق ما توفر له إبان وجوده الدبلوماسي في السودان , من معلومات مفصلة عن دارفور خاصة , بأن شركته تستطيع نشر قواتها في إقليم دارفور, مضيفا ( كما أورد سكايل ) , بأن بلاكوتر قد طرحت بالفعل هذه الفكرة على مسؤولين أمريكيين وآخرين من حلف الناتو لم يسمهم, و بكلمات سكايل:

"Black suggested that Blackwater could deploy its forces in the Darfur region of Sudan, adding that Blackwater had already pitched the idea to unnamed US and NATO officials." 18

و طفق جيرمي سكايل يعدد مغريات بلاكوتر لأحتلال دارفور. و من ذلك أن الولوج إلى دارفور سيفتح لها بابا واسعا للثراء مدفوعة في ذلك بما تتلقاه من دعم الحكومات الغربية السياسي. كان ذلك الدعم قد هيا لها بالفعل قبولاً دولياً لإستمزاغ فكرة غزو السودان بجديّة و حماس, خاصة و أنها قد دخلت في العراق متعاقدة مع الحكومة الأمريكية دون أن يحظى غزو أمريكا للعراق بإجازة قانونية من مجلس الأمن الدولي. فكيف لا تسعى لإحتلال دارفور و السودان - في أعوام 2004 م و ما بعدها - يتناهشه سيل من القرارات الأممية الهادفة للتدخل, وقد تهيأ لها المسرح الدبلوماسي و السياسي تماما.

خلال إثنين و عشرين عاما ( 1996-2018 ) كان نصيب السودان من قرارات مجلس الامن الدولي إثنين و خمسين قرارا. منها ما صدر تحت البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة تحت عنوان : «تهديد الأمن و السلام الدولي», و أخري قرارات إجرائية متنوعة.

ففي العام 1996 صدرت ثلاثة قرارات بحق السودان, و قرار واحد عام 2001 , و أربعة عام 2004, و سبعة عام 2005, و إثنان عام 2007, و ثلاثة عام 2008, و ثلاثة عام 2009, و ثلاثة عام 2013 , و خمسة عام 2014, و خمسة عام 2015, و أربعة عام 2016, و أربعة عام 2017, و ثمانية عام 2018. 19

لا يماثل هذا السيل من قرارات مجلس الأمن حتى تلك المتعلقة بالقضية الفلسطينية, أو أيا من عشرات النزاعات في العالم. كل ذلك زخم غايته الإستراتيجية العظمى تهيأة المسوغات السياسية المفضية إلى الإستيلاء على السودان و موارده . و تلك غاية لا سبيل إلى بلوغها قبل تحطيم موانعها الوطنية الصلبة ؛ المدنية و العسكرية.

لا تحظى بلاكوتر بدعم الكيانات السياسية النافذة في بلاد منشئها فقط, و لكن أيضا

كانت تتمتع بمساندة المنظمات والlobbies الناشطة في تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية , حتى وإن كان بعض تلك المنظمات مناهضة للتدخل الأمريكي في العراق. فقد كانت تلك الجماعات ترفع في مظاهراتها ضد السودان في واشنطن شعارات تقول: Out of Iraq Into Darfur أي أخرجوا من العراق و ادخلوا إلى دارفور.<sup>20</sup>

يذهب جيرمي سكايل في تحليله لدوافع بلاكووتر لغزو السودان, فيقول ما ملخصه:

” أنه قد نتج من المقاطعة الاقتصادية الأمريكية للسودان إستجابة للوبي المعادي للخرطوم في واشنطن, أن توجه السودان شرقاً, و أصبحت الصين ذات حظوة في إنتاج النفط السوداني حتى بلغ السودان المرتبة الخامسة والثلاثين في سلسلة الدول المنتجة و المصدرة للنفط. علاوة على إحتياطي السودان المعتبر من الغاز الطبيعي. ثم إن السودان هو البلد الثالث في العالم الذي يحظى بمخزون ضخم من اليورانيوم هو الأعلى نقاءاً. وهو كذلك الرابع في العالم لمخزون النحاس.“<sup>21</sup>

و لأجل ذلك يقول سكايل:

” إن تغيير نظام الحكم في السودان لا يعني فقط القضاء على الحكومة الإسلامية التي نجحت في شق طريقها للتحديث بالرغم من المقاطعة الأمريكية, ولكن سيفتح باباً واسعاً للشركات الأمريكية لإنتزاع تلك الموارد من الصين. و سيكون توظيف القضايا الإنسانية في حركة الدبلوماسية الأمريكية ( القسرية ) هو المطية الظرفية الأنسب لبلوغ تلك الأهداف الإستراتيجية“<sup>22</sup>

في الأعوام 2005م و 2006م كان إيريك برنس Erik Prince المدير العام لبلاكووتر, كما يروي سكايل , يناقش مع الإتحاد الصناعي - الدفاعي - National Defence Association سبل الولوج إلى دارفور. بل تجاوز التداول الأحاديث العمومية إلى اللوازم العملية مثل شكل التعامل الميداني مع ما أسماه « بالجنجويد نسخة تلك الأيام » ! و وجوب تدمير قدرات الدفاع الجوي السوداني قبلاً . و في سبيل صناعة المصوغ السياسي لمشروع الغزو , ذهبت بلاكووتر تنشد المساندة الداعمة لرغائبها من منظمة ذات تأثير معتبر في السياسة الخارجية الأمريكية تسمى « الحرية المسيحية الدولية Christian Freedom International ” , و التي كان كل من مدير بلاكووتر إيريك برنس و داعمه بول بيهريندس Poul Behrends عضوين في مجلس إدارتها. تلك منظمة لها تاريخ طويل في الصراع السوداني الجنوبي - الشمالي مستفجرة كل جهودها من أجل إنفصال جنوب السودان.<sup>23</sup>

ليس ذلك وحسب , فقد تلقت بلاكووتر دعماً سياسياً و إعلامياً واسعاً من مشاهير الكتاب , و منهم ماكس بووت Max Boot الباحث في مجلس العلاقات الخارجية الذي هو مؤسسة ذات أثر مشهود في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية. يقول بووت في لوس أنجليز تايمز Los Angeles Times, ثالث أكبر الصحف الأمريكية , تحت عنوان :

” الحل في دارفور : أرسلوا المرتزقة Darfur Solution : Send In The Mercenaries

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )



” ما نصه :

«أرسلوا جيشا خاصا. هناك عدد من الشركات لها الرغبة في ذلك مثل بلاكووتر. إنمحوها الأجر المناسب لإرسال قواتهم المؤلفة بدرجة كبيرة من متقاعدي جيوش غربية, نحن ندرك من خلال الخبرات السابقة أن مثل هذه الوحدات الخاصة ستكون أكثر فاعلية من قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام»<sup>24</sup>

وهكذا.. فقد وفرت أجواء الصراعات السياسية في السودان, سواء المسلحة في دارفور أو بين النخب المتناحرة في الخرطوم , أبرز المغريات لإستجاشة المطاعم الأجنبية في البلاد.

كانت مخططات غزو السودان بنداً نشطاً يتداوله المتربصون بالسودان , حتى تكاملت عوامل إنفاذه - هذه المرة - من داخل عاصمة البلاد بعد عشرين عاما من إستمزاج فكرته التأسيسية تلك في عاصمة قصية.

غيرت بلكووتر إسمها لاحقا, عقب إدانتها في المحاكم الأمريكية بما إقترفته من مجازر بشرية في العراق إبان تعاقدها مع الجيش الأمريكي يوم غزوه للعراق. غيرت الإسم مع الإبقاء على جوهر نشاطها, وقد تعاقدت مع حكومة الإمارات العربية المتحدة في حرب اليمن. فلا يبدو غريبا أن تُستنسخ اليوم فكرة حشد مئات الألوف من المرتزقة من عشرات الدول تم تجنيدهم لغزو السودان , فهذا مشروع كان تداوله جادا على طاولة المتربصين , منذ ربع قرن يتوخون فقط إنضاج الظروف لإنفاذه .

إن العامل المشترك في حرب المرتزقة الراهنة في السودان, ونظائرها كما في حالة ليبيا التي حُشد فيها مرتزقة فاغنز الذين وظفتهم أيضا الإمارات للحرب بجانب حفتر<sup>25</sup>, أن دواعيها تنشأ دائما كنتاج حتمي لو هن يصيب قيادة الدولة في جميع مؤسساتها, يمهد السبل لأختراقات أجنبية , تقود بالأثر التراكمي لإنهيار النظام النظام السياسي, الذي تتجلى أبرز مشاهده في تحكم القوى الأجنبية بالكامل في صناعة بدائله . وهذا ما حدث في السودان قبل وأثناء و بعد ديسمبر 2019م.

لم نقرأ في مدونات الإجتماع السياسي المعاصر نظيراً لإختطاف الدولة بأكملها, و على مشهد و مسمع من أهلها, كما حدث في السودان. فإن كان الأجنبي مخططاً أو ممهداً أو محرّضاً, فقد توافرت لأنفاذ خطته المتربصة بالبلاد لعشرات السنين, ما لم يتوافر له في أي بلد آخر. فقد توافر للأجنبي في سنوات ما بعد 2019م كيانات سياسية ذات رغائب منسجمة بالكلية مع رغائبه, و هي كيانات و أفراد تولى إعدادها مسبقا , و لمدى زمني طويل لأداء هذا الدور , من خلال منظماته. أفراد و كيانات حزبية توافرت لديهم القابلية الجهيرة لبيع كل شيء بثمن ينجز رغائب مخدمهم.

و توافرت للأجنبي المتربص بعد أبريل 2019م , ما هو أغلى من إرتهان عملائه المدنيين. فقد إستسلمت فعليا بين يديه - من غير أن يدفع درهماً أو دولاراً- قاعدة مؤسسة سلفا لجيش يمتلكه القطاع الخاص. (غير الجيش السوداني الوطني طبعاً ) ,

قوامه حينها أكثر قليلا من ثلاثة عشر ألف فرد - على أرجح التقديرات - , تتملكه أسرة منتشرة أنسابها في عدد من الدول, و تتملك بمعاوضة ذلك مخزوناً مالياً مليارياً دولارياً تفوق مقاديره ما لدولة السودان.

فالدعم السريع كيان مملوك لأسرة حديثة العهد بالسودان. لم يحظ قائده «أو مالكة» بتكوين تعليمي يزيد أكثر من بضع سنين في مؤسسة للتعليم الأساسي , غادرها يافعا في عمر لا يدرك فيه معنىً جاذباً لأهمية البناء التربوي - التعليمي .. القيمة التي يدركها الناس جميعا . نزحت أسرته من تشاد تحت ضغوط الجفاف الذي ضرب الساحل الأفريقي في الربع الأخير من القرن الماضي.

يقول أهل الاختصاص : إن سنوات التنشئة في الصبا الباكر تمثل القواعد الأساسية الراسخة في البناء الوجداني و السلوكي اللاحق من عمر الإنسان. تلك فضائل تكوينية حرمتها منها قسوة الجفاف المتطاوّل و إنعكاس عذابه على رعاة الإبل في ذلك الجزء من تشاد و غرب السودان. و مما تواتر ذكره فإن السيد حميدتي لا يعدم قدراً من هبات الذكاء الفطري, غير أنه ذكاء ”خام“ لا تعززه مكتسبات الحد المعقول لتسنم المواقع القيادية العديدة التي آلت إليه فجأة في أبريل 2019م. و لا أظنه كان يُمني نفسه بأي قدر من ذلك في ماضي عمره. فإن ما أكتسبه قبل ذلك التاريخ, لا يوفر لصاحبه تأهيلا يمكنه, في تلافيف و تفاعلات تلك الأيام ذات التدخل الأجنبي الكثيف في شئون البلاد , للتمييز السياسي الناضج و المدرك - بشكل قطعي - بين ما هو ثابت إستراتيجي أعلى للدولة لا حياد عنه .. و بين ما يمكن أن يكون متغيرا سياسيا ثانويا محدودا .. هذه حالة نادرة توافرت بها ( لبُغات الطامعين كما توافرت لكواسرهم ) مسوغات الإبتزاز السياسي بكل عناصره و دوافعه . و من نَهم المغريات الجامحة التي بذلت له ممن ظن أنهم سادة العالم, بأن يكون أميراً متوجا لدولة ثرية, بسعة السودان و غزارة موارده. و أن تكون عشيرته الأقربين و ارثة أيضا تتسنم مقاليد الدولة الجديدة . و أن من ظن أنهم سادة العالم , غرسوا في كيانه كله إستعدادهم التام لتأمين إعتراف العالم بقيادته لملكه الجديد. و أن أول مظاهر الإسناد لملكه الموعود بدأ بالكتل المكونة للحلف متعدد الأطراف الذي, كما يشير التوليد المنطقي, أن السيد حميدتي و أخيه, أيقنا أن تحالفا في صدارته ثلاث دول دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي , علاوة على دول تتوافر على نفوذ مالي ضخم و أخرى مشهود نفوذها الإقليمي و الأفريقي , يقود زخم هذا الإغراء الجامح والنادر رئيس بعثة الأمم المتحدة السياسية!! هذا حشد لا يذر ريبه تحول دون ضمان تتويجه أميراً و تنصيب أخيه قائدا لجيش المملكة الجديدة . فلا عليه - إذا - إلا أن يحشد من الجند و العتاد ما يمكنه , حين يآزف ميقات التنفيذ , من الإستيلاء على البلاد في بضع ساعات أو بضع أيام بعد القضاء على جيشها و قيادته و قواها المدنية , التي على رأسها تلك الكيانات الوطنية غير القابلة للرشوة أو الإبتزاز. في مقابل ذلك , عليه أن يجعل من جيش مملكته المتشكل من المرتزقة المنحدرين من عشائر عرب الساحل الأفريقي حارسا مطيعا للمصالح الإستراتيجية لمن حملوه الى عرش مملكته.

إستعانت الحكومة المركزية في أول علاقتها بالسيد حميدتي في حوالى العام 2013م، بما يقدمه من خدمات أمنية مست الحاجة إليها، وأنجزها حينما ما طلب اليه على نحو كسب به قناعتها بتأهله لإنجاز خدمات مماثلة لاحقة، طلبتها دول عربية و غربية. عربية ضمن ما سمي بعاصفة الحزم، أو الحرب على اليمن. و غربية تمثلت في حاجة دول الإتحاد الأوربي الملحة لمكافحة الهجرات الأفريقية إليها، بما في ذلك محاربة تجارة البشر عبر الصحراء الكبرى. و تعاضمت من عوائد هذه الخدمات أرصدته المالية، من كلا المصدرين، بالعملات الحرة حتى بلغت - كما أذاعت بعض النشرات - عشرات المليارات من الدولارات، و أطناناً من الذهب أودعت مصارف الإمارات و غيرها.

و كما سلفت الإشارة، فإنه تحت إغراء السوانح التي أنتجها إنهيار النظام السياسي، ذهب سفراء بريطانيا و ألمانيا، سرا وبتواطئ مع رئيس الوزراء عبدالله حمدوك و بإسمه، في يناير 2020م، بتحرير طلب إلى الأمين العام للأمم المتحدة لتأسيس بعثة أممية سياسية و عسكرية شاملة لإدارة السودان. و هو ما يضع البلاد فعلاً تحت الإنتداب الدولي المتحكم به لمدى زمني غير منظور. لم تكن قيادة الجيش و لا بعثة السودان بنيويورك على علم بمضمون ذلك الطلب ”السري نادر المثال في تاريخ الأمم“، إلا بعد مرور أيام عدة من بلوغه مكتب الأمين العام في نيويورك. تلك حركة أقرب إلى ما شاع من نهج الجمعيات السرية كالماسونية و المافيات و جماعات الجريمة المنظمة منها إلى سلطة وطنية مؤسسية مسؤولة.<sup>26</sup>

غير أنه بإكتشاف مضمون ذلك الخطاب السري، تكشف أيضاً لذوي البصائر الأهداف الإستراتيجية العليا للقوى الغربية المتضامنة، وهي القضاء - كما ذكرنا - على دولة السودان بعد القضاء على جيشها الوطني، و أويلولة ميراثها، بمقادير متفاوتة الي مكونات الحلف الذي تشكل بهدف إنجاز ذلك الهدف الإستراتيجي. إن الدلائل الموضوعية التي تشير الى غايات ووسائل هذا التجمع المتضامن قد أفصحت عنه يوميات الصراع نفسها بكل وضوح، قولاً و فعلاً.

لم يثمر الطلب السري الهادف لوضع البلاد في حالة أشبه بالإنتداب الدولي الشامل وفق منطوق الطلب السري. لكنه أثمر في إستدعاء بعثة سياسية أممية بقيادة الألماني فولكر بيريتس. و إن لم تحقق البعثة لهم أطماع التحكم السهل في البلاد كما كان المرتجى حسب مضمون الطلب السري، إلا أنها كانت المنصة التي إنطلق منها تواتر الأحابيل التي كان يؤمل أن تنتهي لذات الهدف الإستراتيجي بأقل كلفة: الترويك، الرباعية، دستور المحامين، الاتفاق الإطاري، ورشة ما سمي بإصلاح الجيش.. الخ. و لما نضبت خزائن الأحابيل السياسية من بلوغ المراد، كان إطلاقهم للخيار الصفري؛ خيار الحرب. الخيار الذي إنخرطت في إنفاذه كتل أربع، متساندة و متناسقة بأعلى درجات الإعتماد المتبادل. لكل منها دوره المرسوم حسب المتاح الظرفي في فضاء حركته، غير أن الهدف الإستراتيجي النهائي واحد لم يتبدل.. وهو تفكيك السودان بدأ بتفكيك جيشه.

## الكتلة الأولى:

تحالف دولي تقوده بريطانيا وأمريكا وفرنسا وإسرائيل والإمارات العربية المتحدة. وإن عمدت الأربع الأولى للعمل جهارا حيناً، وفي الخفاء أكثر الأحوال، فإن دور الإمارات إستعصى على التخفي من فرط كثافته وتعدد وسائله. فهي التي تتولى اليوم إنخراطاً دؤوباً في مهام التوجيه والسيطرة والقيادة، بما في ذلك الكلفة المالية واللوجستية وسائر مطلوبات التخطيط والتنسيق اللازم لإدارة الحرب.

ففي عواصم أعضاء من هذه الكتلة، ولسنين خلت، تمت مدارس جادة حول مشروع غزو وتفكيك السودان، منذ أن كان ذلك رؤية نظرية «خام» تعتمل مدارسها خلف أبواب مغلقة في أجهزة مخابراتها، وفي مراكز فكرها الإستراتيجي، ترقباً لإنضاج الظروف التي تجعل إنفاذ المشروع ممكناً. وقد تواترت ثم تكاملت هذه الظروف بصناعتها للحراك الذي أنهى حكم الإنقاذ. وبزوال الإنقاذ أزيلت العقبة الأكبر أمام مشروع تفكيك السودان. وقد رأى الناس جميعاً كيف تصدر سفراء هذه الكتلة بكثير من التمر ذلك الحراك. ليس فقط وجودهم الكثيف بين المتظاهرين وفي ساحة الاعتصام، ولكن ما كان في مقار سفاراتهم أو قاعات تجمعات الكيانات المدنية التي أعدها لقيادة البلاد. تلك ممارسة إستباحة تماماً سيادة السودان، في سلوك ندر أن تحفظ مدونات التاريخ الدبلوماسي العالمي له نظيراً. فالعلاقات الدولية المعاصرة لم تعرف وظيفة حظيت ممارستها بتنظيم قانوني شديد الدقة والتفصيل كما شهدت وظيفة التمثيل الدبلوماسي. فمنذ مؤتمر فيينا 1815 حين نشأت فكرة التمثيل الدبلوماسي المقيم، مروراً بكل تعرجات العلاقات بين الدول عبر القرون، وحتى ميثاق الأمم المتحدة، وإنهاء باتفاقية فيينا 1961م، التي تفصل بدقة ما يجب إلزامه في ممارسة التمثيل الدبلوماسي. ثم إتفاقية فيينا 1963م التي تنظم بذات النهج العلاقات القنصلية. هذه هي أدوات القانون الدولي الحاكمة للتمثيل الدبلوماسي. غير أن سفراء هذه الكتلة إستمرأوا إستباحة البلاد وإنتهاك سيادتها. فلقد كان منسوبو الكتلة الثالثة في هذا الحلف (كما نبين أدناه) موظفون تحت إدارة هذه الكتلة الأولى. فهي التي تدفع رواتبهم وتكاليف حركاتهم، وهي التي كانت تصمم سياسة البلاد الداخلية والخارجية في سنوات حمدوك وقحت وتعتمد إليهم لتنفيذها. وهي التي تُرفع إليها تقارير أدائهم. بل ذهبت هذه الكتلة - كما بينا - إلى مخاطبة الأمين العام للأمم المتحدة لإنشاء ما أسموها بعثة سياسية تتولى بالكامل إدارة البلاد في جميع شعاب الإدارة. وبذلك سعت - بتخف مكر - لتصفية إستقلال البلاد ووضعها فعلياً تحت الإنتداب الدولي. يعني ذلك بعبارة أكثر إفصاحاً وضع السودان كله تحت إدارتهم، إما مباشرة، أو بمن يسمونه من شركائهم في العالم.

تلك كانت حالة «الرق المنحوس» التي وفرتها غيبوبة الدهر الكبرى منذ أواخر العام 2018م وما بعده. فقد تهيأت لهم أكبر السوانح لإعادة إستعمار السودان.

”الرق المنحوس“ مصطلح نحتة العلامة عبدالرحمن الكواكبي عندما كان يخط كتابه الذي أسماه «طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد»، ويعني به هيمنة وإستغلال القوى الأجنبية المترصدة لحالة الضعف التي تتردى فيها دولة ما، قضت أقدار الله فيها أن

تنزلق في مهاوي التيه العدمي. فلقد تلقت هذه الكتلة - المترصدة أصلا بالسودان - حالة الغيوبة حينذاك، و تولت بذاتها التحكم في وجهة البلاد.

### الكتلة الثانية:

تحالف إقليمي من تشاد، وبعض أعيان دول الساحل الأفريقي، و أفريقيا الوسطى، و كينيا، و يوغندا، و أثيوبيا، و ليبيا "حفر"، و جنوب السودان.. ثم عناصر قيادية في المنظمات القارية الأفريقية ( الاتحاد الأفريقي و الإيحاد). و قد عمل المال السياسي عمله بين عناصر هذه الكتلة حتى أزمكت أخبار الرشاوي أنوف الأفارقة.

الدور المناط بهذه الكتلة هو توفير إسناد دبلوماسي إقليمي قاري، تطوره حليفاتها الكتلة الأولى - حين نجاحها في الإستيلاء على البلاد و تدمير جيشها - إلى إسناد دولي يعترف ثم يدعم ما يؤول إليه سودان ما بعد السودان الحالي.

### الكتلة الثالثة:

إن كتل التحالف الخارجي - الدولي و الأفريقي - الوارد ذكرها أعلاه ، صنعت تحالفا سياسيا وظيفيا داخليا سمي بأحزاب و كيانات قوى الحرية والتغيير « قحت»، ثم لاحقا « تقدم»، ثم من أفراد تربطهم علاقات شبكية مع دول و كيانات الكتلتين السابقتين. منهم من عمل في مؤسسات أي منهما لأزمان متطاوله. و منهم من إتخذ من تلك الدول مستقراً له لعشرات السنين و أكتسب جنسيتها، بعد أدائه قسم الولاء للدولة التي منحته جنسيتها حين تضارب المصالح بينها و أي بلد آخر، بما في ذلك السودان ؛ بلاد مولده و نشأته الأولى. يلزمنا هنا القول: أن من بين الألوفا من السودانيين مزدوجي الجنسية - بل أغلبهم - شرفاء خلت صفاتهم من توصيفات العمالة أو الخيانة.

أوكل لمنتسبي هذه الكتلة مهام لا تتمكن الكتلتان الأولى و الثانية من أدائها على نحو مباشر. ولكنها تستطيع أداء ذلك بالمساندة المتوفرة من قيادة الكتلة الرابعة.

### و تنحصر إجمالاً مهام هذه الكتلة في:

- 1: تفكيك مجمل ركائز دولة الإنقاذ ، بما في ذلك فصل الآلاف من منسوبي الخدمة المدنية و الهيئة القضائية و السلك الدبلوماسي، و إحلالهم بآخرين إنحدر كثير منهم من دول الكتلة الأولى، و التي طالت إقامتهم فيها لعشرات السنين و أكتسبوا جنسيتها و أصبحوا رعاياها.
- 2: مصادرة أملاك من يعتقدون له صلة مباشرة أو غير ذلك بحكومة الإنقاذ. يفعلون ذلك بوضع اليد دون أدنى إجراء قانوني تفصل فيه محاكم السلطة القضائية.
- 3: بمؤازرة الكتلة الرابعة، فصل الآلاف من ضباط الشرطة و جهاز المخابرات العامة.
- 4: بينما إنفردت الكتلة الرابعة بالإيعاز لقيادة الجيش بفصل المئات من ضباط الجيش. و حل هيئة العمليات التي هي أهم وحدات جهاز المخابرات الوطني، و مصادرة أملاكها لصالح الكتلة الرابعة ( الدعم السريع ) بما في ذلك الأجهزة و الأسلحة و مئات السيارات،

وجميع مواقعها و معسكراتها داخل و حول المدن .

5: إن أبلغ مهام التعاضد المتناسق بين الكتلة الأولى وهذه الكتلة, هي الأضطلاع النشط بإنفاذ مشروع علمنة الدولة. أو بإصطلاح أدق فرض « تقليعات» الليبرالية المستحدثة التي تأخذ الآن بتلايب المجتمعات الغربية, و أهم مظاهرها الحرب المنظمة على الدين الإسلامي في كل فضاء سلوكي أو تعليمي , و العمل الدائب لخلخلة اليقينيات الإيمانية ذات العمق المتجذر في شعاب المجتمع السوداني. و حرص رئيس الوزراء حمدوك لإيلاء وزارات العدل و التعليم و الشؤون الدينية للعناصر الأكثر تطرفا في الحرب على الإسلام. و إتساقا مع ذلك أوكلت وزارة التربية والتعليم , و إدارة المناهج التربوية الى من يدعو الى نفي الثوابت العقيدية و إقصاء ثم خنق المحتوى الديني القرآني من مصفوفات التربية الأساسية. وقد كانت الكتلة الأولى في حلف إستعمار السودان سخية في بذل المال اللازم لطباعة مناهج تغرس العداء الجهير للمقدسات الإسلامية.

و في ذات السياق, إستفرت حكومة حمدوك , التي قوامها هذه الكتلة, كل قواها لمحاربة الجمعيات و المؤسسات الأهلية القرآنية, وتسليم دورها لإدارة تابعة لرئاسته تعنى بما أسموه إدارة النوع أو « الجندر», التي لا يرد ذكرها في الغرب إلا برفقة التمر على يقينيات المقدس الديني و البدهيات العقلية, و المثلية الجنسية , و زنى المحارم , و إزدراء الفطرة السوية في بناء الأسرة و نظم الارتباط التربوي بين أفرادها.

6 : أما أهم المزالق التي أضطلع بها حمدوك, كبير هذه الكتلة, هو التواطؤ السري - كما ذكرنا- مع السفير البريطاني, في يناير 2020م , بطلب للأمين العام للأمم المتحدة, لتأسيس بعثة سياسية شاملة لإدارة البلاد, و لمدى زمني غير منظور.

صحائف التاريخ تخبرنا أن الإحتلال الأجنبي لا يتم إلا بالتغلب القاهر للدول, عندما يتحطم جيشها و ينهار نظامها الوطني بكامله. غير أنني لم أسمع برئيس يدعو طوعا لإعادة إستعمار بلاده من الدولة التي استقلت بلاده عنها قبل أربع و خمسين سنة. لكن, تنجلي - ربما- للمتفحص في غرائب الأحوال , أن عبدالله حمدوك , حامل الجنسية البريطانية , حين تواطأ خفية مع السفير البريطاني على تصميم طلب البعثة الأممية الشاملة, لم يكن - كما يتولد عقلا للمنطق السليم- يلتفح عباءة رئيس وزراء السودان. الصفة الأبرز له في هذه الحالة, هي صفة مواطن بريطاني في دولة أجنبية يتلقى تعليمات من حكومته ينقلها له سفير دولته بريطانيا بالخرطوم, ليخاطب الأمم المتحدة لإنفاذ طلب دلالاته العملية هي إلغاء سيادة البلاد وإحتلالها .

فإن مضت هذه الواقعة النادرة في تاريخ الأمم , كما تمضي حوادث المرور العفوية في الليالي المظلمة الغبراء, دون مساءلة جادة, فعلى دارسي العلم السياسي و القانوني - إذا - و على الوطنيين في كل مكان أن يقبوا في قواميس الأرض عن تعريف جديد لمصطلح "الخيانة العظمى"!!



## الكتلة الرابعة:

وهي الركن القتالي الداخلي الأهم , والذي أوكلت له عناصر التحالف الثلاثة العمل العسكري الميداني الهادف لإنفاذ المشروع. تلك هي قوات الدعم السريع التي حشدت - لهذا الغرض- و دربت وسلحت و مولت مئات الآلاف من حواض قبلية معروفة ينحدر أغلبهم من عرب دارفور, و مرتزقة جلبوا من تشاد و ليبيا و النيجر و مالي و أفريقيا الوسطى و الكامرون. و قد تعزز هذا الحشد العسكري الضخم بمرتزقة محترفين في تشغيل المدفعية الثقيلة و الهاونات من جنوب السودان, و آخرين لتشغيل طائرات الدرون , و أعداد كبيرة من المرتزقة القناصين , الذين تم تجنيدهم من أثيوبيا , و مثلهم من أكثر من سبع عشرة دولة, إستجلبهم - تحت إغراء المال - الدعم السريع للقتال بجانبه من فوق أسطح الأبراج العالية, بعد إستيلائه على الخرطوم و أم درمان و الخرطوم بحري.

الكتل الأربعة المذكورة , منتظمة في كيان سياسي متعاقد و متناسق , هدفه هو إنفاذ غاياته. ولكل كتلة مهامها المحددة لبلوغ الغاية الإستراتيجية المرسومة. غير أن الوقائع اليوم على الأرض بعد مضي عام و نصف من الحرب, تشير بإضطراب يومي إلى أن الفرضيات التي تأسست في أجوافها مغريات إستباحة السودان قد تأكلت ثم دألت شمسها و أذنت بمغيب . وكما نبين أدناه, فإن المخزون القيمي و الروحي للوطنية السودانية لم يستنفد بعد, كما كانت تؤمل كتل هذا التحالف . فلم نر في التاريخ المعاصر تلاحما إنصهاريا بين الشعب السوداني و قواته المسلحة مثلما نشهد اليوم. فقد أشعل العدوان متعدد الأطراف على السودان كوامن الوحدة الوطنية , و أنتج قاعدة مجتمعية صلبة غيرت معادلات الصراع لأمد غير منظور.

يقول أهل التحقيق: الإنسان يتغير لسببين؛ حينما يتعلم أو حينما يتألم, ولقد شيع أهل السودان من كليهما, و لأجل ذلك إنجلت من سواد الناس الأعظم الغشاوات التي أعتمدها منتسبو الكتل الأربع لإعادة إستعمار السودان. و أدرك الشباب الذين إغتالت كتل الحلف الشرير آمالهم, مهالك السير على طريق يدرك كل ذي بصيرة خطورته. فذو البصيرة الناصحة يقول: عندما تركب القطار الخطأ, حاول أن تنزل في أقرب محطة, لأنه كلما بعدت المسافة زادت تكلفة العودة بنحو يصعب تصحيحه. و قد عاد من كانت أركان الحلف تمنيه بجنة النعيم , بينما تستن خلسة سكاكين الغدر بالوطن كله. وما من ذي بصر أو بصيرة تذكر عنده مجرد خاطرة تدعو إلى عودة من إختطفوا مشهد ما بعد أبريل 2019م في طور جديد, إلا و تحضره الحقيقة البدهية التي تقول: « لو غسلت الفحم ألف مرة فلن يتغير لونه إلى بياض».

ما حدث عام 2019م كان حدثا مشحونا بمحتوى إنفعالي إنفرطت وجهته فتألقته الكيانات المتربصة أصلا, وصنعت من فراغاته الوطنية مشروعهم لإعادة إستعمار البلاد.

## ... و ماذا بعد؟

ظن كثيرون أن البشرية قد تعافت مما بلغها علمه من فظائع الحروب القديمة. كما ظن

آخرون ان قرون الإستعمار التقليدي بالآلة الحربية و الإحتلال المباشر, قد ولّت من غير رجعة. وظنت طائفة من « المثاليين », أن القانون الدولي العام, و ميثاق الأمم المتحدة, و إتفاقيات جنيف الأربعة, و الإتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة و إستخدامهم و تمويلهم وتدريبهم 1989م, و إتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية للقضاء على الإرتراق, و إتفاقيات فيننا المنظمة للعلاقات الدبلوماسية, و اللجنة الرابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة المعنية بتصفية الإستعمار, و الإنتساب إلى المنظمات الدولية و الإقليمية.. ظنوا ان هذا الزخم الكثيف من الموائيق و المنظمات و المؤسسات, يضمن تلقائياً للشعوب الحرية و الإنعتاق من فظائع الإحتلال الأجنبي. سواء إحتلال بالأصالة الجهييرة المباشرة كما في نسخة الإستعمار الأولى, أو بالوكالة و الرشوة و حشد المرتزقة كما في نسخته التي يشهدها السودان اليوم.

غير أن حربنا الراهنة كشفت أيضاً , وبأبلغ برهان أن صون إستقلال الشعوب , وبسط سيادتها الوطنية على أراضيها , غاية لا تبلغها إلا الشعوب بنفسها, عبر الإصطفاف الصلب لجميع قواها الوطنية الحية و الشاملة, وتماسك مؤسساتها التي على رأسها المؤسسة العسكرية.

إن الوهن الذي ضرب أجهزة مناعتنا الوطنية و القيمية في السنوات الماضية, هو قانون السببية الأبرز الذي يفسر تراكم الإنحراف متعدد الأشكال الذي تجلّى بسفورطاغ في سلوكيات عام 2019م و بعده. و إنطلاقاً مما تأسس على تلك السلوكيات إشتعلت مخازي الدهر التي سجلتها توثيقات جنود الدعم السريع أنفسهم. ليس فقط القتل و النهب و الحرق و إستلاب الأموال و الأملاك و البيوت و المتاجر و المصانع و البنوك. و المستشفيات و الجامعات و المتاحف و المساجد و دور العبادة. و السجلات المدنية و القضائية و توثيقات ملكية الناس للأعيان العديدة. و الدمار الممنهج لذاكرة الثقافة الجامعة و سجلاتها الحافظة لتاريخ الإجتماع الوطني الممتد عميقاً في وجدان أهل السودان لمئات و آلاف السنين. ولكن و لغرابة هذا الشذوذ السلوكي عديم النظائر, تفردهم ليس فقط في توثيق كل أو جل ما ذكرنا , ولكن تصويرهم لجرائم الإغتصاب, ليشهد عليها العالم, على شاكلة تطابق تماماً ما تفعله السوائم البهيمية.

وما تواتر لنا من مرويات الجرائم الكبرى ضد الإنسانية كنظائر ما فعلوا, يشير إلى أن من يقود أولئك الجنود المرتزقة يهدف عمداً لإعتماد مثل هذا السلوك الإجرامي البهيمي. فالإغتصاب هو أكثر الأسلحة فتكاً من أجل تحقيق الإغتيال التام لشخصية الإنسان السوداني . و لما كانت الأعراض أغلى ما استودعه الله لدى الإنسان السوي, فإن قادة الدعم السريع وحلفائهم يعتمدون الإغتصاب أقوى الأسلحة التي تقربهم من هدف إحتلال البيوت و الإستيطان فيها. يسارع الناس بالنزوح من بيوتهم حال أن نزل في بلدهم جنود الدعم السريع خشية إذلال الأب و الأم بالضرب أو السحل أو حتى القتل , و من ثم يفعلوا بالبنات ما أصبحت لهم جبلة منشورة مذكورة للزهو و التباهي, فخرأً بقتل الأب و سبي البنات و بيعهن كأي متاع نهبوه. الإغتصاب الممنهج و الموثق سلاح إستخدمته عصابات مماثلة

في دول أخرى , كانت نتائجه مدمرة لضحاياه , و داعمة لأهداف الإستيطان كما حدث في فلسطين و في البوسنة و غيرهما. فهو دائما السلاح الأقوى لإحداث صدمة وجدانية بالغة العمق و العنف, تنتج إنكساراً نفسياً قاصماً, يمهّد - كما اشرنا - بالأثر التراكمي لتحقيق أهداف الغزاة للإستيلاء على البلاد خالية من أهلها.

فإن لم يكن القتل و النهب و الحرق و إستباحة الأعراض و إهانة المقدسات و إستلاب البيوت و الممتلكات و إستتساخ المنهج الإستعماري - الإستيطاني - الإحلالي - الصهيوني في فلسطين, و إعماده نهجا يعاد إنتاجه في السودان.. إن لم يكن أيّا من هذه الرزايا كاف لإستتهاز الضمير الوطني, فإن الإنتصارات الغالية التي يحققها الجيش الوطني برفقة كتائب الإسناد الشعبي المسلح, مهددة بإفراغها من حصاد جهادها الذي مهرته بدماء الشهداء و الجرحى و الأسرى و آلام الأيتام و الأرامل .

لأ يزال بيننا من يدور في رحى التيه السياسي العتيق. تماما كما لا يزال منا من لا يرى الوطنية إلا - مثل ما اعتاد - على أنها مصدر دخل مالي سهل التحصيل. و مطيته لذلك المصدر قالب سياسي فارغ من مضامين و مطلوبات الخلاص الوطني المتحرر من كواليب و حبال التسلط الأجنبي الطامع في إستلاب البلاد؛ هويتها.. و أرضها.. و مواردها. وهو يدرك ألا سبيل لبلوغ تلك المطامع من غير القضاء على مكانم المناعة الوطنية . فلقد شبع أهل السودان من كل نهج يستورد المعلومات السياسية الأوربية أو الأمريكية أو غيرها. كل ذو عقل يعلم يقينا أنه لا ينبغي لك أن تشرب البحر كله حتى تتأكد أن ماءه مر أجاج لا يصلح لحياتك. و لقد ذاق أهل السودان في السنين الخوالي ما به تيقنوا من مرارة حنظل النهج السياسي المتسلط عليهم بإملاء و تسليح و تمويل و دعم دبلوماسي من كتل الحلف الرباعي السابق ببيانها.

فمن غير إستيعاب عميق لعبرة ما حل بنا , لا حديث يمكن أن يقود إلى خلاص وطني مستدام. و في طوايا الجهد المفضي لطريق الخلاص المستدام, لا يجدينا الجمود في ما اعتدنا من هياكل العمل الساسي القديمة. فهي أولا: متغيرات نسقية و ليست ثوابت عقيدية. وهي ثانيا: إن ناسبت مسرح الحركة السياسية السودانية في عقود مضت , فإن الحرب الراهنة صنعت دروبا للعمل الوطني حادة الزوايا و خطيرة المزالق . و ما بات يستيقنه غالب أهل السودان أن إعادة إنتاج نهج الساسة الذي إعتادوه في ما مضى من أساليب يشكل حالة تهدد وجود الدولة و ما عليها.

ليس في طبائع الإجتماع السياسي جمود هيكلي يتغير الزمان و الناس ولا يتغير. بل التغير هو ديدن الجبلية البشرية. ما من أمة أصابها من الرزايا بمقدار ما أصابنا , إلا كان ذلك أقوى محركات يقظتها ثم نهضتها. يقظة عقلية و وجدانية تحيل ما فات في تلافيف الغفلات و اللامبالاة إلى إنتباهة متحفزة. قديما نسب للأمام علي كرم الله وجهه أنه قال :  
« الناس نيام , فإذا ماتوا انتبهوا »!!

ما نخطه في ما يلي من مرئيات هو تعبير عن الإنتباه, مثلما هو دعوة لمساهمات من كل من توافرت عنده رؤيا تتكامل مع هذه التي أوردتها. دعوة غايتها تأسيس مستدام

لمجتمع سياسي آمن و راشد و عادل و مستقر. رؤية تستصحب الثالوث الظرفي الذي في طواياه تنشأ البقطة وتتولد العظمة و الدروس. ذاك هو ثالوث إستيعاب الماضي و الحاضر و المستقبل. و في رفقة هذا الثالوث نستصحب أيضا تفاعلا واجبا لمتلازمة أخرى ثلاثية الأبعاد, لم تتجاوزها جميع النظم السياسية المستقرة. وهي متلازمة الفكر السياسي, و المؤسسات السياسية, و الأداء السياسي. الفكر السياسي ( الأمني والإداري و الإقتصادي و التربوي التوجيهي ..الخ ) المنسجم مع جذور و خصائص واقعه المجتمعي. و المؤسسات السياسية المعبرة عن حاجة و ضرورات وجودنا الإنساني الحياتي, و الملزمة بمضامين ذلك الفكر. و الأداء السياسي المنضبط بمعايير الفكر السياسي و قوالبه المؤسسية.

### ترتيب ما قبل الانتقال:

آثار العدوان اليوم تغطي جميع مساحة البلاد . و الدمار الكامل أو شبه الكامل , شمل جميع شعاب الحياة. و التجريف العميق لم يستثن النسيج المجتمعي و لا التعايش السلمي الذي و إن كان مضطربا في جزء قصي من البلاد, إلا أن أغلبها كان آمنا مطمئنا. غير أن إنهيار سقف الدولة أصاب الجسم الوطني كلة بكسور مركبة و تهتك خطير. و في تلازم هذا المنزلق المتهاوي, يثور سؤال مهم: ما هو المنهج الأوفق لإدارة دولة هي اليوم في غرفة إنعاش مكثف, لا تزال تغالب أحابيل عدولا يبدو أنه قد آيس بالكيله من بلوغ أهدافه الإستراتيجية التي من أجلها شن عدوانه؟

و ما هي الترتيب المنهجية الأكثر مناسبة للأولويات الملحة اللازمة أولاً لإسترداد الدولة نفسها ثم صون وجودها , ثم إستئناف وظائفها الحيوية ؟ وكيف يبدو التصميم النسقي الأكثر مواءمة لتحقيق الأداء المثالي لمؤسسات الدولة بما يمكنها من إنفاذ المهام ذات الأولوية القصوى؟ فالمؤسسات ذات الصدارة لإنجاز مهام الإنعاش الأساسية هي: الأجهزة العسكرية و الأمنية , و المؤسسات السيادية , و القطاع الإقتصادي, و القطاع الخدمي , و القطاع الإجتماعي و الثقافي, و الأجهزة النظيرة لكل هذه الولايات.

ويلزم إنطلاقاً مما تراكم من تجارب السنين, ولمناسبة مقتضيات الظرف الراهن, أن تتم الملاءمة العملية في ترتيب هياكل الحكم الفيدرالي , لتكون مهام السيادة (الأجهزة الأمنية والعسكرية.. و السياسة الخارجية.. و السياسة المالية.. و القضاء و النيابة الاتحادية... الخ) من إختصاص الحكومة الاتحادية. وأن يؤول تأسيس و إدارة جل الخدمات الحيوية لحكومات المجتمع المحلي في محلياته القاعدية. بينما تتولى حكومات الولايات مهام التخطيط و التنظيم و التنسيق و الرقابة و الإتصال بين المستويين الإتحادي و المحلي.

إن بلوغ أنسب المناهج لتكوين منظومة تنفيذية ذات خصائص و قدرات تستوعب حجم المحنة وتدرج يقيناً تلافيها المعقدة , و تنشئ مؤسسات تكافئ حجم المطلوب .. فهذا أمر يستوجب أوسع ما يمكن من الإسناد القاعدي, و بأعلى ما تتيحه ضرورات الواقع من مقادير التمثيل الشعبي. هذا نهج يعالج خطر المزالق المهلكة التي غالبا ما تصاحب عمليات إنتقاء الكوادر ذات الولاء الوطني غير القابل للرشوة أو الإبتزاز أو الإرتهان للخارج... تلك هي - كما يعلم الجميع - النعوت التي إنتهت بالبلاد الي وضعها الراهن.

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )

إن أغلب المزالق ناتج عن تقديرات إنطباعية لشخص أو أشخاص تصادف وجود أسمائهم لدى أفراد في كابينة القيادة. ولا تزال عيرة أخطاء الإبتداء في مثل هذه الممارسة يتجرعها أهل السودان منذ أن أنتجت غيبوبة الدهر العناصر التي قادت البلاد عام 2019م وما بعده. ولقد صدق إمام الطريقة أبو القاسم الجنيد الذي نسبت إليه الحكمة البليغة التي تقول : « من كانت بدايته أحكم.. كانت نهايته أتم »!

إن الخلل المنهجي الكارثي الذي صاحب إختيار قيادات تلك المرحلة عام 2019 وما بعده, كان هو الحدث المؤسس لمآلات البلاد الراهنة. فمنذ أول يوم تسلم فيه حمدوك رئاسة الحكومة, ظهر تسلط الكتلتين الأولى و الثالثة المذكورتين أعلاه. و من ثم بدأ بإضطراب يومي إنزلاق البلاد للهاوية, و ضياع سيادتها, و إختطاف مصيرها. و شهد السودانيون كما شهد العالم, تنمر سفراء الكتلة الأولى من مكونات تحالف الحرب, وتحكمهم المخزي في رئاسة الحكومة, ليس فقط تمويلاً و رقابة, ولكن أيضاً في صناعة السياسة الداخلية و الخارجية. بل التآمر خلسة لوضع البلاد تحت الإنتداب الدولي. تلك كانت نقطة الإنكسار العظمى في تاريخ الدولة السودانية, مثلما كان منتجاً طبيعياً و تلقائياً للخلل المنهجي في تخير القيادات, حين حُصرت خياراتهم في كيانات صغيرة أو أفراد متخفين خلف أبواب مغلقة مشحونة دواخلهم بتسليم مطلق لإرادة الأجنبي.

إن المنهج الأوفق الذي يراه الكثيرون, هو منهج السعة التمثيلية القاعدية المسؤولة. و إحلال فكرة القائد الواحد المتفرد, أو نفر قليل - مهما كانت نزاهتهم مشهورة مذكورة- بفكرة منظومة شورية واسعة القاعدة, تضع أسساً موضوعية معيارية لأختيار القادة التنفيذيين, و إسنادهم حين يستقيمون على جادة البرامج التعاقدية التي تحكم أداءهم, أو محاسبتهم حين الإنحراف أو العجز و تخييرهم حينها بين الاعتدال أو الإعتزال.

و بهذا فإن المنهج الذي أراه أوفقاً, كما يراه كثيرون, هو إنشاء كيان تشريعي - إستشاري, يتم إنتخاب عضويته بالتقويض القاعدي المباشر لممثل أو ممثلين (أثنين) عن كل محلية في السودان. ثم من ممثلين للقوات المسلحة و القوات النظامية الأخرى, و آخرين ممثلين لنفرة الإسناد الشعبي المعززة للقوات المسلحة. ثم ممثلين للقطاعات الوطنية المهنية و الفئوية المختلفة.

و تحظر عضويته على كل من ثبتت مشاركته في الحرب على الدولة وشعبها, قولاً أو فعلاً. حظر المتمردین المحاربين للدولة ممارسة منطقية تأخذ بها كل الدول, بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية التي ينص التعديل الرابع عشر - القسم 3 - لدستورها ما نصه بإيجاز: « لا يجوز لأي شخص أن يكون ناخباً.. إذا.. شارك في تمرد أو عصيان .. أو قدم المساعدة أو الدعم لأعدائها ” المقصود هنا أعداء أمريكا.

### مهام المجلس الانتقالي :

أولاً : إعتداد دستور إنتقالي لإدارة البلاد, و تهيأتها للإنتقال من غرفة الإنعاش الإستثنائية الراهنة الى وضع تتطبع فيه الحياة العامة بنحو معقول يسمح بإنتلاق النشاط الحيوي

الإقتصادي المنتج , و بإستئناف الخدمات الأساسية, ثم بصناعة دستور دائم.

ولعل الأوفق إعتداد دستور 2005 , مع إلغاء أو تعديل المواد التي كانت تحكم القضايا التي تجاوزها الزمن, ولم تعد تخاطب اللوازم الموضوعية الراهنة.

ثانياً : إقرار قيادة القوات المسلحة للمرحلة الإنتقالية, بما في ذلك إعتداد القائد العام رئيساً لمجلس السيادة . و تحديد المدى الزمني للإنتقال. ثم إعتداد أعضاء المحكمة العليا و المحكمة الدستورية, و النيابة العامة.

القوات المسلحة , و السلطة القضائية , و النيابة العامة , و هيئات ضبط القانون , هي المؤسسات السيادية الوازنة و الضامنة للممارسة المسؤولة , وهي الممسكة بمعايير حوكمة العمل السياسي التي تضطلع بتصحيح المسار كلما استبان إنحراف في الممارسة أو جنوح للتسلط الأجنبي.

و بإجمال أقول : إن حوكمة العمل السياسي هي مركز واجبات المؤسسات الضامنة و الوازنة. والتي هي؛ صون وجود الدولة نفسها ( فالسودان يخوض اليوم حرباً تستهدف أساس وجوده كدولة), ثم سيادة القانون المنظم للممارسة السياسية , ثم الرقابة اللصيقة حتى لا تنتهوى الممارسة إلى منحدر الإنحراف.

ثالثاً: وضع و إجازة المعايير الموضوعية, و الشروط المؤهلة اللازم توفرها في رئيس الوزراء و أعضاء حكومته و كل من يشغل موقعا دستوريا. و التيقن أولاً من وضوح الرؤية حيال السياسات الموجهة للبلاد في منعطفها الراهن لدى كل من يتسنى موقعا قياديا بمن فيهم رئيس الوزراء.

رابعاً: وضع أمن البلاد في صدارة جميع الواجبات ذات الأولوية الأقصى. و إعتبار مبدأ «المجتمع الأمن» أو «مجتمع الأمن Security Community» هو مركز دائرة الحركة السياسية و الإقتصادية و المجتمعية الذي يتخلل البلاد من أكبر مدنها إلى أصغر النجوع و البوادي.

تصميم الرؤية الأمنية هي أم الأولويات التي عليها - بعد عون الله وتوفيقه - يتوقف وجود أو فناء دولة السودان. و إن كان أهل الإختصاص هم مستودع الدراية و الدربة الذين تراكمت خبراتهم لعشرات السنين , إلا أن أفرع الأمن الحياتي العديدة تستوجب الإستنفار القاعدي الواسع الذي إحتوت أهم عناوينه أجزاء متفرقة من هذا المقال. حين يتحرك دولا ب الدولة الإنتقالي, لا بد أن تُستجلى الرؤية الأمنية الشاملة , تم تستخلص منها خطة خالية من الغيبش و الغموض, ثم تفرع الخطة الى برنامج عملي تنفيذي يتوافر على جميع إمكانات النفاذ ؛ المادية و البشرية.

إن من أبلغ دروس الحرب الراهنة, أنه كلما إتسعت مساحة الوعي في المجتمع القاعدي, كان ذلك أهم الأسلحة لمواجهة المخاطر الأمنية. و بالمخالفة ؛ فإنه من حالة عجز التراتيب المؤسسية عن الغوص عميقا في القواعد الأهلية - المحلية, تتخلق البيئة المنتجة لمهددات الأمن الوطني. فالفراغ المؤسسي يحدث دائماً فجوة بين الدولة و السكان في قواعدهم,

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )



و بغياب الدولة هناك يذهب الناس بنحو تلقائي لتعزيد البنى الأكثر تقليدية و عشائرية. و بتطاول أزمان هذا الفراغ يتطبع المجتمع المحلي بطابع اللادولة, بذلك يتعزز الإنتماء القاصر حصراً على حدود العشيرة الأقرب. ذلك إنتماء تعويضي ناتج إما عن تباعد ظل الدولة أو غيابها بالكلية. و هكذا يتشكل الولاء الجمعي حول تضامنيات عصبوية تمنح الحماية قصراً لأفراد و بطون القبيلة. وبدلاً عن السير المنتظم نحو التجانس و الإنصهار الوطني, يزداد الجnoch تباعداً عن الهوية الوطنية الجامعة.

في طوايا العزل المجتمعي الفراغي تستزرع القوى المعادية للسودان فيروسات الفتك أولاً بجسم المجتمع المحلي, ثم بالأثر التراكمي, و بالتوظيف الكثيف للمنظمات الأوربية و الأمريكية, و التي جلهما يمثل أذرعاً استخبارية متقدمة, بتمويلات مليارية سخية, لخدمة الأهداف الإستراتيجية بداءً بإختراق المجتمعات الهشة المنعزلة عن منظومات الأمن الوطني. جل المنظمات ذات المهام الإستخبارية تنعدم لها أنشطة خدمية أو تنمية ذات بال. و تنحصر تغطية حركتها الأم في الحراك السياسي و الإجتماعي و الثقافي الموجه لخدمة الأهداف الإستراتيجية لدولها. ويخضع وكلاؤها المحليون لدورات تدريبية مكثفة موجهة بالكلية لخدمة الهدف الأساسي. فحركة الوكيل المحلي أقل كلفة و أكثر أمناً من حركة الأجنبي منتسب المنظمة الأم. فقد إستبان للدولة الباعثة للمنظمة أن فاعلية الوكيل المحلي في الإيفاء بالغرض, خاصة مع وفرة المال و جودة الإتصالات السيبرانية بمخدمه.

و في كل مجتمعات البلاد المنعزلة كلياً أو جزئياً, و التي كان حضور هذه المنظمات لديها مشهوداً نمت فيها ثمار الغرس الشرير الذي زرعه المنظمة الأجنبية بصبر و أناة. تلك منظومة عمل منهجها الرئيس هو إستثمار الفراغ الحكومي في المجتمعات المستهدفة, فقطرة الماء تثقب الحجر لا بالعنف المفرط و لكن بتواتر السقوط الذي يؤدي إلى إحداث الشروخ اللازمة التي من بينها يسهل الهدم. ولقد صدق ابن خلدون حين قال : « الدولة المستجدة إنما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاول لا بالمناجزة. » و يمكن إجمال حصاد الأنشطة المسمومة للمنظمات المشبوهة في أكثر مجتمعاتنا المنعزلة, أو شبه المنعزلة, في بضع خطوات وصولاً للإنفجار الأمني:

1| خطاب دعائي متقن ومتطاول يستزرع الكراهية العرقية بين السكان في قواعدهم المنعزلة, أو بينهم من جهة و مواطنين آخرين في جوارهم البعيد أو القريب.

2| بتواتر الخطاب يتحول إلى ظاهرة سياسية وقودها ما تم غرسه من كراهية تمكنت عبر السنين.

3| ثم تتحول الظاهرة السياسية الى حركة مسلحة هدفها الحرب الشاملة على البلاد و أهلها, وقد توفر لها من يخطط و من يمول و من يسلمح.

خامساً : إعتقاد منهج الإقتصاد الإجتماعي - التضامني الذي يقوم علي آلاف الأنشطة من الأعمال الصغيرة و المتوسطة. هذا المنهج يحتل مكاناً تزداد مساحة تبنيه بإضطراب في عالم اليوم, خاصة في الإقتصادات الناهضة ذات الخصائص المماثلة لأحوالنا. و قد أملت

السياقات الظرفية إعادة هندسة الحركة الاقتصادية بإعتماد قطاع ثالث يتوسط القطاعين العام والخاص، وهو كما أسلفت - القطاع الإقتصادي - المجتمعي - التضامني، الذي يهدف لإدماج أكثر من عشرين مليون سوداني في دورة الإقتصاد الكلي.

فمعلوم أن أكبر غاشيات الحرب هي الدمار الشامل للبنية الأساسية للنظم الحاكمة لحركة رؤوس الأموال، وعلى رأس من شمله الدمار النظام المصرفي كله. كما أن الدولة لم تعد قادرة على خلق وظائف تستوعب حتى 1% من هذه الملايين المتعطلة من الشباب؛ ولأجل ذلك ينصرف الفكر الإقتصادي إلى تأسيس هذا النهج الإقتصادي القائم على المشروعات الصغيرة والمتوسطة.

إن منهج الإقتصاد - التضامني لم يتأسس عندي من وحي خاطرة طارئة أو رؤية متعجلة، بل هو تصميم مدروس و«مُسَوَّدَن» من خلاصة عشرات التجارب في عديد الدول التي وقفت مباشرة على تجاربها ونظمها على مدى زمني يناهز ربع القرن. و يقيني يزداد مع الأيام بأنه الخيار العلمي - العملي الأكثر جدوى لإنتشال ملايين الشباب التائهين في مهالوي اليأس والفقر. ولا ينبغي أن يغيب عن كل ذو بصيرة أن ”اليأس“ و ”الفقر“ و التبعئة السياسية المصاحبة لهما هي الذخيرة الأمضى فتكا التي أطلقها الشباب في وجه حكومة الإنقاذ، بدءاً من مظاهرات العام 2018، و التي انتهت تصاعدها الحزوني من محطة إلى أخرى حتى بلغت وضعنا الحالي. و سيعاد إنتاج ما حدث مع تطاول أزمان التبطل و اليأس، و تربص العدو بكل سانحة تُهيئ فرصة للإنقضاض على الدولة كما حدث بالفعل. اليأس و الفقر هما المهدد الأكثر فتكاً بالأمن الوطني بجميع شعبه. و سيبقى منهج الإقتصاد التضامني الترياق الأكثر جدوى في مقابل الانفجار العظيم. أمل ممن هم في قيادة الدولة، أو من لهم رغبة في إستبصار تفاصيل هذا النهج، تخصيص ساعة و نصف الساعة لشرح مسوغات إعتماده و آليات إنفاذه.

غير أنه يستلزم لفاعلية نجاحه توافر أشراط مؤسسية أربعة؛ يلزم من وجودها وجوده ومن عدمها عدمه. أولها: شروط مفاهيمية علمية. وثانيها: شروط سياسية و تشريعية و إدارية. و ثالثها: شروط مالية. و رابعها: ما اصطلحُته بشرط المؤسسات الرديفة المساندة. جميع ما ذكر يلزمه التفصيل المبين لجزئياته المجملية و المتضمنة في هذه الأشرط الأربعة. هذا برنامج للخلاص الإقتصادي، تتوقف قابلية تنفيذه على وجود جهاز حكومي وتشريعي لا يعرف التثاؤب و لا تكلبة كوابح الأنا.

سادساً: يضطلع المجلس بمهام التبعئة الشاملة وحشد موارد الدولة؛ المادية و البشرية، و الصلبة و الناعمة، و العسكرية و المدنية، لمقابلة واجبات التحرير الأكثر إلحاحاً، و التي يجب أن تستوعب جميع أعضاء المجلس، كما تستوعب عبرهم جميع من يمثلونهم. إن الحوكمة الفعالة لا تتحقق حصراً في صناعة القوانين و إنفاذها، و إنما بإشراك المواطنين في واجبات تقرير مصائرهم، حتى لا تنحصر القوة المحركة للحياة السياسية في نخب فوقية تتحكم في مصير الناس ”بوضع اليد“ دون تفويض، بينما يتحكم فيهم التسلط الأجنبي بالشكل الذي أفضى إلى حالنا اليوم.

التفاعل الإيجابي للجماهير صعوداً من قواعدهم، يمكنهم من التدريب على ممارسة المسؤولية من أسفل إلى أعلى. و تزداد قناعات الجميع - في هذا المنعطف التاريخي - أن المشاركة السياسية في الشأن العام لم تعد فقط حقاً إختيارياً مترفاً يجوز التنازل الطوعي عنه، أو فرضاً كفاثاً إذا قام به البعض سقط عن الآخرين . بل واجب شرعي في ذمة كل مواطن. إن العديد من الدول صنعت تشريعات إقتضتها معادلة الحق و الواجب , وفرضت عقوبات تتفاوت مقاديرها على من يتخلف من مواطنيها عن المشاركة في الإقتراع العام خاصة في شأن القضايا الوطنية المصيرية .

الأمريكيون و الأوروبيين لا يرون من الممارسة الديمقراطية غير القوالب التي إعتادوها , القائمة على التكوين المصلحي ”الزبائني“ الذي يسهل التحكم في أفرادهِ . و يبذلون الجهد و المال و الإغراء , والدبلوماسية الجبرية , من أجل إستزراعه قسراً في مجتمعات لا يتناسب واقعها العقدي و الثقافي مع المضامين التي يضغطون في إتجاه تحقيقها . و لا يرون بأساً من إعتبار النظام السياسي سلعة يمكن إنتاجها في أجهزة تهم السياسية , ثم تعليبها , ثم تغليفها بأغطية مناسبة , ثم شحنها وتوزيعها عبر وكلائهم السياسيين . و لا يرون حرجاً أو فرقاً بين الوكالة التجارية التي تنتج وتصدر ”الكوكاكولا“ , و الوكالة السياسية التي تصدر الدساتير . تذكرون ما سمي ”بدستور لجنة المحامين“ الذي كتبوه و صدروه لوكلائهم المحليين . كما تذكرون الإتفاق الإطاري الذي صنعوه ثم استماتوا من أجل فرضه حتى أعلنت صنائعهم بالقول الشهير إما الأطاري و إما الحرب . و لا تقتصر صادراتهم السياسية على شاكلة المنتوجات التي ذكرنا , ولكن يلزم لتسويقها عمالة دربوها في مؤسساتهم السياسية , ثم دفعوا بها لقيادة بلادنا , التي هي ”المستهلك النهائي“ , و ذلك من أجل تسويق ثم بيع ثم تشغيل و صيانة المنتج السياسي المصدر لنا؛ سواء أكان المنتج دستوراً أو إتفاقاً إطارياً أو حزباً سياسياً أو منظمة أو غير ذلك مما أنتجوا و غلبوا و غلفوا ثم صدروا !!

أردت بهذه المساهمة أن أطرح منهجاً لمقاربة سياسية ذات عمق مجتمعي قاعدي كثيف , بدت لي موضوعيتها , و تشتد اليوم - كما نرى - حاجة البلاد إليها . أردت بما تقدم أن أدعو إلى تفكير منهجي هدفه تنظيم الذاكرة و إستلال نتيجة منطقية متولدة من حقيقة ماثلة خالية من الرغائب التي لا تسندها الوقائع على الأرض . وهي رؤية قصد منها تعميق الإسناد التضامني الصلب للجيش السوداني مع شعبه في قواعده . أردت أن أبين أن هذا واجب لازم في حرب التحرير الراهنة . فتحرير الإرادة الوطنية هي العتبة الأولى الصاعدة الى معارج التحرر من كلايب « الرق المنحوس »؛ بتعبير العلامة عبدالرحمن الكواكبي.

و في الختام أقول : إن من أول ما بلغنا من خلاصات تجارب الشعوب التي خاضت حروب التحرير الوطني من إستعمار إستيطاني - إستئصالي كالذي يجري في بلادنا قاعدة تقول : ”إن نصف النصر هزيمة كاملة «. فهم يغتصبون بلادك و بيتك و عرضك و مالك و خزائن تاريخك .. ثم يعيدون إليك على طاولة التفاوض ربع ما أخذوا .. ثم يذيعون على لسانك أنك تزجي لهم الشكر على كرمهم.. و لأجل هذا يقول قادة الشعوب الحرة :

« إن نصف النصر (وليس ربه) هزيمة كاملة».

هوامش:

1 : دكتور حسين سليمان محمود : تاريخ السودان في العصور القديمة (بدون تاريخ على الإنترنت). دكتور محمد إبراهيم أبوسليم : بحوث في تاريخ السودان القديم ( على الإنترنت). دكتور محمد إبراهيم بكر : المدخل إلى تاريخ السودان القديم ( الإنترنت)

2 : بروفيسور حسن الفاتح قريب الله: السودان دار الهجرتين الولي و الثانية ( المؤسسة العامة للطباعة و النشر و التوزيع, 1996 )

3 : بروفيسور جعفر ميرغني : ( محاضرات عن الحضارة السودانية على اليوتيوب )

4 : تيم نبلوك : صراع السلطة و الثروة في السودان منذ الإستقلال ..ترجمة الفاتح التجاني و محمد علي جادين ( مطبعة جامعة الخرطوم 1990 ) ص, 105-111

5 : تيم نبلوك مرجع سابق , ص 180-190

6 : تيم نبلوك مرجع سابق

7 : الدكتور إبراهيم البشير عثمان : القيدالية و مشروع التسوية السودانية ( مطابع دار نجد, الرياض, 1988), ص 79

8 : المصدر السابق, ص 79

9: المصدر السابق, ص 79

10 : تيم نبلوك, مصدر سابق

11 : تيم نبلوك , مصدر سابق

12 : عبدالكريم سعيد : اللواء الأبيض , ثورة 1924, مذكرات و مشاهدات سجين , ( جامعة الخرطوم, شعبة أبحاث السودان , 1970 )

13 : إبراهيم البشير عثمان القيدالية , صدر سابق ص 88-91

14 : النسخة الأولى من منفسو الحركة الشعبية و الجيش الشعبي لتحرير السودان الصادرة في العام 1983, و التي نقلها للعربية و نشرها الفاتح التجاني في صحيفة الإتحاد الطبيانية عام 1984.

15 : مذكره القوات المسلحة في 20 فبراير 1889, في عدد من المواقع على الإنترنت.

16 : انظر تحت عنوان Coercive Diplomacy في قاموس الويكيبيديا للتعرف على دلالات هذا المصطلح.

17 : ( Jermy Scahill , Blackwater( Nation Book, 2007 )

18 : سكاهيل , المصدر السابق و ص414

19 : وزارة الخارجية السودانية - غدارة المنظمات الدولية.

- 20 : سكاھل , ص 416
- 21 : سكاھيل , ص 417
- 22 : سكاھل , ص 417
- 23 : سكاھل, ص 418
- 24 : إقتبسہ سكاھل و ص 412
- 25 :ماھر الصفاري : مجموعة فاغر الروسية , ( مركز الفكر الإستراتيجي للدراسات, 2021و إستانبول) ص 37 - 48
- 26 : صحيفة القدس العربي, فبراير 2020 ؛ تقرير بعنوان : « حمدوك يطلب من مجلس الأمن بعثة للسلام - و إتهام له بقلب الطاولة على العسكر ».



ازداد انتشار الإرهاب في القارة الإفريقية في السنوات الأخيرة، واتسعت الرقعة الجغرافية التي تسيطر عليها الجماعات الإرهابية في كل أنحاء القارة، وتضاعفت عمليات تجنيد الشباب في صفوفها وهجماتها الإرهابية كما وكيفاء، التي تستهدف الجيوش الوطنية و المدنيين والمنشآت والبنى التحتية، مما خلف ملايين من الضحايا والنازحين واللاجئين ، وخسائر هائلة مادية ومعنوية، ونتج عنها تداعيات كارثية على أمن واستقرار دول القارة.

## مقدمة

ولم تنجح بعد المحاولات الإفريقية أو الدولية لمكافحة انتشار الجماعات الإرهابية في إفريقيا، بل ازداد نفوذها وانتشارها في أنحاء القارة، في القرن الأفريقي ومنطقة الساحل وغرب إفريقيا وشمالها وغيرها، بل وأصبحت تتكاثر وتتعدد أسماءها، وتتبع استراتيجيات أكثر تطوراً، مما يطرح بقوة تساؤلات عن أوجه القصور في سياسات واستراتيجيات الدول الإفريقية في مكافحة الإرهاب، ولماذا لم تستطع القضاء على الإرهاب أو الحد منه ومحاصرته على الأقل، وما هو السبيل لمواجهة ناجعة مع الإرهاب.





## ملاحظة مهمة:

قبل الحديث عن الإرهاب وأسباب القصور في مواجهته، يجب الحديث عن قضية مهمة جداً، وهي ضرورة تعريف مصطلح الإرهاب، وأهمية معالجة الدول الإفريقية للقضايا المحركة للتطرف والعنف والتي قد تدفع في النهاية إلى تغذية الجماعات الإرهابية بمزيد من الغاضبين والمتطرفين، ربما من أصحاب القضايا العادلة، وهو ما يعني ضرورة تجفيف الروافد التي تزود الجماعات الإرهابية بالبيئة الخصبة الكفيلة بترعرع الإرهاب، وأعني هنا انتشار الفقر والبطالة والجهل وضعف التعليم والمفاهيم الدينية المغلوطة، وكذلك الفساد والمحسوبية والمظالم وسوء الإدارة والتهميش لجماعات بعينها إما على أساس عرقي أو ديني أو ثقافي أو جهوي أو طبقي أو أيولوجي، وكل هذه الأسباب قد تدفع أصحابها أو بعضاً منهم إلى الغضب والعنف أو تكون فريسة سهلة وصيداً ثميناً للمجموعات الإرهابية التي تنشط الآن على الساحة الإفريقية بكل قوة.

كما يجب التركيز على أهمية معالجة القضايا الوطنية العادلة وعدم الخلط بين المقاومة المشروعة للاحتلال والإرهاب، حيث ذهب التقرير السنوي لمؤشر الإرهاب العالمي الذي يتتبع سنوياً تطورات وانتشار وتأثير العمليات الإرهابية حول العالم إلى أن الحدث الأهم الذي تم رصده في عام 2023م كان هجمات السابع من أكتوبر، حيث أدرج حركة «حماس» في المرتبة الثانية ضمن التنظيمات الإرهابية الفاعلة، وأدرج إسرائيل في المرتبة الثانية ضمن البلدان العشرة الأكثر تأثراً بالإرهاب خلال العام الماضي، وهو ما اعتبره كثير من من الباحثين عواراً واضحاً.

## أسباب القصور في استراتيجيات مكافحة الإرهاب في إفريقيا:

### أولاً. التطور الكبير في عمل الجماعات الإرهابية :

شهدت أساليب عمليات وهجمات واستراتيجيات الجماعات الإرهابية في السنوات الأخيرة تطوراً كبيراً من حيث:

1- اتساع رقعة الاستهداف وعدد الضحايا: حيث تعدى استهداف الجماعات الإرهابية للأهداف العسكرية أو المسؤولين الحكوميين، وأصبحت توجه عملياتها بشكل مكثف للمدنيين والأهداف المدنية، وقد ظهر ذلك في استهداف حركة الشباب الإرهابية في الصومال للفنادق والمطاعم وتجمعات المدنيين، وفي استهداف جماعة بوكو حرام الإرهابية في نيجيريا للمدارس واختطافهم لتلميذات صغيرات وغيرها.

وقد كشف مؤشر الإرهاب العالمي زيادة ملحوظة في عدد ضحايا العمليات الإرهابية حول العالم خلال العام الماضي 2023 بزيادة 22% ليكون العدد الإجمالي للضحايا 8352 ضحية، رغم أن العمليات الإرهابية انخفضت من حيث العدد بنحو 23%، وهو ما يشير إلى أن العمليات الإرهابية أصبحت أخطر وأكثر تركيزاً بحيث تنتج عدداً

أكبر من الضحايا، لكن هذا الانحسار للعمليات الإرهابية كان في الدول الغربية بنسبة تقدر بـ 55% خلال العام الماضي، بينما سقط في إفريقيا والشرق الأوسط وجنوب آسيا 94% من الضحايا، واستحوذت إفريقيا وحدها على 59% من ضحايا العمليات الإرهابية، وخاصة بوركينا فاسو ومالي والنيجر والصومال ونيجيريا.

2- الطريقة والآليات: شهدت السنوات الأخيرة تطورا كبيرا في طريقة تجنيد الجماعات الإرهابية للشباب في صفوفها مستغلة ظروفهم الصعبة في كثير من المجتمعات الإفريقية وانتشار الجهل والمظالم التي يعانون منها، ومقدمة لهم الإغراءات بالأموال وغيرها، كما شهد وجود الجماعات الإرهابية توسعا في العديد من الدول الإفريقية، وفي مقدمتها تنظيم «داعش» الذي ينشط في غرب إفريقيا، و«جبهة نصرة الإسلام والمسلمين» وهي تحالف يضم عدة تنظيمات تتبع فكر «القاعدة» وينشط في منطقة الساحل وعلى وجه أخص في بوركينا فاسو التي يسيطر على قرابة 40% من مساحتها وكذلك ينشط في دولة مالي، واعتبر هذا التنظيم مسؤولا عن سقوط أكثر من ألف ضحية منذ بداية تأسيسه عام 2017 من تنظيمات سلفية جهادية أبرزها جماعة أصار الدين والمرابطين والقاعدة في المغرب العربي، أما حركة «الشباب» الصومالية فتنشط في شرق إفريقيا منطقة من الصومال منذ عام 2006، مستهدفة قوات حفظ السلام في الصومال والجيش الصومالي.

3- النتائج المترتبة: أسفرت الهجمات الإرهابية في العديد من الدول الإفريقية عن أعداد كبيرة من القتلى والجرحى ونزوح جماعي للسكان يقدر بالملايين، ولجوء أعداد كبيرة إلى خارج بلدانهم، وسيطرة على مساحات واسعة من بعض الدول الإفريقية.

4- العمل الإعلامي واستخدام التكنولوجيا الحديثة: أصبح لمعظم الجماعات الإرهابية أذرع إعلامية تستخدمها في الدعاية والإعلان عن نشاطاتها واستهداف خصومها وتجنيد الشباب في صفوفها، والترويج لأيدولوجيتها الدينية المتطرفة التي تتخذ من الدين الإسلامي ستارا لفكرها المتطرف المنحرف، وأصبحت هذه الجماعات الإرهابية تستخدم الشبكة العنكبوتية والتكنولوجيا الحديثة للترويج لأفكارها المنحرفة وللتواصل بين أعضائها، وكذلك لنشر الخوف والرعب في أوساط الدول التي تنشط فيها ورسم هالة حول نفسها.

5- التمويل: عمدت الجماعات الإرهابية في إفريقيا إلى تنويع مصادر تمويلها، عن طريق الهجمات والاستيلاء على أموال وثروات الحكومات المستهدفة أو السكان، وكذلك عن طريق الابتزاز وفرض الجبايات، وهي تستخدم جزءا من هذه الأموال لتحفيز الشباب الذين تقوم بتجنيدهم، وقد سمحت هذه الأموال لهذه الجماعات الإرهابية بزيادة قدراتها في التنقل والاستخبارات والحصول على أحدث الأجهزة والأسلحة، مما يسمح لها بالتوسع والتوحيش والفتك.

## ثانياً. قصور استراتيجيات مكافحة الإرهاب:

لم تبذل معظم الدول الإفريقية جهدا حقيقيا لمكافحة الإرهاب، وكان هناك قصورا

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )

كبيراً وعواراً في استراتيجيات الدول الإفريقية في مكافحة الإرهاب حيث:

1- عدم قدرة وكفاءة الجيوش والأجهزة الوطنية في كثير من الدول الإفريقية على التصدي للجماعات الإرهابية أو الضغط عليها أو توفير الأمن للمجتمعات، وتكبدت هذه الجيوش خسائر فادحة في عدد من الدول الإفريقية في حربها على الإرهاب، وربما كان ذلك من دوافع الانقلابات في عدد من دول الساحل، كما كانت هناك مؤشرات على اختراقات ما حدثت لبعض تلك الجيوش من قبل التنظيمات الإرهابية.

2- كان هناك اعتماد في مكافحة الإرهاب على فرنسا في دول الساحل وكذلك الولايات المتحدة بعد ضربات سبتمبر 2001، ثم بعد ذلك روسيا بعد الانقلابات في دول الساحل وقد وجهت انتقادات وشكوك كثيرة حول طرائق عمل هذه الدول في مواجهة الإرهاب، التي لم يكن لها تأثير يذكر في مكافحة الإرهاب، والتي كانت تستهدف في كثير من الأحيان مدنيين لا علاقة لهم بالإرهاب .

3- انتشار السلاح والمظالم: الصراعات في الدول الإفريقية معقدة للغاية تتداخل فيها العديد من المظالم التاريخية مع افتقاد نظم الحكم الرشيد وغياب العدالة والقانون والتوزيع العادل للسلطة والثروة وانتشار الفقر والبطالة والفساد والسلاح، وتراجع أدوار المؤسسات الإعلامية والدينية والتعليمية والثقافية، وكل ذلك يستلزم إعادة صياغة استراتيجيات شمولية لا تقتصر على المعالجات الأمنية المبتورة.

### ثالثاً. قصور التنسيق بين الدول الإفريقية:

بينما يغيب أو يتضاءل التنسيق والتكامل والتعاون بين الدول الإفريقية في مكافحة الإرهاب الذي بات مهدداً خطيراً يعصف بدول كاملة في أرجاء القارة، تؤكد العديد من المؤشرات أن الجماعات الإرهابية تنسق فيما بينها، وسيبقى تعاون الدول الإفريقية في مواجهة هذا الخطر الإرهابي الداهم ضرورة، إذ بدوره ستبقى آمال الشعوب الإفريقية في الاستقرار والسلام والنمو الاقتصادي والتنمية والتقدم مجرد أحلام تتبخر على وقع العمليات الإرهابية التي تغرز مخالبها في جسد القارة، وهذا التعاون المرجو بين الدول الإفريقية لن يتحقق دون القفز على المشاكل البينية والقضايا الصغيرة والتركيز على تعاون حقيقي وفعال لتأمين الحدود وتعزيز الرقابة عليها ووقف التهريب والفساد ومكافحة الإرهاب، والتعاون بصورة مستدامة في تبادل الخبرات والتدريب والعمل الاستخباراتي والمعلومات وتوفير الموارد والإمكانات اللازمة لذلك.

### رابعاً. البعد الدولي:

هناك عبء كبير يقع على المجتمع الدولي في قضية مكافحة تمدد وانتشار الجماعات الإرهابية في إفريقيا، التي لن يتوف خطرها أو تداعياتها الكارثية عند حدود دول بعينها أو في نطاق القارة الإفريقية، بل ستمتد لتصل إلى الدول الأوروبية في

عقر دارها إرهابا وهجرة غير شرعية وجريمة منظمة، كما سيلحق ذلك أكبر ضرر بالمصالح الدولية في القارة الإفريقية، وهو ما يستلزم عملاً دولياً منسقاً لمكافحة الإرهاب في إفريقيا وتجفيف منابع تمويله وتسليحه، ودعم وتقوية الجيوش والحكومات الوطنية في إفريقيا لمواجهة الجماعات الإرهابية، لكن للأسف هذا العمل الدولي غائب على أرض الواقع، وللأسف الصراع الدولي المحتدم بين القوى الدولية وتكالب القوى الكبرى والإقليمية على إفريقيا، خاصة روسيا والصين وأمريكا وفرنسا وغيرها، سيكون له تداعيات كبيرة على واقع الإرهاب ومستقبله في إفريقيا، حيث أن هذه القوى مشغولة بالبحث عن مصالحها وترسيخ نفوذها في إفريقيا والصراع على القوى المناوئة أو المنافسة لها في القارة وليس بمكافحة الإرهاب، وهو ما يوفر بيئة خصبة تسمح بنمو وانتشار وتمدد الحركات الإرهابية في إفريقيا.

### مستقبل الإرهاب في إفريقيا:

ما زال كل المعطيات الحالية تشير إلى أنه في حل استمرار الاستراتيجيات الحالية العرجاء لمكافحة الإرهاب في الدول الإفريقية، ربما تشهد الفترة المقبلة مزيداً من التمدد والانتشار للجماعات الإرهابية مستغلة هشاشة الأوضاع الأمنية والضعف الداخلي وغياب التنسيق وانشغال القوى دولية بصراع بعضها البعض، وكذلك القوى الإقليمية، وسرعان ما ستجد هذه القوى جميعاً نفسها في مواجهة مخاطر عاتية تخلقها هذه الجماعات وتعقيدات هائلة لن تظل محصورة فقط في حدود الدول الإفريقية بل ستتمدد وتتعمق على أمن واستقرار العالم، وفي مقدمتها الدول الأوروبية التي سترتد إليها سهام الإرهاب عبر الهجرة غير الشرعية والجماعات الإرهابية والمتطرفة التي تتسرب إلى داخل حدودها وكذلك الجريمة المنظمة، كما ستتضرر كثيراً مصالح الدول الكبرى في هذه المنطقة بفعل الظواهر والتداعيات السلبية للجماعات الإرهابية في القارة، ولا أدل على ذلك من تأثير حركة التجارة العالمية مصالح الوضع في الصومال وتأثير المصالح الدولية في أكثر من دولة بفعل التمدد الإرهابي والمؤكد أن مكافحة الإرهاب تحتاج إلى مقاربات شمولية ومعالجات حكيمة لمسببات التطرف والعنف، وإجراءات حاسمة لسحب البساط من تحت أقدام دعاة التطرف والإرهابيين، وسد الثغرات التي تسمح بتوفير بيئة ملائمة لاحتضان الأفكار الظلامية المتطرفة المؤدية للعنف والإرهاب.



د. عبد الرزاق مقري

## السودان: من يستهدفه ولماذا؟

يتعرض السودان إلى عدوان غير مسبوق، ويظلم أهله ظلماً تهتزله السماء، ولكن آلامه غير محسوسة عند المسلمين وأهاته غير مسموعة عند الأقربين، وأحداثه المرعبة لا بها الأمم ولا تغطيها وسائل الإعلام في العالم. لقد حجبت الانتفاضة الشعبية ضد تهتم النظام الحاكم في 2018م عن الحقائق الخفية وغمّ الانتقال الديمقراطي المزعوم المسنود من القوى الغربية الاستعمارية عما يحاك لهذا البلد، ثم جاءت محاولة الانقلاب على الانقلاب من قوى الدعم السريع وما أنتجه من فتنة عظيمة فجعل الناس ينظرون إلى الأحداث وكأنها اقتتال داخلي على السلطة يذهب ضحيته الشعب المغلوب على أمره، وحين اندلع طوفان الأقصى لم يصبح في الأمة الإسلامية أمر يهم غير القضية الفلسطينية، فبقيت الجرائم الفظيعة التي يتعرض لها السودانيون مخفية، وظل المجرمون يعربدون لا ينتبه إليهم أحد، ولم يكن مع السودانيين، لأمد طويل، سوى الله وأبنائه الأصلاء في الجيش وفي المجتمع.

لقد كشفت الحقيقة للشعب السوداني واقتضت مخططات أعدائه وانتشر الوعي في أوساطه بشكل واسع فتشككت وحدة مباركة بين مكونات قواته المسلحة والقوى الشعبية الأصيلة، ومنها التيار الإسلامي العريض التي أريد اغتنام فرصة الأزمة للقضاء عليه، وها هي اليوم هذه الجبهة تحقق انتصارات كبيرة ستقضي قريباً على جيوب المتأمرين المنهزمين. وبعد أن تشكل الوعي من جديد لدى السودانيين أصبح من الواجب على محبي السودان وأهله أن يطلعوا على الحقائق إذ أصبحت الأوضاع المستجدة تساعد على الفهم والإدراك. نحاول في هذا المقال أن نجيب عن عدة أسئلة تتعلق بالقضية السودانية: ماذا حدث في السودان؟ ومن وراء العدوان عليه؟ ولماذا يعتدى عليه؟ وما علاقة ما يتعرض إليه بالقضية الفلسطينية

لا يتعلق استهداف السودان بمن يحكمه، سواء حكمه الأحزاب الطائفية، أو العلمانيون أو الإسلاميون، أو الموالون للغرب أو المناهضون للإمبريالية الغربية. لم تتوقف المؤامرات ضده، من قبل استقلاله وبعده. وإذا سألنا أنفسنا لماذا يستهدف السودان لأجانب العارفون بالأمر أن الأسباب شتى، منها تاريخه، وموقعه، وخيراته وموارده، وطبيعة شعبه وتمسكه بإسلامه، وعلاقته الثقافية والحضارية والسكانية بين إفريقيا والعالم العربي، وصلته بمصر بالذات، والقضية الفلسطينية خصوصاً، ولكن يزداد الاستهداف كلما أصر السودانيون، حكماً وشعباً، على التمسك بدينهم وانتمائهم للعالم العربي وسيادتهم على قرارهم وثرواتهم.

## الفصل الأول - من يستهدف السودان:

يستهدف السودان منذ القرن التاسع عشر ثلاثة أطراف، بأشكال متعددة وأسماء متنوعة هم الغرب الاستعماري، والكيان الصهيوني، وقوى عربية وإسلامية متمثلة حالياً في الإمارات العربية المتحدة.

### الفرع الأول - الاستعمار الغربي.

لقد اتجهت المطامع الخارجية إلى السودان ضمن حركة الاستعمار الغربي منذ منتصف القرن التاسع عشر لاحتلال العالم الإسلامي<sup>10</sup> وتفكيكه، وضمن زحفه العام على إفريقيا، وما يسمى بـ «التدافع الأوربي على إفريقيا» وتوسيع مناطق النفوذ فيها. وقد كان مؤتمر برلين الذي انعقد في الفترة من 15 نوفمبر 1884م إلى 26 فبراير 1885م، و15 دولة أوروبية ومنها الولايات المتحدة الأمريكية محطة أساسية لتنظيم الاستعمار والتجارة بين الدول الغربية في إفريقيا وزعم نقل الحضارة إلى سكانها.

كان من نتائج مؤتمر برلين بسط الأوربيين أيديهم على العديد من الدول الإفريقية<sup>11</sup> وكان لبريطانيا النصيب الأوفر خصوصاً في شرق إفريقيا ومنها السودان الذي احتله باسم مصر كما تم الاعتراف بالحبشة كقوة اقليمية نصرانية افريقية ودعمها من قبل الدول الأوربية، خصوصاً في عهد الامبراطور منليك الثاني (1889 - 1913م)، وسمح لها بالسيطرة على الإمارات الساحلية التي كانت تسمى إمارات الطراز الإسلامي<sup>12</sup>، واستطاع المستعمرون الأوروبيون بعد هذا المخطط التي صيغ منذ مؤتمر برلين أن يفصلوا شرقي إفريقيا عن الجزيرة العربية، غرب إفريقيا عن المغرب العربي، وفصل جنوب السودان عن شماله، وكان السودان في كل هذه المخططات مجالا حيويًا يراد السيطرة عليه للسيطرة على العالم الإسلامي وإضعافه، والنفاذ إلى إفريقيا والهيمنة عليها<sup>13</sup>.

10 - امتد الاحتلال الأوربي إلى كل العالم القديم فاحتلت بريطانيا الهند في سنة 1859م ومناطق الخليج الإسلامي، وجنوب شبه الجزيرة العربية في سنة 1849م، ومصر في سنة 1882م، والسودان في سنة 1898م، واحتلت إيطاليا طرابلس الغرب في سنة 1911م، واحتلت هولندا جزر الأرخبيل الإندونيسية تباعاً منذ عام 1903م، كما احتلت روسيا القرم قبل القرن التاسع عشر في سنة 1873م، وسيطرت بإشرافها على المجتمعات الإسلامية في وسط آسيا، وهي: أذربيجان، وكازاخستان، وأوزبكستان، ونوركيستان، وكزاخستان. سيطرة تامة في القرن التاسع عشر. انظر كتاب: د. محمد البهي، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر، دار الفكر الإسلامي الحديث، 2000م.

11 - جمال الخطيب، مجلة المجتمع الكويتية، 14 يوليو 2024

12 - إمارات الطراز الإسلامي هي عفت، ودوارو، وأرابيني، وهدية، وشرحا، وبالي، ودارا، وأقواها سلطننت عفت. قامت في الشرق والجنوب الشرقي من الحبشة عبر الهجرات من الجزيرة العربية وإسلام أهل المنطقة عبر الدعاة وطلاب العلم والتجار، وقد خضعت للنفوذ الأجنبي حتى القرن العشرين حين قسمت إلى عدة دول، الصومال، جيبوتي، اريتيريا وإثيوبيا، أخذت كل دولة جزء من تلك الإمارات

13 - استكمالاً لمؤتمر برلين، جاء مؤتمر «كاميل بنرمان» الذي عقد في لندن عام 1907م، ليقنن النهب الأوروبي للعالم وخصوصاً العالم الإسلامي، وقد صنف المؤتمر العالم 3 أصناف: العالم المسيحي (أمريكا وكندا وأوروبا وأستراليا)، والدول التي يجب احتواؤها (اليابان وكوريا)، والعالم الإسلامي الذي يجب احتلاله ومنعه من النهوض مجدداً، ونفس المخططات بقيت تتطور، وعلى شاكلتها كان مخطط صمويل هنتنن في



قاوم السودانيون النفوذ والاحتلال الأوربي ومن يتحالف معه، وفق الأوضاع الاجتماعية والسياسية لكل مرحلة، وقد كانت الثورة المهدية ثورة على البريطانيين الذين كانوا يريدون بسط سيطرتهم على السودان ضمن سيطرتهم على مصر، فالذي كان يقود المصريين والأتراك لحماية الخرطوم ضد جيوش المهدي هو الجنرال تشارلز جورج غوردون الذي لقي حتفه عند تحرير الخرطوم في 25 يناير 1885م، ويحفظ التاريخ بطولات كثير من القادة السودانيين الذين واجهوا الوجود الأجنبي قبل الثورة المهدية وأثناءها، ومن ذلك المطاردة الشهيرة للباخرة المسماة «عباس» من قبل المناصرين بقيادة النعمان ود القمر في العاشر من سبتمبر عام 1884م وقتل كل من كانوا على متنها ومنهم الكولونيل دونالد ستيوارت مساعد الحاكم العام البريطاني، ونائب القنصل البريطاني والقنصل الفرنسي والعديد من الركاب الأوربيين، وفي العام الموالي في يوم 27 يناير 1885م قتل المقاومون السودانيون في الخرطوم الحاكم العام، والقنصل البريطاني السير روبرت كولسون، والقنصل الأمريكي والعديد من الأوربيين العسكريين.

غير أنه لم تستمر الدولة المهدية السودانية المستقلة ذات السيادة سوى أربع عشرة سنة (1885 - 1899م) إذ عاود الجيش البريطاني الكرة مع الجيش المصري التابع له ضمن نظام الحماية، لاستباق التمدد الفرنسي في إفريقيا الذي كان قد بسط نفوذه على المغرب العربي وغرب إفريقيا، فتم احتلال السودان كاملاً وفي 19 يناير 1889م وقعت الحكومتان المصرية والبريطانية اتفاقية السيادة المشتركة على السودان، وكان للحاكم البريطاني كل السلطات المالية والتشريعية، وصار السودان هو الآخر تحت نظام الحماية البريطانية تحت إدارة الموظفين البريطانيين يعاونهم صغار الموظفين المصريين<sup>14</sup>

قبل السيطرة الكاملة على الأراضي السودانية قامت القبائل بمقاومة التغلغل البريطاني المصري، ومحاولات الفرنسيين للسيطرة على بعض أجزاء البلد، ثم بدأت تتشكل الحركة الثقافية الوطنية السودانية، حول المؤسسات التعليمية الحديثة، فبرزت عدة جمعيات تنادي بالمقاومة المدنية منها جمعية اللواء الأبيض في عشرينيات القرن العشرين التي كانت تدعو إلى مناهضة الاستعمار البريطاني ووحدة وادي النيل بين مصر والسودان. وفي مواجهة الاضطهاد البريطاني والقوات المصرية التي تعمل تحت امرتها طور السودانيون في العقود المالية وسائل عديدة للنضال الإعلامي والنقابي والثقافي والفكري، ثم اجتمعت مسارات النضال في «مؤتمر الخريجين» عام 1938 الذي دعا لاحقاً لتقرير المصير، ونتج عن الحراك الوطني المدني تأسيس الأحزاب السياسية التي أخذت على كاهلها قيادة الشعب السوداني نحو استقلال السودان عن الحكم البريطاني المصري في أول يناير 1956م.

بعد الاستقلال ظهر تنافس سياسي قوي بين رؤيتين وطنيتين، كلاهما ذات مرجعية دينية، هما حزب الأشقاء (الوطني الاتحادي لاحقاً) ومن خلفه الطريقة الختمية ويدعو إلى وحدة وادي النيل، وحزب الأمة الذي يستند إلى طائفة أنصار المهدية، وهو قريب من كتابه المشهور «صدام الحضارات»

14 - انظر البروفيسور محمد عمر البشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900 - 1969، الدار السودانية للكتب، مترجم من الإنجليزية، 1980.

البريطانيين الذين يناهضون فكرة الوحدة بين مصر والسودان، بالإضافة إلى التيار الإسلامي بزعامه حسن الترابي، والتيار اليساري، المعارضين لهيمنة الأحزاب التقليدية على الساحة السياسية بخلفتين أيديولوجيتين مختلفتين، وكذلك أحزاب أخرى ليبرالية.

لم يستقر العمل السياسي في المرحلة الانتقالية فاستلم الجيش الحكم بقيادة إبراهيم عبود عام 1958م بدعم أولي من حزبي الأمة والاتحادي الوطني، إلى أن وقعت الانتفاضة الكبيرة في أكتوبر 1964م التي تعد أول انتفاضة شعبية سياسية في العالم العربي والأفريقي، جرت على إثرها انتخابات تصدر فيها حزب الأمة النتائج، وبعد حكم مدني دام خمس سنوات عرفت اضطرابات سياسية كثيرة، قام الجنرال جعفر النميري بانقلاب عسكري آخر عام 1969م وبقي في الحكم إلى أن وقعت الانتفاضة الشعبية الثانية في 6 أبريل 1985م، فانحازت المؤسسة العسكرية إلى الخيار الشعبي وقاد وزير الدفاع المشير عبد الرحمن سوار الذهب مرحلة انتقالية لسنة واحدة وسلم السلطة عام 1986 بعد انتخابات ديمقراطية في سابقة في العالم العربي والأفريقي، نجح فيها حزب الأمة بزعامه الصادق المهدي فتولى رئاسة الوزراء إلى غاية 1989م عرف أثناءها السودان حالة عدم استقرار شديدة أدت إلى عملية انقلابية ثالثة ظهر فيها الجنرال عمر البشير كقائد لها، ثم تكشف بأن التيار الإسلامي بزعامه حسن الترابي من وراءها، وبقي عمر البشير في الحكم لمدة ثلاثين سنة انتهت بانتفاضة شعبية ثالثة في أبريل 2019م انقلب على إثرها الجيش السوداني على رئيسه بقيادة الجنرال أحمد عوض بن عوف، الذي اضطر إلى التنحي تحت ضغط الشارع فخلفه عبد الفتاح البرهان في رئاسة المجلس العسكري ثم التحكم في مختلف السلطات. حاولت التيارات العلمانية والمعادية للتيار الإسلامي والمرجععية الإسلامية اغتنام الفرصة للسيطرة على الدولة بدعم خارجي، وبعد ظهور ضعفها وهشاشتها تحركت قوى الدعم السريع بزعامه محمد حمدان دقلو المعروف بحميداتي للسيطرة على مؤسسات الدولة بالقوة فأدى ذلك إلى مواجهات عسكرية دامية مع القوات المسلحة، وانتهاكات فظيعة لم يشهد لها السودان مثيلاً من قبل.

طوال كل الفترات المذكورة عانى السودان من مشاكل محددة ظلت محل استقطاب وصراع واحتراب وهي: مشكلة الجنوب، المشكلة الدستورية وطبيعة الحكم، مكانة الشريعة الإسلامية في التشريع، التدخل الأجنبي، عدم الاستقرار السياسي. ورغم المسؤولية الداخلية للقوى الفاعلة في السودان في عدم القدرة على التوافق وبناء نظام ديمقراطي يقوم على العقد الاجتماعي كانت القوى الاستعمارية حاضرة في تأجيج الصراع وضرب استقرار السودان في كل المراحل.

أما عن مشكلة الجنوب فقد صنعتها بريطانيا أثناء فترة احتلالها في السودان بسياسة الفصل بين سكان الشمال والجنوب، وجعل الجنوب مناطق محصورة قانونياً لا دخول لها إلا بترخيص، وبإضعاف الوجود الشمالي في الجنوب عن طريق منع حركة التجار الشماليين نحو الجنوب وإخراج الجنود السودانيين الشماليين من المنطقة بقرار من الحاكم البريطاني أوين باشا بين 1911 و1917م وتأسيس ما يعرف بـ«الفرقة الاستوائية» من سكان الجنوب حصرياً، ومنع تعلم اللغة العربية واستبدالها بفرض اللغة الإنجليزية وتشجيع اللهجات المحلية

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )

ومحاربة انتشار الإسلام بين الوثنيين والسكان عموماً، والاستعانة بالإرساليات التنصيرية لتنفيذ ما أسموه بمشروع «تمدين البشر» بواسطة التعليم والعمل الخيري وجعل يوم الأحد هو يوم العطلة خلافاً للشمال، ومحاولة ربط جنوب السودان بالدول الإفريقية المسيحية المجاورة، وقد كانت الحكومة في لندن تتابع بنفسها هذه السياسات الانفصالية اعتماداً على التوصيات التي يقدمها حاكمها العام وخبرائها منها توصيات المندوب السامي البريطاني في مصر عام 1929م.

لقد أدت السياسة البريطانية في الجنوب إلى تخلف جنوب السودان تخلفاً عميقاً، بما جعله غير قابل على الوقوف بنفسه، فأدى ذلك إلى تغيير السياسة البريطانية في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات، وصارت تبحث في دمج جنوب السودان مع الشمال أو مع دول شرق إفريقيا أو تقسيمه، غير أن كثيراً من المعطيات فرضت بقاء جنوب السكان مع شماله، منها الجوانب الاقتصادية المتعلقة بسهولة حركة التجارة، والجغرافية المتعلقة بالطرق وسهولة التنقل، والاجتماعية المتعلقة بالتواصل السكاني، والسياسية المتعلقة بضغط الأحزاب الشمالية وامتداداتها الجنوبية من أجل الوحدة الترابية السودانية غداة الاستقلال.

استطاعت بريطانيا أن تتخلص من عبء جنوب السودان بقبول إلحاقه بالشمال ولكن أبقرته نقطة ارتكاز لضرب استقرار السودان وإرهاب حكوماته، فمباشرة بعد عقد اتفاقية فبراير 1953 بين مصر وبريطانيا على تقرير المصير في السودان احتج العديد من النخب الجنوبية أنه لم يتم استشارتهم وحينما شرع الشماليون في إعادة تنظيم القوات المسلحة ونقل بعض وحدات الفرقة الاستوائية الجنوبية التي أسستها بريطانيا إلى الشمال وقع تمرد عسكري تعاضم في عهد إبراهيم عبود الذي سعى إلى توحيد التعليم والإدارة وتعليم اللغة العربية، ومنذ 1958م تحول التمرد إلى ثورة واسعة دعمتها الدول الغربية والكيان الصهيوني ودول الجوار الأفريقي وعلى رأسها إثيوبيا، تسببت في خسائر عظيمة في الأرواح وعطلت التنمية ووسعت الشروخات الاجتماعية والثقافية والسياسية وانتهت في الأخير بالانفصال وقيام دولة جنوب السودان عام 2011.

لقد كانت بريطانيا تنظر دائماً إلى الشمال باعتباره بلداً متمسكاً بالإسلام إلى حد التعصب، وقد ورد هذا الانطباع في كثير من الوثائق البريطانية المنشورة في حقبة الاحتلال، وبقيت تخشى تأثيره دينياً في جنوب السودان وفي كل إفريقيا، فعملت دوماً على عدم السماح لتعاليم الشريعة الإسلامية أن تستقر في البلد، وقد تبعها في ذلك الغرب كله بقيادة الولايات الأمريكية المتحدة. وحينما اتضح لهؤلاء رسوخ الإسلام في المجتمع وأغلب مكونات الطبقة السياسية، والقوات المسلحة عملت على عزله عن محيطه الإقليمي الإفريقي والعربي، ومنعه من التطور والازدهار وحصاره اقتصادياً لعقود طويلة من الزمن خصوصاً بعد تحكم التيار الإسلامي في الحكم بعد 1989م.

وقد كان الحصار الاقتصادي الأمريكي للسودان طيلة ثلاثين سنة مرهقاً للشعب السوداني، ومانعاً لتطور البلد واستغلال خيراته، والذي كان مستهدفاً هو السودان ذاته، للفرص العظيمة التي يتوفر عليها ليكون دولة قوية لها مكانتها في المنطقة ومؤثرة في العالم العربي والإسلامي وقضاياها ووحدة ومقدساته، دون أن يغفل الأسباب الداخلية المتعلقة بعدم

الاستقرار السياسي المستدام وحالات الفساد التي لم يتوقف الشعب السوداني عن مواجهته. بدأت العقوبات قبيل وصول البشير إلى الحكم في عام 1988م، وقد استلم هذا الأخير السلطة والبلد معاقبا من قبل الولايات الأمريكية المتحدة بسبب عدم قدرته على تسديد ديونه، ثم استحكمت العقوبات في عهد حكومة الإنقاذ، ثم اتجهت أمريكا لإغراق السودان في ديونه الخارجية بقرار منعه من إعادة جدولتها عام 1990م وإعاقة بذلك من استفادته من القروض الخارجية، ثم بدأت سلسلة العقوبات المتعلقة بشكل مباشر بالأسباب السياسية فوضع على قائمة الدول الراحية للإرهاب عام 1993م، لقطع أي سبيل على السودان من الاستفادة من التعاملات المالية الدولية، والمعونات التي تمنحها المنظمات الدولية لإعانة الدول التي تعرف صعوبات تنموية أو إنسانية، ثم بلغ الحصار ذروته في نوفمبر 1997م بإصدار إدارة بيل كلينتون القرار 13067 القاضي بتجميد الأصول المالية الحكومية وفرض الحظر التجاري على كامل التراب السوداني، وفي 2006م وسع جورج بوش الابن الحظر ليشمل الأشخاص بمقتضى قرار جديد حمل رقم 13400، ثم اتبع البيت الأبيض في عهد أوباما نفس التوجهات وأصبح القرار يجدد دوريا. ولم يكتف الأمريكيون بقرارات الحصار، بل أخذوا يلاحقون أي فرصة يصنعها السودان لتجاوز العقوبات فيدمرونها بأشكال أخرى، منها معاقبة الشركات الأجنبية التي تتجاوز أو تتحايل على العقوبات، ومنها التلويح بالتدخل العسكري المباشر على نحو ما قاموا به في تدمير مصنع الشفا لصناعة الأدوية بحجة أنه ينتج أسلحة كيميائية، ورغم ظهور كذب الادعاء لم يعتذر الأمريكيون عن جرمهم ذلك.

في عام 2002م أصدرت الولايات الأمريكية المتحدة «قانون سلام السودان» الذي نص بأن العقوبات الأمريكية مرتبطة بمدى تقدم المفاوضات مع الحركة الشعبية لتحرير السودان، وفي الوقت الذي كان السودانيون يتجهون إلى حل مشكلة جنوب السودان من خلال المفاوضات حتى يتخلصوا من عبء هذه الأزمة المستدامة منذ الاستقلال، ولرفع العقوبات عنهم عبر اتفاقية نيفاشا للسلام التي أبرمت عام 2005، تعمقت أزمة دارفور التي بدأت في 2003 وصعدت إلى السطح الدولي، فأصدر مجلس الأمن، بترتيبات أمريكية أوروبية، في 29 مارس 2005 القرار 1591 لفرض عقوبات على السودان تشمل توريد الأسلحة ومنع أشخاص متورطين في الصراع وتجميد أصولهم المالية، وأصدرت الولايات الأمريكية المتحدة عام 2006 عقوبات شديدة القسوة متهمه الرئيس البشير ومسؤولين كبار في الدولة بجرائم حرب في إقليم دارفور مستعملة نفوذها في محكمة الجنايات الدولية لمطالبتهم بالمثل أمامها<sup>15</sup>، وذلك سنة واحدة بعد إمضاء السودان معاهدة نيفاشا للسلام، وكأن الدور على دارفور بعد الجنوب.

لقد منعت العقوبات الأمريكية القاسية أن يستفيد السودان من خيراته وموارده ومن أراضيهِ الفلاحية الشاسعة، ومن الاستثمارات المالية الداخلية والخارجية في مختلف القطاعات الاقتصادية إذ القطاع المصرفي السوداني مفصول عن النظام المصرفي العالمي، فلا يستطيع أي تاجر أو مستثمر أن يحول أمواله وأموال شركته من وإلى السودان، بل إن كل مجهود

15 - لم يبق طوفان الأقصى أي وجه للولايات الأمريكية المتحدة تقابل به الأمم الأخرى في حديثها عن حقوق الإنسان وادعاءات جرائم الحرب، فحكمها شركاء في جرائم الحرب والإبادة الجماعية الجارية في حق الفلسطينيين في غزة، ولو كان العالم حرا حقيقة لطالبت البشرية الرئيس الأمريكي وكبار المسؤولين في البيت الأبيض المثل أمام محكمة الجنايات الدولية.

اقتصادي مرتبط بالماكنة والتقنية صار صعبا ومعقدا بسبب التهرّي وعدم القدرة على تجديد الماكينات لنقص قطاع الغيار أو تبديله لصعوبة الاقتناء، وبسبب العقوبات المسلطة في طريق أي مساهمة خارجية تحاول تجاوز العقوبات، وقد أدى كذلك إلى الإضرار الشديد بالبنية التحتية والهيكل القاعدية كالطرق والمؤسسات الخدمية كالمستشفيات والمعاهد والجامعات.

وحتى حينما قررت الولايات الأمريكية المتحدة رفع العقوبات عن السودان في يناير 2017 لم يستفد السودان من ذلك بسبب استمرار وضعه على قائمة الدول الراحية للإرهاب، ثم انفجرت الانتفاضة الشعبية في ديسمبر 2018 وبعد أ، تشكّلت حكومة مدنية انتقالية دخلت في مساومات مع الولايات الأمريكية المتحدة والدول الغربية، حول ملفات كانت مرفوضة من الشعب والحكومة السودانية ومن ذلك إلغاء مرجعية الشريعة الإسلامية والتطبيع مع الكيان الإسرائيلي، قررت الولايات الأمريكية المتحدة رفع السودان من قائمة الدول الراحية للإرهاب في ديسمبر 2020. غير أن ذلك لم يجد، إذ رجعت العقوبات على إثر الأزمة الجديدة، فكما هي المسيرة السياسية السودانية منذ الاستقلال لم يتحقق الاستقرار السياسي بعد سقوط عمر البشير وإبعاد حزبه عن الحكم، ولم تفلح عمليات فرض أليات أيديولوجية على الشعب السوداني بدعم خارجي، فوجدت المؤسسة العسكرية الفرصة مجددا لأخذ الحكم مباشرة، ثم اندلعت أزمة جديدة بتخطيط ودعم خارجي، غربي صهيوني إماراتي، يقودها قائد قوات الدعم السريع محمد حمدان دقلو المدعو حميداتي، وهي القوات التي كانت تابعة للمؤسسة العسكرية في عهد عمر البشير للقتال في دارفور. ورغم محاولات حكومة عبد الفتاح البرهان إقناع مجلس الأمن برفع العقوبات بسبب تغير الأوضاع السياسية ووجود قادة كانوا مشمولين بأزمة دارفور في المؤسسات الرسمية الجديدة لم تفلح في ذلك، بل الأغرب أن قوات الدعم السريع كانت هي المتورطة مباشرة في المواجهات في دارفور ورغم ذلك لقيت دعما مفضوحا من بعض القوى الدولية ومن الإمارات العربية المتحدة صديقة الولايات الأمريكية المتحدة والكيان الصهيوني.

### الفرع الثاني - الكيان الصهيوني:

يعتبر السودان من أكبر الدول العربية والإسلامية المناصرة للقضية الفلسطينية الداعمة للمقاومة، وموقف السودان في هذا الشأن موقف قديم أصيل<sup>16</sup>، بقي ثابتا ضمن الدول القليلة المحافظة على الموقف الرسمي والشعبي الراض لكل أشكال التطبيع مع الكيان والمساند للمقاومة، وقد دفع ضريبة ثقيلة خلال العقود الأربعة الماضية من أجل موقفه من جهاد الشعب الفلسطيني، ودعم مقاومته عمليا بالموقف وبالمال والسلاح والتدريب والاستخبارات وفي الساحة الإعلامية والدبلوماسية والتعبئة الشعبية، ويزداد شرف السودان في موقفه من القضية الفلسطينية أن المجهودات والمؤامرات التي بذلت لجره لصالح الكيان كبيرة، والمحاولات لم تتوقف من قبل فترة الاستقلال وبعده وإلى اليوم، فلم تكلل بالنجاح سوى بعض الاختراقات العابرة.

لقد سعى الإسرائيليون لإقامة علاقات مع السودان في وقت مبكر بعد إنشاء كيانهم،

16. راجع مذكرات البكاشي زاهر سرور ساداتي عن حرب 1948م.

مجلة إفريقية للدراسات الإستراتيجية والبحوث (اساد)

فبعثوا عام 1951م وفدا تجاريا من خمسين شخصا إلى الخرطوم، وكان ذلك هو قاعدة الانطلاق لبناء علاقات مع رجال الأعمال وقادة الأحزاب والمنظمات، والشخصيات السياسية والثقافية والفكرية، ومن الأخبار الموثقة<sup>17</sup> في مجال العلاقات الإسرائيلية مع النخب، اللقاء السري الأول الذي تم في لندن عام 1954 بين الإسرائيليين والزعيم السوداني الصديق عبد الرحمن المهدي<sup>18</sup> الرئيس الأول لحزب الأمة الممثل لتيار المهدوية في السودان الرفض للوحدة مع مصر، وقد رتب هذا اللقاء السري التاجر والسياسي محمد أحمد عمر<sup>19</sup>، الذي يعد مهندس علاقات حزب الأمة مع الإسرائيليين، ثم جرت لقاءات أخرى، منها لقاء جرى في قبرص عام 1955 وقد كان الهدف المشترك للعلاقة بين الطرفين هو منع الوحدة المصرية السودانية، خصوصا بعد حالة الإحباط التي كان فيها حزب الأمة في مواجهة صعود التيار الوحدوي الممثل في الحزب الوطني الاتحادي بزعامة إسماعيل الأزهرى المسنود من مصر. غير أن هذه المساعي لم تنجح وتؤكد استقلال السودان عام 1956م، ضمن إرادة سودانية عامة وبإقامة علاقات جيدة مع مصر ودعم سوداني للمجهود العسكري المصري المضاد لإسرائيل، فتوجهت الاستخبارات الإسرائيلية بالتنسيق الكامل مع الولايات الأمريكية المتحدة وبريطانيا وفرنسا، لدعم الحركات الانفصالية الجنوبية والتدخل في الصراعات بين النخب والأحزاب السياسية السودانية وخلق التوترات الاجتماعية والإثنية، والتمدد في الجوار السوداني، فساهمت في تشكيل جيش تحرير جنوب السودان الانفصالي ودعمته إلى أن انفصل جنوب السودان وأخذ معه قرابة 75 بالمائة من احتياطات البترول، وأقامت قواعد اتصال في اثيوبيا وأوغندا وكينيا والكونغو لاحتواء السودان ومن خلاله مصر ومنع تأثيرهما في العمق الأفريقي، واستمرت تتآمر على السودان لمواصلة مخططات التشرذم والتمزيق في مناطق أخرى ومنها على الخصوص دارفور.

ورغم الموقف الشعبي العام المتلاحم مع القضية الفلسطينية والرفض لأي شكل من أشكال التطبيع بقيت الاستخبارات الإسرائيلية فاعلة في السودان مستفيدة من الدعم الأمريكي الغربي لصالح دولة الكيان، توتى بين الحين والحين ثمارها، على نحو العملية الاستخباراتية الكبيرة التي تم من خلالها نقل يهود اثيوبيا «الفلاشا» إلى دولة الكيان بالتعاون مع المخابرات السودانية في الثمانينات في عهد النيميري. وحتى في أواخر عهد عمر البشير، حدث شيء من الاختراق الصهيوني، من خلال تصريح وزير الخارجية السابق «إبراهيم غندور» عن إمكانية التطبيع مع إسرائيل إذا رفع الحصار، وما أذيع عن لقاء لم يتم بين رئيس جهاز الأمن السوداني «صلاح قوش» ورئيس الموساد «يوسي كوهين».

17 - أكد الصادق المهدي، رئيس الحكومة السابق ورئيس حزب الأمة السابق، في حصة شاهد على العصر مع أحمد منصور يوم 9 أغسطس 2015 لقاء والده الصديق المهدي مع الإسرائيليين ولكن ذكر بأن اللقاء لم ينبثق عنه أي شيء.

18 - ابن عبد الرحمن المهدي ابن الإمام المهدي قائد الثورة المهدية وخليفته، وهو زعيم ديني وتاجر وسياسي، وشخصيته جدلية اتهم بالعمالة لبريطانيا على إثر إهداء سيف والده للملك البريطاني جورج الخامس، أثناء زيارته بريطانيا ضمن وفد سوداني بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، كسلوك رمزي بأنه تخلى عن الجهاد بالسلح وأن نضاله من أجل بلده سيكون سلميا فقط، وكان من الشخصيات التي دعمت الانقلاب الذي قام به الجنرال إبراهيم عبود.

19- طالع تفاصيل أكثر عن شخصية محمد أحمد عمر في مقال بموقع النيلين:

<http://www.alnilin.com/12906491.htm>



لقد ظل استهداف الكيان الصهيوني وحلفائه الغربيين ثابتاً ضد السودان لأسباب لم تخفها الوثائق المنشورة الإسرائيلية، منها منع السودان من استثمار مقدراته الهائلة المتعلقة بالموقع الجغرافي المهم والموارد الطبيعية الضخمة والموارد البشرية الكثيرة والفاعلة التي قد تجعل منه دولة قوية ومؤثرة تشكل خطراً على إسرائيل، وتخريب علاقته بمصر لكي لا يكون سندا لهذا البلد الذي يعتبره الصهاينة هو الخطر الأعظم على وجود دولتهم في كل الوقت ومهما كان من يحكمه، ومنع أي دعم يصل للفلسطينيين من الأراضي السودانية، سواء من السودانيين أنفسهم أو عبرها من طرف ثالث باعتبار موقعها الجغرافي المهم في اتجاه فلسطين، وهذا الذي نستشفه في ما نشره وزير الأمن الإسرائيلي السابق آفي دختري في إصدار له عام 2008م، وما يقوله عميد الموساد السابق موشي فرنشي في كتابه «إسرائيل وحركة تحرير جنوب السودان» الصادر عن مركز ايان عام 2002م، وما نشره الخبير الإسرائيلي في الشؤون الإفريقية قساريا منانيا من تفاصيل عن التدريب والتسليح ومختلف أنواع الدعم الذي قدمته إسرائيل للقوى الانفصالية والمناوئة في جنوب السودان ودارفور عبر عدة أجيال.

وقد تصاعد التأمر أكثر على السودان بعد أن حكم السودان التيار الإسلامي بعد 1989م إذ لم تتوقف الصحف الإسرائيلية على التحرش بالسودان ونشر التقارير عن مختلف أشكال الدعم السوداني للمقاومة الفلسطينية، ثم وصل العدوان الصهيوني إلى الهجمات العسكرية المباشرة، على نحو ما وقع في الغارات الجوية في 2009 و2011 و2012 و2014 و2015م. وبعد سقوط البشير أظهرت وسائل الإعلام الإسرائيلية ابتهاجا كبيرا مؤكدة بأن حركة حماس لن تجد حليفا مثل عمر البشير.

### الفرع الثالث - الإمارات العربية المتحدة:

حينما نتحدث عن عدوان الأتقاء يمكننا أن نتطرق إلى المظالم الكبيرة والفساد الذي استشرى على يد الحكام المصريين والأتراك تحت الوصاية البريطانية والذي أدى إلى نشوب الثورة المهدية، ويمكن الحديث عن مشاركة كثير من الدول العربية في الحصار الذي ضرب على السودان أثناء حكم عمر البشير والتيار الإسلامي بزعامة الترابي، غير أن الظلم والجرائم والتدمير المنهجي للسودان على يد حكام الإمارات لم يحدث مثله.

لا يخفى على الجميع أن حكام دولة الإمارات حولوا بلدهم إلى قاعدة عدااء للمسلمين وصل ضررهم إلى العديد من دول العالم العربي والإسلامي، بل صارت الحليف الأساسي للعدو الصهيوني والقوى الاستعمارية لتصفية القضية الفلسطينية وخدمة التطبيع مع الكيان ومحاربة كل القوى الوطنية التي تسعى لنهضة بلدانها وصيانة سيادتها وتحرير فلسطين وعلى رأسها الحركات الإسلامية، فقد ساهمت أيديهم الملوحة بالدماء في كل المآسي والفتن التي حدثت في سوريا واليمن والعراق وتركيا وفي المغرب وتونس والجزائر وليبيا ومصر وماليزيا وفي العديد من الدول الإسلامية بل لاحقت المسلمين المقيمين في البلدان غير المسلمة وأنفقت الأموال الطائلة لإحكام مؤامراتها، غير أن ما أحدثته الإمارات في السودان يتجاوز الخيال بتسليح قوى الدعم السريع ونقل المرتزقة لمحاربة القوات المسلحة السودانية، وما قام به هؤلاء من قتل جماعي واغتصاب وعنف جنسي وتدمير المنشآت واحتلال المؤسسات والبيوت وحصار الأحياء والقرى وتجويع وتبديد مقدرات البلد سيبقى

ماثلاً في ذاكرة السودانيين والشعوب العربية والإسلامية والشعوب الحرة إلى الأبد. وقد تناول مسؤولية الإمارات في هذه الجرائم العديد من الصحف الغربية والعالمية وعرض مندوب السودان الدائم لدى الأمم المتحدة شكوى لمجلس الأمن مدعمة بالدلائل الموثقة ضد الإمارات.

لقد أقدمت دولة الإمارات العربية على هذه الجرائم في حق السودان رغم العلاقات التاريخية المتميزة التي جمعت بين البلدين، فالسودان من الدول الأوائل التي اعترفت بدولة الإمارات العربية المتحدة حين تأسست من اتحاد عدد من المشيخات بزعامة الشيخ زايد بن سلطان عام 1971، وكان الرئيس النوميدي هو أول رئيس أجنبي يزور الدولة الوليدة، وكان الخرطوم هو أول بلد يزوره الرئيس الإماراتي الجديد بعد توليه الحكم، وقد انبثق عن تلك الزيارة اتفاقات عديدة ذهب على إثرها عشرات الآلاف من السودانيين عبر سنوات للمساعدة في تأسيس الدولة الناشئة وصياغة دستورها وقوانينها وإقامة مؤسساتها وتسيير منشأتها الإدارية وتدريب أجهزتها العسكرية والنظامية، و عمر البشير نفسه عمل ضابطاً في الجيش الإماراتي كعسكري معار من الجيش السوداني، وربما يكون هذا التداخل العسكري والأمني سبب من أسباب ضعف الحصانة الأمنية السودانية أمام الكيد الإماراتي.

حين نتذكر هذا الكيد العظيم الذي يصير حكام الإمارات الحاليين على حياكته وتنفيذه ضد الدول والحركات والمنظمات والشعوب في العالم الإسلامي، يتبادر سؤال إلى ذهن المندهرشين من هذه الحالة الكيدية التي تنافس الشيطان نفسه: لماذا كل هذا؟ وما الذي جعل هؤلاء يصيرون إلى هذا؟ بما لم يره الناس من الأب المؤسس زايد بن سلطان رحمه الله وحكام الإمارات سابقاً.

يمكننا أن نفهم أن الذي صنع هذه الشخصية العدوانية عوامل عديدة منها تعهد الغرب خاصة البريطانيين بتكوين هذا الجيل من الحكام منذ صغر سنهم وشبابهم وخصوصاً أثناء دراستهم في جامعات المملكة المتحدة والأكاديميات العسكرية ومخاطبتهم النوادي والمحافل الماسونية التي تحسن صناعة العقول وتحويلها عن معتقاداتها وقيم قومها، يضاف إلى ذلك مخالطة اللوبيات الإسرائيلية والصهيونية العالمية والاستعانة بها للحصول على النفوذ في المؤسسات الأمريكية ومنها الكونغرس والبيت الأبيض للتحكم في بلدانها وشعوبها دون رقابة دولية عليها، ولقبولها كشخصيات وسيطة مفضلة لتمرير السياسات الاستعمارية في العالم العربي والإسلامي بديلة للمراكز العربية التقليدية في مصر والمملكة العربية السعودية والأردن وغيرها. والذي صنع لحكام الإمارات هذا الغرور وهذه الجرأة ليس تميز شخصياتهم من حيث القدرات العقلية والمهارات الشخصية وإنما هو الوفرة المالية التي استطاعوا أن يشتروا بها الذمم وأن يصنعوا شبكة من الخونة والمتآمرين<sup>20</sup> في مختلف البلدان العربية والإسلامية وفي بلدان المهجر في كل مكان، وأن يتعاقدوا مع أقوى مراكز الدراسات والعلاقات العامة وكبار المستشارين السياسيين والأمنيين العالميين كفريق توني 20 - أخرني أحد كبار وقدماء الصحفيين في الجزائر بأنه تم دعوته إلى الإمارات وحين التقى بمدعويه أرادوا تجنيده ضدي وضد الحركة الإسلامية في الجزائر، وأن ثمة عدداً من الشباب الصحفيين سيتم تجنيدهم لذات الغرض، وبالفعل تم كشف أحدهم جند في مجلة العين الالكترونية ضدي، وأثناء محاكته اعترف بأن إدارة المجلة كانت تكتب المقالات باسمه وتم الحكم عليه من قبل القضاء الجزائري.

بليز، وريتشارد كلارك، وأريك برنس مؤسس شركة بلاك ووتر سيئة السمعة، وشركة ويكي ستارت الإسرائيلية المتخصصة في إدارة الأزمات الجيوسياسية، وشركات المراقبة والتجسس كشركة هاكينج وشركة سايبير بوينت.

ولكن مهما بلغ كيدهم ومكرهم ، ومن معهم من الكفار والمنافقين والمتآمرين، ومها سخرُوا من أموال لذلك فسيحبط الله تدبيرهم وسيكون فيه تدميرهم، كما يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ، وَأَكِيدُ كَيْدًا ، فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُؤْدًا ﴾<sup>21</sup>، ويقول: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾<sup>22</sup>، ويقول: ﴿ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾<sup>23</sup>، ويقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ، لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾<sup>24</sup>

### الفصل الثاني - لماذا يستهدفون السودان؟ وماذا يستهدفون؟

هناك أسباب عديدة جعلت السودان محل أطماع الاستعمار الغربي والكيد الصهيوني والإماراتي منها:

#### الفرع الأول - مقدرات السودان والإمكانيات الكبيرة والمتنوعة التي يتمتع بها:

إن من الأسباب التي يستهدف من أجلها السودان المقدرات الجبارة التي يتمتع بها على عدة أصعدة، والتي تؤهله أن ينهض ليكون دولة قوية مزدهرة تمثل نموذجًا صالحًا للانتشار ودعم النهوض العربي والإسلامي، يخيف الاستعمار الغربي وأتباعه والكيان الصهيوني وعملائه، فموقعه جنوب مصر وحدوده الممتدة بين العالم العربي والعمق الأفريقي مع عدة دول أفريقية وشريطه الساحلي الطويل على البحر الأحمر يجعل أهميته الجيوسراتيجية كبيرة جدا، تصعد بقيمته وتجعله قوة إقليمية مؤثرة في التطورات الإقليمية والدولية لو تحقق له النهوض، علاوة على أن كل من يسيطر على هذه الميزة الجيوسراتيجية من القوى الطامعة يزداد به قوة في مواجهة المنافسين.

وأهمية السودان لا تنفك عن أهمية إفريقيا<sup>25</sup> فهو في قلبها، وبوابة شرقية استراتيجية لهذه القارة التي بات التنافس على المصالح والنفوذ فيها أكثر حدة بين القوى الدولية والقوى الصاعدة، من حيث أنها قارة المستقبل، من حيث قوتها الديمغرافية وأهميتها الجغرافية، وتنوع مناخها وبيئتها الطبيعية وكثرة أنهارها وغاباتها وثرواتها السمكية والحيوانية والغابية ومساحاتها الزراعية الشاسعة، ومواردها الطبيعية العظيمة، إذ تحوز على 12 % من إجمالي احتياطي النفط العالمي، و 18 % من إنتاج اليورانيوم وثالث الاحتياطي العالمي منه، و 25

21 - سورة الطارق الآية 17

22 - سورة إبراهيم الآية 60

23 - سورة الأنفال الآية 30

24 - سورة الأنفال الآية 36

25 - انظر مقال «إفريقيا من منظور القوى الكبرى .. ساحة للتنافس على مخزون استراتيجي، العدد 15، 2

% من إجمالي إنتاج العالم من الذهب، و 40 % من إجمالي إنتاج العالم من الماس، و 80 % من إجمالي إنتاج البلاتين، و 27 % من إجمالي إنتاج الكوبالت، و 9 % من إجمالي إنتاج الحديد، علاوة على الموارد الطبيعية غير المستكشفة وغير المستغلة، كالأتربة النادرة وغيرها.

والسودان في حد ذاته جزء كبير من هذه المقدرات الطبيعية في إفريقيا، بإمكانه أن يكون سلة استراتيجية للغذاء في العالم ينافس الدول القليلة التي تحتكر إنتاج المواد الغذائية الأساسية، بمساحته الشاسعة التي تبلغ 1,886,068 كيلو متر مربع، منها 84 مليون هكتار قابل للزراعة، ثلثا المساحة القابلة للزراعة لم تستغل حتى الآن وهي تساوي كل المساحة المزروعة في الوطن العربي ب 24 مليون هكتار من المراعي الخصبة، وهو ينتج 80 % من الإنتاج العالمي للصبغ الغربي، ومن أكبر الدول المنتجة للمسمم والقطن، ويحتل السودان المرتبة السادسة عالمياً والأولى عربياً من حيث الثروة الحيوانية، 128 مليون رأس من الماشية و 37 مليون رأس من الأبقار و 38 مليون من الماعز و 46 مليون من الأغنام 3 مليون من الأبل و 4 مليون من الأحصنة أو الخيول، كما يضم السودان مصادر وفيرة و متعددة من المياه السطحية والجوفية، و 64 مليون هكتار من الغابات، علاوة على موارد طبيعية معتبرة، كالذهب الذي يعد السودان أكبر ثالث دولة إفريقية في إنتاجه ويستطيع أن يتصدر إفريقيا في حالة الاستقرار، وكالفضة والنحاس والحديد والكروم والزنك والمنغنيز والميكا والرخام والجبس، ورغم خسارته 70 % من احتياطياته النفطية بعد انفصال جنوب السودان، لا تزال له مقدرات طاوية جيدة قابلة للنمو وفق الاستطلاعات الاستكشافية المقدرة.

### الفرع الثاني - العراقة التاريخية والحضارية والتنوع الثقافي:

تعلم الدول الاستعمارية أن الأمم التي تتميز برصيد تاريخي عريق وعمق حضاري ضارب في القدم له ثقة في نفسه ومؤثر في غيره وقادر على العودة الحضارية، خصوصاً إذا كان شعبه متمسكا بهويته وتاريخه، لذلك يُستهدف لطمس هويته وكسر إرادته بالاحتلال والتجهيل والتفكير وبعزله عن محيطه.

فالسودان من الناحية التاريخية مهد حضارة من أرقى وأقدم الحضارات، أرقى وأعرق من تاريخ الدول الهجينة و سطحية الجذور التي استهدفتها، تدل على ذلك الآثار المنتشرة في العديد من مناطق السودان، المحمية من قبل اليونيسكو، ومنها القصور والمقابر القديمة، والمعابد والأهرامات التي يفوق عددها عدد أهرامات مصر ويعود عمقها التاريخي إلى 2500 قبل الميلاد، ويعود الوجود السياسي للسودان إلى آلاف السنين، منذ مملكة «كوش» النوبية التي حكمت، عبر مراحلها الثلاث، مساحات أوسع من جغرافيا السودان الحالية لأكثر من 3000 سنة، من 2450 ق م إلى 300 م، واتسعت في مرحلتها الأولى إلى مصر فحكمها ملوكها كفاعنة الأسرة الخامسة والعشرين.

يحاول الغرب وأعداء السودان التدخل لضرب التعايش الثقافي والعنقي والديني المستقر منذ قرون واستعماله للتفرقة بين السكان لكي يحوله من عنصر قوة إلى عنصر ضعف. إن تاريخ السودان في التسامح الديني والتنوع الثقافي قديم كقدم التاريخ، لا قبل للمتأمرين أن يتناولوا عليه ويمنحوه درسا في التسامح، فبعد أن دخلت المسيحية السودان في القرن الثالث الميلادي توالى عليه ممالك نوبية مسيحية منذ القرن السادس المسيحي، استطاعت أن تحقق تصالحا مع الزحف الإسلامي القادم من مصر في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما، فُتسج تعايش مثالي في السودان بين المسيحية والإسلام في إطار

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )

اتفاقية البقظ التي ثبتت أكثر من سبعة قرون، منذ أن أبرمها بن أبي السرح والي مصر مع دولة المقررة المسيحية، وأكثر مما جعل الإسلام ينتشر في السودان التأثير المباشر والاحتكاك بالمسلمين الدعاة والعلماء والتجار، وأما اللغة العربية فقد دخلت البلد قبل مجيء الإسلام من خلال هجرات سكانية من الجزيرة العربية وقد ساعد ذلك على تحول البلد تدريجياً إلى اللغة العربية تأثراً بالدين الإسلامي وكتابه العزيز وحضارته الساطعة، ولم تقم دول إسلامية في السودان بالقوة وسلطان السيف، وإنما حدث ذلك بشكل تلقائي في القرن الثالث عشر الميلادي بعد انهيار الدول المسيحية المتصارعة بينها من تلقاء نفسها.

يقوم المجتمع السوداني على تنوع عرقي وتعدد قبلي أحصي منه قرابة 570 قبيلة بسحنات مختلفة، وتنوع ثقافي كبير وتعايش بين التقاليد والعادات النوبية والأفريقية والعربية الإسلامية، ويبرز ذلك في السلوك والأطعمة واللباس والموسيقى وغير ذلك، وبالإضافة إلى اللغة العربية التي يتخاطب معظم السودانيين يوجد بهذا البلد قرابة 114 لغة، وبسبب هذا التنوع يسمى البعض السودان بـ «إفريقيا الصغيرة» من حيث أن كل الأشكال والثقافات الموزعة بين شمال ووسط وجنوب إفريقيا موجودة فيه، كما يسمّى السودانيون «العرب الأفارقة» أو «الأفارقة العرب».

### الفرع الثالث - الهوية الإسلامية:

يعتبر أعداء السودان بأن السبب الرئيس لثبات السودان رغم المؤامرات وشدة الحصار هويته الإسلامية، فلذلك من أعظم ما يتقصدون استهدافه في السودان مرجعية الشريعة والقيم الإسلامية، وهم يعلمون بأن مهمتهم صعبة فالإسلام راسخ في نفوس المسلمين محبب لشرائح سودانية واسعة من غير المسلمين، لا يقبل السودانيون المساس بهويتهم أبداً، وتتعايش مكوناتهم الدينية والثقافية منذ قرون، فالذي حمى المسيحية في السودان ولم يكره السكان على تركها هو الإسلام ذاته، والذين قبلوا الإسلام طواعية هم أولئك المسيحيون الذين حموا أعرق وأقدم مسجد في إفريقيا (بناه الصحابي قاهر البيزنطيين في إفريقيا عبد الله بن أبي السرح، وسمي باسمه)، تحت حكم دولة مسيحية لقرون طويلة ضمن اتفاقية البقظ. ولما انتشرت هداية الإسلام في السودان بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة اختلطت ثقافته العليا المرتبطة بوحى السماء بالثقافات المحلية الأفريقية في البلد فقومتها من شوائب الشرك وتقبلتها وجعلتها جزء من ميراث الحضارة الإسلامية العالمية ذات الثقافات والأنماط والتقاليد الحياتية المتنوعة. ثم قامت في السودان منذ بداية القرن السادس عشر دول إسلامية في مختلف أرجائه<sup>26</sup> كان لها دور كبير في تعليم الناس الإسلام بجلب العلماء والدعاة من الجزيرة العربية ومصر، ومن عرب وبربر بلدان المغرب، ومن جنوب الصحراء ووسط وغرب إفريقيا التي كانت تسمى كلها السودان من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر، فصار السودان بلداً متنوعاً يسكنه مسلمون سودانيون من كل هذه الأصول العربية والأفريقية والبربرية إلى اليوم.

وحيثما أسقطت جيوش محمد علي باشا القادمة من مصر مملكة سنار في عام 1820 توسعت في كامل السودان، وتشكلت المعالم الجغرافية للسودان الحالي، وقد يكون سبب

26 - مثل السلطنة الزرقاء أو مملكة الفونج (1820-1505م) وعاصمتها سنار، وسلطنة الفور في الغرب (1875-1637) م، واستقر حكمها في الفاشر، ومملكة تغلي في جبال النوبة (حوالي 1570 إلى أواخر القرن التاسع عشر تقريباً)<sup>[42]</sup> إضافة إلى ممالك أخرى مثل مملكة المسبعات في كردفان، ومملكة الداجو ومقر حكمها كلوا في الغرب الأقصى ومملكة البجا وعاصمتها هجر في الشرق.

سرعة التوسع العثماني قبول كثير من السودانيين الانزواء تحت حكم إسلامي يمثل الخلافة الإسلامية<sup>27</sup>، ولكن مقاومتهم ضد فساد وظلم الحكام الأتراك والمصريين لم تتوقف، وكل مقاومة قامت ضد الحكم التركي المصري إلا وكانت باسم الإسلام ويقودها الدعاة والعلماء ورجال الطرق الصوفية إلى أن تصاعدت الاحتجاجات وتجمعت عبر عاطفة دينية شعبية عامة في إطار الثورة المهديّة التي قادها محمد أحمد بن عبد الله بن فضل، المعروف بمحمد المهدي لادعائه أنه المهدي المنتظر. وقد استطاع أن يزيل الحكم التركي المصري ويقيم الدولة المهديّة السودانية على أساس الشريعة الإسلامية.

وحيثما تشكلت الحركة الوطنية بعد سقوط الدولة المهديّة كان يغلب عليها البعد الديني، طوال فترة الاحتلال البريطاني المصري وبعد الاستقلال، فبعد الاستقلال سيطر على الساحة السياسية حزبان يعتمدان على المرجعية الدينية والحاضنة الاجتماعية المرتبطة بالطوائف الصوفية، ولهذا سميت الأحزاب الطائفية، وهي حزب الأمة الذي يعتمد على طائفة أنصار المهدي، والحزب الوحدوي الوطني الذي يعتمد على الطائفة الختمية، والقادة العسكريون الذي قاموا بالانقلابات العسكرية سعوا كلهم للتمكين لإسلام وعروبة السودان، فإبراهيم عبود هو من حرص على تعريب الجنوب ونشر الإسلام فيه، وجعفر النميري هو من أعلن قوانين تطبيق الشريعة، وعمر البشير هو الذي حافظ على الشريعة ودفع من أجل ذلك الأثمان، والبدل الذي فرض نفسه فكراً واجتماعياً وسياسياً كبديل للأحزاب الطائفية بعد ضعفه هو الحركة الإسلامية، وبعد انتفاضة 2018 والانقلاب على البشير حاولت التيارات العلمانية محو ما سمي بقوانين الأسلمة والتمكين الإسلامي، بدعم خارجي فاصطمت بالتيار الشعبي العريض بمختلف مكوناته الصوفية والرسمية والحركية، وسبق الإسلام هو الحصن الحصين الذي يحمي السودان من المؤامرات الغربية والصهيونية وبعض الدول الغربية، ولن تنفع مشاريعهم التي تستهدف هذا الدين العظيم الراسخ في نفوس وعقول السودانيين والمحفوظ من الله تعالى العلي العظيم.

#### الفرع الرابع - الموقف من القضية الفلسطينية ودعم المقاومة:

يجتمع الشعب السوداني بكل أحزابه وتوجهاته الفكرية في موقف واحد تجاه القضية الفلسطينية، لا تهزه الضغوط الخارجية ولا تغيره الاختراقات العابرة، وموقفهم عميق قديم له جذور ممتدة في التاريخ وراسخة في العقيدة وذات ارتباط متين بمصلحة البلد وبالأبعاد الإنسانية التي يكون عليها أي آدمي سوي.

يعود ارتباط السودانيين بالأرض الفلسطينية منذ عهد الكوشيين الذين حكموا مصر الفرعونية، في زمن الملك طهرقة (أو طهراقا أو ترهاقا)، خامس ملوك الأسرة الخامسة والعشرين بين 690 - 664 ق م، إذ حارب الآشوريين وحمى أورشليم منهم في فترة من فترات حكمه، وقد قص الإنجيل ذلك وسماه «ملك الرب»، كما تحدث في سفر أعمال الرسل عن علاقة النوبيين بغزة والقدس في عهد الملكة كنداك<sup>28</sup>.

وحيث دخل السودان الإسلام وارتبط أهل البلد بالقرآن وسيرة النبي العدنان، صارت القدس وفلسطين جزءاً من عقيدتهم، إذ بها المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين، وسورة في كتاب الله العزيز الديان، وهي الأرض التي حينما فتحها الفاتحون استلم مفاتيحها ثاني

27 - شهدت مواجهة القبائل والملوك المحليين للتوسع العثماني على يد إسماعيل باشا ابن علي باشا، حالات كثيرة تحول فيها المقاتلون ضده إلى ضباط وعساكر في جيشه.

28 - انظر مقال « النوبة في الكتاب المقدس»، مجلة التحرير الإلكترونية، بدون ذكر اسم صاحب المقال، 04 يونيو 2017.



الخلفاء الراشدين وترك عهده العمرية للمسيحيين والمسلمين بأن لا حق لليهود في القدس. وهم يعلمون أن دينهم يجعل تحرير المسجد الأقصى فرض عين على كل مسلم، بقدر ما آتاه الله من المكنة والاستطاعة، وأن الإعداد لتحقيق المكنة من أجل تحرير القدس وفلسطين هو من الواجب الذي لا يتم الواجب إلا به.

لا تخلو مرحلة تاريخية منذ احتلال فلسطين لم يسجل فيها التاريخ مواقف مشرفة وبطولات شاهدة لأهل السودان دفاعاً عن الأرض المقدسة والوقوف في وجه المحتلين،

ويظهر إجماع أهل السودان في الوقوف مع فلسطين موافقهم وبياناتهم، منذ مطلع الاحتلال، من قواتهم المسلحة ومن الأحزاب الطائفية التقليدية، إلى التيار الإسلامي، إلى الأحزاب اليسارية.

ينقل السودانيون في مقالاتهم في المواقع الالكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي بفخر كبير ما ورد في مذكرات الكباشي زاهر سرور الساداتي عن مشاركة سريته في حرب 1948 كمتطوعين، وهم تحت الاحتلال البريطاني، وكيف ودعت سريته بحفاوة كبيرة أثناء مغادرتهم أدمرمان من نادي الخريجين الذي كان لهم دور كبير في تجهيز المتطوعين وجمع التبرعات، وكيف استقبلوا في القرى التي مروا بها وحين وصلوا إلى الخرطوم ثم إلى القاهرة، وكيف كان الترحيب بهم كبيراً من طرف الجيش المصري، وكيف كانوا يدرّبون المتطوعين من جنسيات أخرى على استعمال السلاح ورمي القنابل، وعن قتال سريتهم التي كانت أقرب إلى مواقع العدو وما حققوه من انتصار في المعركة التي خاضوها رغم الخسائر الكبيرة من الشهداء والجرحى. والقصص الشعبية التي ينقلها الشباب عن مشاركة أسلافهم في حرب 48 كثيرة مما سمعوه عن آبائهم وأجدادهم منها قصة أولئك الحجاج من دارفور الذين كانوا متجهين إلى بيت المقدس لاستكمال مناسكهم فسمعوا بما تفعله العصابات اليهودية بإخوانهم الفلسطينيين فقطعوا وجهتهم العبادية واتجهوا للنجدة والجهاد في سبيل الله فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً ودفنوا في مقبرة بحيفا سميت باسمهم، علاوة على رباط السودانيين بالقدس وبشمال غزة في منطقة السودانية.

لقد كانت نكبة احتلال فلسطين في 1948 هي نكبة كل المسلمين ونكبة السودانيين الذين خرجوا للتظاهر في الشوارع في مختلف أنحاء السودان بسيول هادرة من البشر جعلت البريطانيين يخشون على وجودهم، إذ أدركوا بأن هذا الشعب المسلم سيخرجهم لا محالة من أرضه.

وبعد الاستقلال قام البرلمان السوداني بإصدار قانون مقاطعة للكيان الصهيوني عام 1958، وكان قانوناً صارماً لا مثيل له جرم أي تعامل مع الكيان بشكل مباشر أو غير مباشر، ونص على عقوبات شديدة ومصادرة للبضائع في حق أي تاجر يتعامل مع الإسرائيليين. وكان قانون المقاطعة هذا هو سبب بدايات الحصار الاقتصادي من الشركات الأمريكية التي يسيطر عليها اليهود، وسبب بدايات التآمر الصهيوني على السودان، خصوصاً في جنوب السودان.

وبعد هزيمة الجيوش العربية في 1967 عقدت الدورة الرابعة للجامعة العربية 29 أوت\ أغسطس بالعاصمة الخرطوم، وهي القمة التي عرفت باللغات الثلاث (لا صلح، لا مفاوضات، لا تطبيع)، وفي حرب أكتوبر 1973 شارك الجيش السوداني بأربعة ألوية مشاة وكتيبة قواة خاصة وتجنيد وتدريب المتطوعين بمهمة إسناد القوات المصرية وقد استطاع عدد من الجنود عبور خط بارليف.

وبعد أن دشّن أنور السادات مسار التطبيع بقي السودان على اللات الثلاث وبقيت السودان

على هذا الموقف مع عدد من الدول العربية كالجزائر والعراق وليبيا واليمن وسوريا. ولم تكثف بالممانعة بل تجاوزت كل الدول العربية في عهد حكومة الإنقاذ إلى الدعم المباشر للمقاومة، من خلال استقبال قادتها على أراضيها، وفسح المجال لرجالها بالإقامة والدراسة والعمل، بأعداد كبيرة. بل إن الولايات الأمريكية والكيان الإسرائيلي، باتوا يتهمون السودان بتسليح المقاومة من خلال التصنيع على أرضه، وتهريب السلاح من إيران ودول أخرى، وتدريب المقاومين الفلسطينيين، وقد دفع السودان الثمن غالبا بسبب مواقفه ودعمه للمقاومة وبسبب تلك الاتهامات، ففي 2019 أغار الطيران الإسرائيلي على قافلة سودانية للقوات المسلحة تنقل السلاح بحجة أنها كانت متجهة لغزة، وفي 2011 تعرض مسؤول في حماس ببورسودان لمحاولة اغتيال بغارة جوية إسرائيلية، وفي 2012 قصف سلاح الجو الإسرائيلي مصنع اليرموك العسكري، وفي 2015 أسقط السلاح المضاد للطائرات طائرة بدون طيار إسرائيلية بعد قصفها مصنع في أم درمان.

وأشد الأثمان قسوة التي دفعها السودان، للأسباب المتنوعة التي ذكرناها أعلاها، وخصوصا سبب الوقوف مع المقاومة، هو الحصار الاقتصادي الشديد الذي لم يضرب مثله على أي بلد آخر، والذي شل أي قدرة لتحرك الموارد المالية من وإلى البلد بما يمنع أي إقلاع اقتصادي ويعرقل كل مجهود لتحقيق التنمية.

ورغم التآمر المستمر ضد السودان من قبل الكيان الصهيوني وحلفائه، ورغم الاختراقات التي يحققها بين الحين والحين بقي السودان مساندا للقضية الفلسطينية، رغم كل الأزمات التي مر بها. ويعود ثبات عموم السودانيين وقدرتهم الدائمة على كسر محاولات التمدد الصهيوني، اعتزازهم بدينهم وهويتهم وتاريخهم، وبسبب وعيهم بمخاطر الصهيونية على بلدهم ووحدتهم وخيراتهم ومستقبلهم.



## الأبعاد الديمغرافية للحرب على السودان

أ.د/ هاشم محمد الأمين البدري<sup>1</sup> د. مزمل الريس أحمد علي<sup>2</sup>

### مستخلص البحث:

الغرض من هذا البحث التعرف على الأبعاد الديمغرافية والاثنوغرافية للحروب على السودان من منظور جغرافية السكان وذلك للتعرف على العوامل التي تشجع الحركة السكانية والهجرة من دول الجوار الجغرافي وذلك استشهد بحرب 15 أبريل 2023 م التي تمت تغذيتها بالمهاجرين عبر الحدود المفتوحة على دولة السودان.

تحيط بالسودان سبع دول هي مصر وليبيا وتشاد وإفريقيا الوسطى ودولة جنوب السودان وإثيوبيا ثم إريتريا. وتبلغ إجمالي طول الحدود السودانية حوالي (6751) كيلومتراً، وهي حدود طويلة وفي مجملها غير واضحة المعالم.

يبلغ عدد السكان في دول الجوار السبع حوالي مائتين خمس وأربعين مليون نسمة موازنة بحوالي أربع وثلاثين مليون نسمة تقريباً في السودان، يتسلل السكان من دول الجوار لاحتلال الأراضي الحيوية المجاورة أو بحثاً عن الموارد المعدنية وغيرها أو بحثاً عن العمل داخل السودان والاستقرار فيه أو العبور منه للدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية.

وقد خلص البحث إلى عوامل الحراك السكاني نحو السودان ستزداد في المستقبل ولا بد على السودانيين من العمل على تطوير قوات حرس الحدود السودانية لتقنين هذه الهجرة ومعالجة مشكلات الحدود وتحديد معالمها. وضع السياسات السكانية اللازمة لتعالج العجز في الأيدي العاملة بالسودان وذلك بالاستفادة من المهاجرين من دول الجوار الجغرافي بالإضافة إلى ضرورة بناء المدن الحدودية منعاً لتمدد السكان من الدول المجاورة في الأراضي السودانية الحدودية الحيوية الخالية من السكان.

Keywords: demographic, ethnographic, population movement

١ - مدير مركز السلام للبحوث والدراسات الإستراتيجية - جامعة كرري.

٢ - أستاذ مساعد قسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة إفريقيا العالمية.

## Abstract

The purpose of this research is to identify the demographic and ethnographic dimensions of wars in Sudan from the perspective of population geography. This aims to understand the factors that encourage population movement and migration from neighboring countries, citing the war on April 15, 2023, which has fed the influx of migrants across the open borders into Sudan.

Sudan is surrounded by seven countries: Egypt, Libya, Chad, the Central African Republic, South Sudan, Ethiopia, and Eritrea. The total length of Sudan's borders is about 6,751 kilometers, making it long and largely undefined.

The population of the seven neighboring countries is around 245 million, compared to approximately 34 million in Sudan. People from neighboring countries are moving in to occupy vital adjacent lands, searching for mineral resources or job opportunities within Sudan, seeking stability, or trying to cross into European countries and the United States.

The research concluded that the factors driving population movement towards Sudan will increase in the future. Therefore, Sudanese authorities must work on developing the Sudanese border guards to regulate this migration, address border issues, and clearly define the borders. It is also necessary to implement population policies to tackle labor shortages in Sudan by benefiting from migrants from neighboring countries, alongside the need to build border cities to prevent the encroachment of populations from neighboring countries into uninhabited vital border areas in Sudan.



## أهداف البحث:

الهدف الرئيس هو التعرف على العوامل الديمغرافية والإثنوغرافية للسكان في الدول المجاورة وتأثيرها على اتجاهات الحراك السكاني نحو السودان وأثاره على مستقبل الدولة.

## الأهداف الفرعية:

- فهم العوامل الإثنوغرافية المؤثرة على الحراك السكاني من الدول المجاورة.
- فهم العوامل الديمغرافية المؤثرة على الحراك السكاني من الدول المجاورة.
- التعرف على طبيعة وشكل الحدود في مناطق التماس التي تشجع على الحراك السكاني من الدول المجاورة.
- تحديد المسارات المختلفة للحراك من الدول المجاورة.

## مشكلة البحث:

- تحليل العوامل السكانية (الإثنوغرافية والديمغرافية) التي تؤثر على حركة السكان من الدول المجاورة إلى السودان وتأثير ذلك في حرب ١٥ أبريل ٢٠٢٣م.
- تحديد العوامل المساعدة على هذا الحراك السكاني.
- تحديد العوامل الإثنوغرافية التي ساهمت في الحراك السكاني.

## أسباب اختيار مشكلة البحث:

لقد أدت الحرب التي اندلعت في السودان في ١٥ أبريل ٢٠٢٣م إلى تحفيز الباحثين للبحث في جذور هذه المشكلة، حيث تناولت معظم الدراسات العلاقات مع الدول المجاورة للسودان العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المؤثرة في الحراك السكاني وتأثيرها على الأمن القومي السوداني، بينما تم إهمال العوامل الديمغرافية والإثنوغرافية، التي سيتناولها هذا البحث بالتفصيل.

## أهمية البحث:

### الأهمية العلمية:

- يسهم هذا البحث في تعزيز فهم تأثير الحرب على الدولة السودانية، مما يساعد صناع القرار في اعتماد دراسات إستراتيجية تعالج تهديدات الأمن القومي السوداني.
- يوسع من دائرة المعرفة الديمغرافية حول التغيرات في تركيب المجتمع السوداني، مع التركيز على تأثير الحرب على الديموغرافيا.

## الأهمية في مراكز اتخاذ القرار:

- ستوجه نتائج البحث الدراسات الاستراتيجية المستقبلية في مجال الديموغرافيا، مما يشجع الباحثين على استكشاف مواضيع مشابهة، مثل تأثير التغيرات المناخية، والجفاف، والتصحر، ودراسات التنبؤات المستقبلية وأثارها على التغير الديموغرافي.

## حدود مشكلة البحث:

- الحد الزمني: ٢٠٠٥م - ٢٠٢٤م\*
- الحد المكاني: جمهورية السودان ودول الجوار

\*1 نشير إلى أنه في العام 2011م انفصل جنوب السودان عن السودان، وشكل دولة جنوب السودان لعد الاستفتاء الذي نصت عليه اتفاقية نيفاشا التي وقعت في العام 2005م بين الحكومة السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان.

## منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي لتحليل العوامل الجغرافية (الطبيعية والبشرية) المؤثرة على الحراك السكاني من دول الجوار، كما استخدم المنهجين الاستقرائي والاستنباطي لتحليل العناصر المختلفة المؤثرة على حركة السكان وصولاً إلى النتائج الكلية.

## الإطار المفاهيمي للبحث:

الحرب: تُعرف بأنها: «صراع مسلح بين جماعتين أو أكثر، أو دول، يُستخدم فيه القوة العسكرية والعنف لتحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية معينة.»  
التغيير الديموغرافي: «هو التحول الذي يطرأ على البنية السكانية لمنطقة جغرافية، نتيجة أفعال إرادية من جهة ما تجاه أفراد أو مجموعات تفقد إرادتها في ذلك التحول.»

## الدراسات السابقة:

- دراسة عيسى، مصعب إبراهيم محمد ٢٠٢٣م هدفت إلى التعرف على الآثار السلبية الناجمة عن الحرب الأخيرة في السودان التي اندلعت في ١٥ أبريل ٢٠٢٣م على تنفيذ التعاملات المالية لعقود الإيجار والعمل، ثم تقديم رؤية لمعالجة هذه الآثار في ضوء نظرية الظروف الطارئة. وتمثل الدراسة شرح قانوني يوضح مدى تأثر المجتمع السوداني بهذه الحرب وما يلحقها من تبعات على مستقبله من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والتي ستؤثر بلا شك في الواقع الديموغرافي مستقبلاً.
- الكتاب المرجعي في التربية السكانية (صندوق الأمم المتحدة للسكان وقد أعده مجموعة من الخبراء (١٩٩٨م) أعد الفصل الأول منه محمد عبد الله العركي تناول فيه المفاهيم الديمغرافية الأساسية والوضع السكاني في السودان، أما الفصل الثاني والذي أعده محمد بشير سلام فقد تناول السكان والصحة والتغذية والروابط القائمة بين الصحة والتغذية، والسكان على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع. النمو عند الإنسان والاحتياجات الأساسية وعملية التكاثف والصحة الإنجابية. تناول عبد الباقي عبد الغني في الفصل الثالث السكان والبيئة. أما الفصل الرابع فتناول فيه أحمد طه السكان والتنمية وتطور مفهوم التنمية، وقد تناول دليل التنمية البشرية والمؤشرات الديمغرافية والتنمية. وأخيراً الفصل الخامس تناول فيه عبد الباسط عبد الماجد بشير السكان والقيم، وقد تناول مقومات المجتمع المسلم والسكان والأسرة والأمن الأسري.
- أحمد الطيب أحمد المصطفى حياتي، الموارد البيئية والتنمية في السودان ط١، ١٩٩٨م، جاء الكتاب في خمسة ابواب، تناول الباب الأول الموارد المائية والتنمية في السودان، وقد تناول مصادر المياه في السودان، أما الباب الثاني فقد تناول الموارد الزراعية والتنمية في السودان وتأثيرات البيئة على التنمية الزراعية. أما الباب الثالث فقد تناول البيئة والتنمية الزراعية المستدامة وإدراج البعد البيئي في التخطيط الزراعي الريفي وقضايا التنوع الحيائي. تناول الباب الرابع الموارد البيئية والتنمية الصناعية في السودان ومشاكل التلوث الصناعي. أما الباب الخامس فقد تناول قضايا الطاقة والطرق والمواصلات والاتصالات والسكان وتأثيراتها على التنمية الاقتصادية في السودان.

- عباس يونس آدم وآخرون، ٢٠٠٧م، خصائص وديناميكية السكان في السودان: شارك في الإعداد لهذا التقرير الفنيون بالأمانة العامة للسكان بالسودان بإشراف ومساعدة من



الخبير الوطني الأستاذ عباس يونس آدم. يحتوي التقرير معلومات عن الخصائص السكانية التي تم جمعها من خلال التعدادات والمسوحات التي أجريت في السودان على مستوى القطر، آخرها مسح صحة الأسرة السودانية لعام 2006م في هذا التقرير تم استعراض الملامح الأساسية للسكان والتحديات التي تواجه السكان في السودان ومن ثم اقتراح التدخلات المناسبة للوصول إلى رفاه الإنسان السوداني. يتضمن هذا التقرير حجم ونمو السكان واستعراض معدلات النمو في السودان للفترة 1955-1993م والإسقاطات السكانية حتى 2018م. كما تضمن الهجرة: النزوح الداخلية والهجرات الخارجية، حجمها ومسارات هذه الهجرة وخصائص المهاجرين.

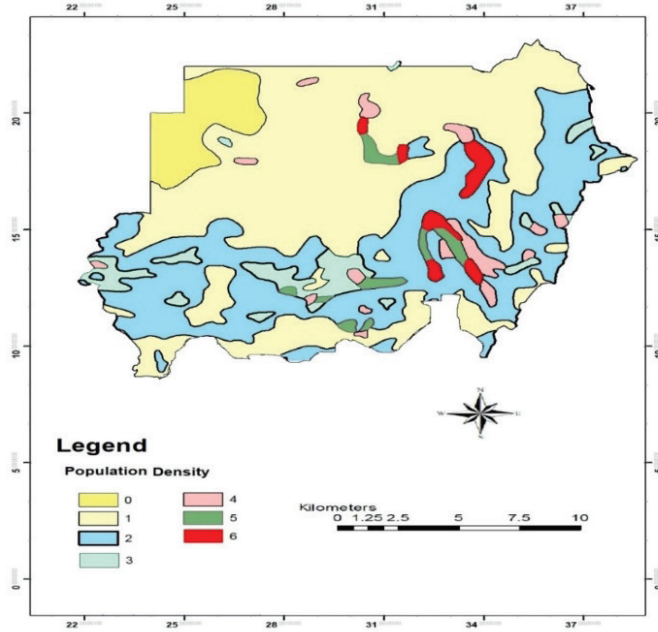
### تحليل الدراسات السابقة ومقارنتها بالبحث:

أشارت الدراسات السابقة إلى عدة محاور تتعلق بالدراسات السكانية، إلا أنها لم تشر إلى الربط الخاص بالحراك السكاني من دول الجوار والآثار الديمغرافية، ويمكن التلخيص على أن الدراسات السابقة قد أجمعت على أهمية التوزيع السكاني في السودان، دون التطرق للحراك السكاني من دول الجوار وهذا شجع الباحثين على اختيار عنوانهما لهذا البحث.

يقدر عدد السكان في السودان بحوالي (٣٣,٤١٩,٦٢٥) نسمة مقارنة بدول العالم: الترتيب (٣٥) عالمياً ((عربياً، (٩) إفريقيا، معدل نمو السكان: ٢,٨٪، الزيادة في عدد السكان بين إحصاء عامي (١٩٩٣ - ٢٠٠٨م): ٥٢٪، يتوزعون في مساحة كلية: (١,٨٨٢,٠٠٠) ك م٢، مساحة اليابس: ١,٧٥٢,١٨ ك م٢، مساحة المياه: (١٢٩,٨١٣) ك م٢، بلغت الكثافة السكانية الخام ١٢ شخص/كل م٢ في تعداد عام ٢٠٠٨. غير أن هذه الكثافة تتباين وفقاً لتباين معدلات المواليد والوفيات والهجرة من دول الجوار الجغرافي، الكثافة السكانية تتراوح ما بين (٢- ٣) في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية. (٢١٨ - ٢٣٠) في مناطق (العمل/ السافانا الغنية) {٣}. تم تقدير عدد السكان في السودان في عام ٢٠١٦م إلى حوالي (٣٩,٥٩٨,٧٠٠ نسمة) حسب الإسقاطات السكانية للجهاز المركزي للإحصاء {٤}، وبلغ معدل النمو السنوي لسكان جمهورية السودان نسبة (٢,٤ ٪) بين تعدادي ١٩٩٣/٢٠٠٨، حسب بيانات تعداد السكان لعام ٢٠٠٨م. ويعد معدل النمو السنوي الحالي للسودان من المعدلات العالية في العالم {٤}، إذ إن متوسط معدل النمو العالمي يقدر بـ (١,٤ ٪)\* بناء عليه يصبح سكان السودان وفقاً لهذا المعدل (49,102,388) نسمة لعام ٢٠٢٤م\* راجع خريطة توزيع الكثافة العامة للسكان في السودان خريطة رقم (1).

\*2 تقرير الأمم المتحدة 2013م

\*3 تقدير الباحثين بناء على معدل زيادة سنوية بلغت (2.4%)



خريطة رقم (١) توزيع الكثافة السكانية العامة

المصدر: مزمل الريس رسالة دكتوراه غير منشورة مكتبة جامعة إفريقيا العالمية ص (١٢٠)

### مكونات السكان في السودان ودول الجوار:

تتجسد أهمية علم الديموغرافيا في تسليط الضوء على خصائص المجتمعات البشرية مثل العمر والجنس والمهنة والدين والتعليم والحالة الزوجية واللغة. كما أنه يساعد في فهم التغيرات السكانية ومراحلها، ويتيح تحليل كيف يمكن أن تتغير التركيبة السكانية في المستقبل، مما يمكن من اتخاذ قرارات مدروسة في مجالات متعددة مثل التخطيط العمراني والسياسة والاقتصاد\*. وقد تناولت هذه الورقة دراسة حالة السودان الذي تنسجم فيه مكونات السكان في دول الجوار في أصولها وينحدرون من عناصر سكانية متعددة الأعراق متباينة الثقافات مختلفة العادات، وتبين الدلائل الأركيولوجية على أن القارة الإفريقية عمرت بموجات بشرية متعاقبة جاءت من الشمال الشرقي والشرق خاصة منطقة القرن الإفريقي، وكانت كل موجة بشرية جديدة تأتي فتدفع سابقتها نحو الداخل. إذ تنقسم القارة الإفريقية إلى قسمين يفصلهما خط يمتد من السنغال ماراً بتمبكتو والخرطوم، ثم يتجه جنوباً إلى تخوم الحبشة حتى خط عرض (٥١٢) شمالاً، ثم يسير بمحاذاة الحدود الغربية ثم الجنوبية لبلاد الحبشة حتى نهر جوبا ومنه يتجه شرقاً حتى ساحل المحيط الهندي فالشعوب التي تقطن شمال هذا الخط من البيض من ذوي البشرة الفاتحة، وهم أصلاً من الجنس القوقازي (حاميون وساميون)، أما الشعوب التي تحتل جنوب هذا الخط فهم أصلاً من الزنوج ذوي البشرة

<https://www.google.com/search?q=Sider+Fusion&oq=Sider+Fusion&g> \*4

السوداء، ويقتصر وجود الزوج الأصليين في جملتهم على الأصقاع المجاورة لساحل غانا غرب القارة الإفريقية، التي تشمل كلاً من : نيجيريا، والسودان الفرنسي سابقاً، وقسماً من مستعمرات الكمرون وربما منطقة الكونغو، أما بقية زنوج إفريقيا فقد اختلطوا بالهاميين بدرجات متفاوتة، وينتظم هؤلاء جماعات من البانتو والنيليين وأنصاف الهاميين.

### الهاميون:

وهم إحدى سلالات الجنس القوقازي ذلك الفرع الكبير من أجناس النوع البشري، ويشمل الهاميون الشرقيون في إفريقيا المصريين القدامى منهم والمحدثين مع الامتزاج بالدم الأجنبي، إلى جانب البجا والنوبيين في السودان، والجالا والصومال والدناكل ومعظم الأحباش في شرق القارة بالرغم من اختلاطهم بالساميين، أما الهاميون الشماليون بإفريقيا فهم البربر فضلاً عن الطوارق والتبو من أهل الصحراء والفولاني في نيجيريا غرب القارة.

### الساميون :

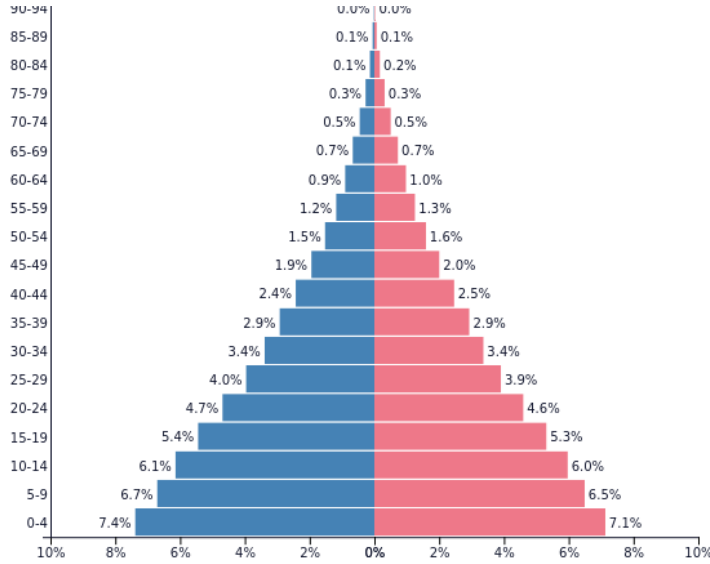
هم الذين يقطنون شمال القارة الإفريقية من ذوي البشرة الفاتحة وهم أصلاً من الجنس القوقازي، ومن الواضح أن كلمة عربي في إفريقيا تعني كل من يدين بدين الإسلام دون اعتبار بدرجة الدم الزنجي، ولعل أحسن معيار لتصنيف العرب شمال إفريقيا في الوقت الحاضر أن يتصنفوا على البداوة، وإما عرب يعيشون حياة مستقرة، وأن أكثر العرب نقاوة من حيث الدم العربي يوجدون في المنطقة الشمالية الشرقية، إذ تغلب عليهم العناصر القوقازية، أما عرب الجنوب والغرب فإنهم بالرغم من إطلاقهم الاسم العربي على أنفسهم، فقد اختلطوا بالجنس الزنجي وعليه أمكن تمييزهم لثلاث مجموعات رئيسية هي :

- مجموعة البدو الحقيقيين المعروفين بأصحاب الإبل (الأباله).
  - مجموعة البقارة وهم أقل بداوة عن المجموعة الأولى (البقارة).
  - مجموعة القبائل المستقرة وتشمل أهل السواقي ومنهم الزراع (المزارعين) والذين ينتشرون في الوديان النهرية وسكان القرى المستقرة {5}\*5.
- وقد يآثر السودان بالتدفقات السكانية من دول الجوار الجغرافي، خاصة في السنوات الأخيرة والتي يشهد فيها الإقليم تحولات كبرى من الناحية السياسية والأمنية والاقتصادية إضافة إلى العوامل الطبيعية، وقد أثرت جميعها في الحراك السكاني نحو السودان، إذ تحيط بالسودان سبع دول هي مصر وليبيا وتشاد وإفريقيا الوسطى ودولة جنوب السودان وأثيوبيا وأخيراً إريتريا.

ولعل أهم عوامل الدفع السكاني هذه هي التغيرات الديمغرافية والاثنوغرافية في تلك الدول. حيث نجد بعضها ذات كثافة سكانية عالية كدولة مصر وأثيوبيا، بينما نجد الأخرى تعاني من عدم الاستقرار الاقتصادي والسياسي والأمني لذلك عمد هذا البحث لإلقاء الضوء على هذا التداخل. كما ساهم تعدد وتداخل القبائل المشتركة بين هذه الدول والسودان كمحفز قوي جداً لحركة سكان هذه الدول إلى الاتجاه نحو السودان بأعداد كبيرة ولعل من ضمن هذه الأسباب قبول الآخر في المجتمع السوداني، إضافة إلى ضعف الرقابة القانونية والإدارية

من الدولة على حركة السكان، وضعف قانون الهجرة وعدم تفعيله كإجراء ملزم لرصد وتتبع حركة سكان هذه الدول. وقد لعب الفساد الإداري والمالي في الدولة إلى تقنين أوضاع هؤلاء المهاجرين والاستقرار والتمتع بكافة استحقاق المواطنة ولعل هذه الأسباب هي من أهم العوامل الديمغرافية والاثنوغرافية التي قد تؤثر سلباً على عناصر قوى الدولة الشاملة في السودان راجع شكل رقم (١)

شكل رقم ( 1) الهرم السكاني للسودان للعام ٢٠١٧م



المصدر: Population Pyramid.net 2017

### الحدود السودانية والهجرات من دول الجوار الجغرافي:

من خلال الجدول رقم (١) نلاحظ طول حدود الدولة السودانية وخلوها من أي عوائق طبيعية تقلل من حركة السكان من هذه الدول نحو السودان، وهي حدود مفتوحة لا يمكن السيطرة عليها وقد بلغ طول هذه الحدود إجمالاً (٦,٧٥١) كيلومتر انظر الخريطة رقم (١)... إضافة إلى الشريط الساحلي على البحر الأحمر الذي يبلغ (٧٥٣) كيلومتر، من الملاحظ أن نوع الحدود السودانية في معظمها حدود غير واضحة وذلك يعني لا توجد على الأرض فواصل طبيعية كالجبال والأنهار والخيران، وقد تم ترسيمها من الخريطة على الطبيعة تبعاً لخطوط الطول والعرض في شكل دشم صخرية تربط الخطوط الوهمية على الأرض الأمر الذي جعلها عرضة للضياع مع مرور السنين . مما جعلها سهلة الاختراق وعرضة للتسلل من دول الجوار المختلفة {6}.

جدول رقم (١) تعداد السكان في السودان:

|                                   |                         |
|-----------------------------------|-------------------------|
| تعداد السكان                      | 49,680,828              |
| معدل النمو                        | 2.541%                  |
| ذكر                               | 24,817,483<br>(49.954%) |
| أنثى                              | 24,863,344<br>(50.046%) |
| تغيير اليوم ( حتى ٨ أكتوبر ٢٠٢٤ ) | 2,424 +                 |

المصدر: <https://populationtoday.com/ar/sd-sudan>

### الحدود المتنازع عليها بين السودان ودول الجوار

نتيجة للمساحة الجغرافية الواسعة وقلة الكثافة السكانية او عدمها في بعض المساحات نجد أن الدولة السودانية تدخل في صراعات دائمة مع دول الجوار وكما ذكرنا سابقا ان نوع الحدود السودانية مع دول الجوار في معظمها حدود غير واضحة وذلك يعني لا توجد على الارض فواصل طبيعية كالجبال والانهار، والخيران.

من الناحية الشمالية تظل مشكلة حلايب وشلاتين والحدود النهرية داخل نهر النيل مع دولة مصر التي تعدت عليها نتيجة للضغط السكاني فيها ولاستغلال الموارد الطبيعية في تلك المناطق والتي أصبحت مصدر توتر دائم مع الجارة الشمالية. وتمثل الحدود الجنوبية للسودان مع دولة جنوب السودان الحدود الأطول في القارة الإفريقية إذ تمتد على مسافة حوالي (٢١٨٤) كيلومتر تقريباً راجع جدول رقم (٢) ، وقد حددت أوليات اتفاقية السلام الشامل لعام ٢٠٠٥ خط هذه الحدود بالاعتماد على حدود عام ١٩٥٦م، بيد أنها لم تستطع أن تحسم كل التداخلات التي فرضها موروث الحراك الاجتماعي والعربي داخل البلد الواحد طوال الفترة الماضية ولا يخفى أن هذه الاتفاقية التي أنهت حرباً أهلية ضارية بين شمال السودان وجنوبه لم تستطع أن تنهي كل الخلافات القائمة في مجال ترسيم الحدود بين الجانبين، بل خلقت نقاط توتر ساخنة هددت التعايش الاجتماعي القائم في مناطق التماس والذي نجحت الجماعات العرقية والقبائل في المنطقة في خلقه على مدى تاريخ طويل من العيش المشترك. وقد أثارت التقسيمات السياسية الجديدة مشكلات ملكية الأرض واستخدامها وحقوق الرعي وتوزيع الجماعات العرقية على خط الحدود، ويعد الصراع الحاصل على منطقة أبيي الغنية بالنفط المثال الأبرز في ذلك، وإن تمت صياغته في ضوء التوزيعات العرقية بين قبائل المسيرية التابعة للشمال والدينكا نقوك (تلفظ نوك تقريباً) الجنوبية. كما يمثل الخلاف على الحدود بين قبائل الدينكا ملوال في شمال بحر الغزال والرزيقات في جنوب دارفور مثلاً آخر يعززه أيضاً مطالبة الجنوب باستعادة منطقة «كافي كنجي وحفرة النحاس» من ولاية جنوب دارفور. {7} كما تمثل

الأطماع الاثيوبية في الحدود الشرقية للسودان صراع آخر في مناطق الفشة الكبرى والفشة الصغرى إضافة إلى إقليم بني شنقول في ولاية النيل الأزرق.

جدول رقم (٢) طول حدود الدولة السودانية مع دول الجوار

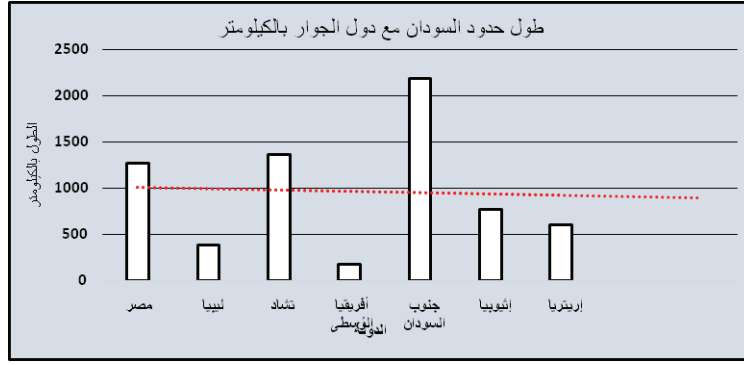
| م | الدولة                    | طول الحدود بالكيلومتر |
|---|---------------------------|-----------------------|
| ١ | جمهورية مصر العربية       | ١٢٧٥                  |
| ٢ | جمهورية ليبيا             | ٣٨٣                   |
| ٣ | جمهورية تشاد              | ١٣٦٠                  |
| ٤ | جمهورية إفريقيا الوسطى    | ١٧٥                   |
| ٥ | جمهورية جنوب السودان      | ٢١٨٤                  |
| ٦ | جمهورية إثيوبيا الفدرالية | ٧٦٩                   |
| ٧ | جمهورية إريتريا           | ٦٠٥                   |
|   | أجمالي طول الحدود         | ٦٧٥١                  |

المصدر: اعداد الباحثين ٢٠٢٤م

من خلال الجدول رقم (١) والشكل رقم (٢) نلاحظ أن حدود الدول الثلاث جنوب السودان وتشاد ومصر هي الأطول إذ تتجاوز ثلثي المسافة الطولية للحدود وتبلغ (4819) من إجمالي المسافة التي تبلغ (٦٧٥١) كيلومتر، وهي تمثل الحدود الأكثر تداخلاً بين السودان ودول الجوار وهي حدود مفتوحة لا تعوقها أي معوقات طبيعية. وتشكل بقية الدول وهي إثيوبيا وارتريا وليبيا وإفريقيا الوسطى بقية المسافة الطولية البالغة (١٩٣٢) كيلومتر. إلا أنه من الملاحظ على وجه العموم أن هذه الحدود المفتوحة ساهمت على الآتي:

- ساعدت نوع وطبيعة الحدود السودانية على الهجرات المتواصلة من دول الجوار الجغرافي المزدحمة بالسكان (حيث يزيد عدد السكان في كل من أثيوبيا ومصر عن المائة مليون نسمة) إضافة إلى ضائقة الظروف المعيشية وعدم الاستقرار السياسي.
- بلغ عدد المتسللين من أثيوبيا وارتريا إلى السودان حوالي ثلاثة مليون وأربع مائة واحد وأربعين ألف متسلل حتى عام ٢٠١٦م.
- دول الجوار الغربي خصوصاً تشاد وإفريقيا الوسطى، ظلوا يعانون من عدم الاستقرار السياسي، وانتشار ظاهرة الجفاف والتصحر، إضافة إلى تطاول أمد الحرب في دارفور، وانتشار السلاح والتدخل القبلي زاد من معدلات الهجرة إلى السودان {8}.
- تهريب كافة المنتجات الزراعية والصناعية الخام والمصنعة إلى مراكز الثقل السكاني لهذه الدول مما شجع على تشكيل عصابات تهريب السلع والبضائع من هذه الدول، بل وحملها للسلاح ضد الدولة خاصة عند الحدود.





شكل (2) يوضح طول حدود الدولة السودانية مع دول الجوار  
المصدر: إعداد الباحثين اعتمادًا على الجدول رقم (٢) ٢٠٢٤م

### السكان في مصر:

يتركز أغلب سكان مصر في وادي النيل، وخاصة في مدينة القاهرة الكبرى والإسكندرية التي يوجد بهما تقريباً ٢٥٪ من تعداد السكان؛ كما يعيش أغلب السكان المتبقين في الدلتا وعلى ساحلي البحر المتوسط والبحر الأحمر ومدن قناة السويس. بلغ عدد المصريين داخل البلاد وخارجها حوالي (100) مليون نسمة تقريباً في تعداد عام ٢٠١٧. ويتركز حوالي أربعين مليون نسمة من سكان البلاد في الحضر، ويسكن الريف حوالي ٤٥ مليون نسمة تقريباً. وتقدر معدل الزيادة السكانية خلال السنوات الأخيرة بنحو ١,٣٪، هذا ووفقاً لتقديرات غير رسمية فإن تعداد الشعب المصري يبلغ (١١٥,٩٦٣,٤٢٤) مليون نسمة مطلع عام ٢٠٢٠م. تشغل مصر الترتيب الرابع عشر عالمياً من حيث عدد السكان والثاني إفريقياً بعد نيجيريا، والترتيب المائة والأربع والعشرون عالمياً من حيث الكثافة السكانية وهي أكثر الدول العربية سكاناً. عزف المصريون تقليدياً عن الهجرة من موطنهم، إلا أنه اعتباراً من سبعينات القرن العشرين ونتيجة لظهور عائدات البترول في الخليج وما أتاحه ذلك من الطلب على العمالة في دول الخليج العربي والعراق وليبيا بدأت أعداد متزايدة من السكان خاصة من فئة الشباب في النزوح إلى خارج البلاد إما بصفة مؤقتة للعمل في الدول النفطية وإما بصفة دائمة بالإقامة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا والاتحاد الأوروبي؛ وذلك وفق ما تسمح به نظم ولوائح الهجرة المطبقة في تلك الدول. لا توجد إحصائيات دقيقة للعدد الحقيقي للمصريين خارج بلادهم، إلا أن تقدير عددهم يتراوح بين أربع وخمس مليون نسمة يوجد ثلثهم في الدول العربية كعمالة مؤقتة بينما يوجد الثلث الباقي في دول المهجر وهؤلاء هم المهاجرون هجرة دائمة. يبلغ متوسط الكثافة العامة للسكان في مصر ٦٣ نسمة/كم<sup>2</sup>، وفي منطقة وادي النيل ودلتاه ٩٠٠ نسمة/كم<sup>2</sup> (٩٨٪ من مجموع السكان) يسكنون على ٤٪ من مساحة البلاد، وهي من أعلى الكثافات السكانية في العالم {9}.

## تركيبة السكان في مصر:

غالبية سكان مصر من المصريين وتقدر نسبتهم ٩٩,٤٪ من مجمل السكان (٢٠١٧م). وتعتبر مصر دولة متعددة الأعراق والأصول ويندمجون مع بعضهم البعض اجتماعيًا وثقافيًا، من هذه الأعراق العرق العربي المتمثل بالقبائل العربية في مصر والمتمركز في الشمال والشرق والغرب وكذلك النوبيين في الجنوب والبقا جبال البحر الأحمر، بالإضافة إلى الأرمن والأكراد واليونانيين والإيطاليين والأتراك والشرقس والألبان، وفرنسيين والغجر الذين اندمجوا في بوتقة واحدة وان اختلفت أعدادهم على مر العصور. صغر مساحة مصر وارتفاع الكثافة السكانية مقارنة بدولة السودان إضافة إلى طبيعة الحدود الهندسية المفتوحة المنبسطة بين الدولتين تشجع الهجرات المصرية جنوبًا أو الاستقرار في الأراضي السودانية المجاورة لدولة مصر مثل حلايب وشلاتين.

وتفيد التقارير بأن مصر حققت نجاحات كبيرة في تخفيض أعداد السكان بنسبة ٤٦٪ في الفترة من ٢٠١٧ إلى ٢٠٢٣م حيث تحدد المعدلات من ٢,٦٪ في عام ٢٠١٧ إلى ١,٤٪ في عام ٢٠٢٣. كما حددت بنسبة ١٠٪ بين عامي ٢٠٢٢ و٢٠٢٣م حيث وصلت في عام ٢٠٢٣ إلى ١,٤٪ وهي محدودة الزيادة السكانية خلال الخمسين عامًا الأخيرة<sup>٦</sup> راجع جدول رقم (٣).

يعاني المصريون من بعض الأمراض المنقولة من تلوث المياه مثل البلهارسيا والتهاب الكبد الوبائي. {10}

جدول رقم (٣) تقديرات النمو السكاني في مصر في الفترة من أول يناير ٢٠١٤ إلى نهاية ديسمبر ٢٠٢٣م

| سنة  | تعداد السكان (Jan 01) | التغيير الطبيعي | معدل النمو (%) | إجمالي عدد السكان (December 31) |
|------|-----------------------|-----------------|----------------|---------------------------------|
| 2023 | 113,493,134           | 2,066,710       | 1.821%         | 115,559,844                     |
| 2022 | 111,743,365           | 1,736,492       | 1.554%         | 113,479,857                     |
| 2021 | 110,170,651           | 1,561,118       | 1.417%         | 111,731,769                     |
| 2020 | 108,459,596           | 1,697,393       | 1.565%         | 110,156,989                     |
| 2019 | 106,646,720           | 1,798,064       | 1.686%         | 108,444,784                     |
| 2018 | 104,717,467           | 1,912,141       | 1.826%         | 106,629,608                     |
| 2017 | 102,674,648           | 2,022,691       | 1.97%          | 104,697,339                     |
| 2016 | 100,614,530           | 2,039,457       | 2.027%         | 102,653,987                     |
| 2015 | 98,580,154            | 2,013,993       | 2.043%         | 100,594,147                     |
| 2014 | 96,477,154            | 2,080,047       | 2.156%         | 98,557,201                      |

المصدر <https://populationtoday.com/ar/eg-egypt>

<sup>٦</sup> <https://www.idsc.gov.eg/InfoGraph/details/1637>

## السكان في ليبيا:

يبلغ عدد سكان ليبيا حوالي ستة مليون نسمة بينهم اثني مليون من غير الليبيين حتى عام ٢٠١٧م الكثافة السكانية عالية في المناطق الساحلية شمال البلاد، يبلغ معدلها ٥٠ نسمة/كم مربع، بينما هي حوالي ١ نسمة/كم في الجنوب راجع جدول رقم (٤). المجموعات العرقية في ليبيا هي العرب والأمازيغ والذين يشكلون نحو ٩٧٪ من السكان، إضافة لنحو ٣٪ من أصول مختلفة. تعتبر اللغة العربية هي الأكثر انتشارا وهي اللغة الرسمية ويتكلم بها الغالبية العظمى من السكان، ويتحدثها الليبيون في حياتهم اليومية وفق اللهجة الليبية أو الدارجة، وهي تختلف قليلا من مكان لآخر نظراً لاتساع الرقعة الجغرافية للبلاد، كما تعد اللغة الإنجليزية لغة الدراسة الجامعية في كليات العلوم التطبيقية، وتستخدم كذلك في العديد من قطاعات الأعمال. أما اللغة الأمازيغية بلهجاتها المتعددة فقد تتكلمها القبائل الأمازيغية في البلاد، ويتركز أهلها في عدد من مدن وبلدات جبل نفوسة (الجبلية) وفي الشمال الغربي بزواردة (الغدامسية) في مدينة غدامس و(التارقية) لدى الطوارق بمدينة غات وأوباري بالإضافة إلى مجموعات صغيرة في مناطق متفرقة من البلاد مثل اللغة الأوجلية فيأوجلة وسوكنة. ويجيد معظم الأمازيغ في ليبيا التحدث باللغة العربية. كما هناك انتشار للغة التبو فرع من القرعانية وهي لغة شعب القرعان الأفريقي بالسودان الأوسط تشاد. {11} تعد ليبيا متجانسة حيث يدين غالبية السكان بالدين الإسلامي ٩٧٪ مسلمون، و٣٪ ينتمون إلى ديانات أخرى معظمهم من الأجانب غير المقيمين بشكل دائم، وعليه لا نجد تأثيراً واضحاً للوجود السكاني الليبي في السودان نسبة لاتساع الأراضي وتحسن الاقتصاد الليبي نتيجة لاكتشاف البترول الأمر الذي شجع الهجرات السودانية إلى ليبيا. {12} وتشير التقديرات ان عدد سكان ليبيا الحالي (6,983,997) بمعدل نمو سنوي قدره 1.074٪ كما أنه عدد سكان ليبيا يمثل نسبة ٠,٠٨٦٪ من إجمالي عدد سكان العالم وقد أثرت الحرب التي اندلعت منذ سقوط نظام القذافي إلى تقليل الهجرة عبرها إلى أوروبا.

جدول رقم (٤) تعداد السكان في ليبيا:

|                                |                     |
|--------------------------------|---------------------|
| تعداد السكان                   | 6,983,877           |
| معدل النمو                     | 1.074%              |
| ذكر                            | 3,529,893 (50.543%) |
| أنثى                           | 3,453,984 (49.457%) |
| تغيير اليوم حتى 7 أكتوبر 2024م | + 172               |

المصدر: <https://populationtoday.com/ar/ly-libya/>

## السكان في تشاد:

تقع جمهورية تشاد»، في وسط القارة الإفريقية تقريبًا، ولا توجد بيانات محددة تشير إلى معدل النمو السكاني في تشاد لعام ٢٠٢٤، لكن حسب التقديرات لعام ٢٠٢٢، كان معدل النمو السكاني في تشاد يقدر بحوالي ٣,٠٩٪ ويقدر عدد السكان بـ (١٨,٩٩١,٥٥٩) نسمة جدول رقم (٥) و(٦). تتمدد على مساحتها الواسعة نحو (٢٥٢) قبيلة يتحدث أفرادها أكثر من (٤٠٠) لغة ولهجة، العربية والفرنسية هما اللغتان الرسميتان. وتشبه تشاد السودان بشكل كبير في تركيبها الديمغرافية والأثنوغرافية، إذ تسكن أنحائها الجنوبية قبائل أغلبها من المسيحيين، أما في الشمال فتسكنها قبائل من المسلمين ونسبة انتشار الإسلام تفوق ال ٧٠٪ في هذا البلد.

جدول رقم (٥) تعداد السكان في تشاد:

|                                |                     |
|--------------------------------|---------------------|
| تعداد السكان                   | 18,991,559          |
| معدل النمو                     | 3.05%               |
| ذكر                            | 9,532,311 (50.192%) |
| أنثى                           | 9,459,248 (49.808%) |
| تغيير اليوم حتى 7 أكتوبر 2024م | 277 +               |

المصدر: <https://populationtoday.com/ar/td-chad/>

جدول رقم (٦) تقديرات النمو السكاني في تشاد في الفترة من أول يناير ٢٠١٤ إلى نهاية ديسمبر ٢٠٢٣

| سنة  | تعداد السكان (Jan 01) | التغيير الطبيعي | (%) معدل النمو | إجمالي عدد السكان Decem- 31) (ber |
|------|-----------------------|-----------------|----------------|-----------------------------------|
| 2023 | 17,997,367            | 553,779         | 3.077%         | 18,551,146                        |
| 2022 | 17,449,262            | 539,706         | 3.093%         | 17,988,968                        |
| 2021 | 16,910,218            | 530,643         | 3.138%         | 17,440,861                        |
| 2020 | 16,379,185            | 522,660         | 3.191%         | 16,901,845                        |
| 2019 | 15,874,547            | 496,715         | 3.129%         | 16,371,262                        |
| 2018 | 15,333,873            | 531,319         | 3.465%         | 15,865,192                        |
| 2017 | 14,837,895            | 487,870         | 3.288%         | 15,325,765                        |
| 2016 | 14,347,275            | 482,355         | 3.362%         | 14,829,630                        |
| 2015 | 13,933,273            | 407,966         | 2.928%         | 14,341,239                        |
| 2014 | 13,460,978            | 464,135         | 3.448%         | 13,925,113                        |

المصدر: <https://populationtoday.com/ar/td-chad/>

يمكن حصر الأصول العرقية للشعب التشادي في ٥ مجموعات عرقية كبرى، حيث تضم الفئة الأولى مجموعة (تشاد حامتيك) أي التشاديون الحاميون وتنضوي تحت مظلتها ١١ قبيلة، تقطن أواسط البلاد وعلى ضفاف بحيرة تشاد ونهري شاري ولوغون، وغالبية أفراد هذه القبائل من المسلمين.

تضم الفئة الثانية مجموعة التوبو والكنبو والزغاوة والقرعان وهي تشمل ١٣ قبيلة أشهرها قبيلة الزغاوة وهي من القبائل المشتركة مع دول الجوار مثل السودان وليبيا. وتقطن هذه المجموعة شمالي تشاد، وقد تأثرت بالقبائل العربية والبربر والطوارق وهم من العناصر القوقازية ذات الأصول السامية والحامية على التوالي حيث يتميزون بلون بشرة أقل سمرة، ورغم تعدد اللهجات وامتلاك كل قبيلة منهم لهجة خاصة بها إلا أنها جميعاً ذات أصول واحدة يتكلمون اللغة العربية وهم يعرفون تاريخياً بالمجموعة الزغاوية وهم مسلمون ينتمي إليهم رئيس تشاد الحالي إدريس ديبي. تأتي القبائل العربية في المرتبة الثانية من حيث التعداد والحجم الديمغرافي لتشاد ومعظم هذه القبائل لها امتدادات عرقية قوية في السودان مثل البني هلبة والسلامات والرزيقات وغيرها الفئة الثالثة يطلق عليها اختصاراً مجموعة (المابا) وهي تشمل ١٢ قبيلة، تسكن شرق تشاد في إقليم وداي ولا تزال تحتفظ بلغاتها الأصلية وهم مسلمون أيضاً يتكلمون اللغة العربية باللهجة المحلية. الفئة الرابعة فتضم مجموعة من القبائل العربية تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين، هما الأباله (رعاة الإبل) والبقارة (رعاة البقر) وذلك نسبة إلى الحيوانات التي يرعونها، وقد هاجرت هذه القبائل العربية إلى تشاد منذ زمن بعيد ودخلتها عن طريق شمال أفريقيا واستقروا فيها، وبعضهم واصل سيره شرقاً إلى أن استقروا في دارفور وكردفان غرب السودان. وتأتي القبائل العربية في المرتبة الثانية من حيث التعداد والحجم الديمغرافي لتشاد ومعظم هذه القبائل لها امتدادات عرقية قوية في السودان مثل البني هلبة والسلامات والرزيقات وغيرها، إلى جانب القبائل المشتركة بين البلدين وهي الزغاوة والمسالييت والتاما والميمي والأريقا والداجو والتنجر والفلاتا والوداي والقرعان.

أخيراً؛ الفئة الخامسة تعرف اختصاراً بمجموعة (الساسا - البونغو)، وتشمل ٧ قبائل كبيرة، تسكن هذه المجموعة في الجزء الجنوبي من تشاد وهم أكثر القبائل تقدماً في مجال التعليم والثقافة الفرنسية وذلك للعناية والاهتمام الخاص الذي وجده من المستعمر الفرنسي إبان فترة الاستعمار الذي استمر ٦٠ سنة واعتنق الجزء الأكبر منهم المسيحية على المذهب الكاثوليكي وتشربوا بالثقافة الفرنسية كما اعتنق بعضهم الإسلام. {12} وفقاً للمعطيات أعلاه وطبيعة الحدود المنبسطة والتداخل القبلي الرعوي الكبير يجعل حركة السكان بين السودان وتشاد. يقدر عدد السكان في تشاد بحوالي ١٥ مليون ونصف نسمة معدل النمو السكاني: ٢,١٩٥٪، طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٧م لإجمالي السكّان: ٥٥,٤٣ سنة، للذكور: ٥٠,٤ سنة. للإناث: ٥٣,٥ سنة.

### السكان في إريتريا:

يقدر عدد سكان إريتريا بنحو (٤,٤٧٥) مليون نسمة عام ٢٠١١م يعيش منهم نحو مليون نسمة في العاصمة أسمرة، كما يوجد نحو حوالي ٦٠٠ ألف إريتري في السودان ونحو (150.000) لاجئين في أوروبا وأمريكا وبلغت نسبة وفيات الرضع عام ٢٠١١ نحو

11.4٪ ونسبة وفيات الأطفال ٢٠٪، كما أن العمر المتوسط للفرد هو ٥٢ سنة فقط، وتقدر نسبة الأمية في إريتريا بنحو ٨٠٪ راجع جدول رقم (٧)

يتوزع سكان إريتريا تاريخياً بين ثلاث مجموعات لغوية هي: الحامية والسامية والنيلية. وقد هاجرت إليها القبائل التي تنتمي إلى المجموعتين الحامية والسامية من الجزيرة العربية أصلاً ويصعب التفريق بينهم في الشكل والهيئة العامة، أما النيليون فيعتقد أن أصولهم زنجية أو (متزنجية)

من الجماعات التي تنتمي إلى الحامية أو السامية كل من قبائل البجة في منطقة القاش، وقبائل الأسورتا والساهو في محافظتي إكلي قوزاي والبحر الأحمر، وقبائل البلين في محافظة كرن، وقبائل الماريا في أغوردات وكرن، وقبائل الدناكيل في سهل الدناكيل، وقبائل الحباب في نقفة وتغري، وقبائل منسع حول كرن، والقبائل النصرانية في حماسين، ولا يكاد يوجد أثر للسكان الزنجية المعروفة بين هذه القبائل باستثناء لون البشرة الأسمر الداكن الذي يجعلهم أقرب إلى قبائل السودان. أما النيليون أو أنصاف الحاميين فلا يتجاوز مجموعهم بضعة آلاف نسمة، وتمثلهم قبائل الكوناما أو البازا وقبائل الباريا وينتشرون في مناطق مختلفة من القاش وستيت، وإلى جانب هذا التعداد يوجد في الوقت نفسه امتزاج سلالي يتعذر تحديد فواصله لمرور زمن طويل من المصاهرة والمجاورة. ومن الهجرات العربية المبكرة إلى المنطقة قبل ظهور الدعوة الإسلامية بطون من بني حمير عرفوا بقبيلة «البلو» وقد صاهروا قبائل البجة وحكمت بعض الإمارات البجاوية في إريتريا. وقد وفد إلى المنطقة في أزمنة لاحقة قبائل من ربيعة وأخرى من القحطانية وجهينة. وتعد قبيلة الرشايدة آخر الهجرات العربية إلى إريتريا، وقد توافدت إليها عن طريق السودان منذ سنة ١٨٤٦م وانتشرت على الشريط الساحلي من مصوع حتى حدود السودان {13}

جدول رقم (٧) تقديرات النمو السكاني في إريتريا في الفترة من أول يناير ٢٠١٤ إلى نهاية ديسمبر ٢٠٢٣م

| سنة  | تعداد السكان (Jan 01) | التغيير الطبيعي | معدل النمو(%) | إجمالي عدد السكان (December 31) |
|------|-----------------------|-----------------|---------------|---------------------------------|
| 2023 | 3,715,522             | 66,173          | 1.781%        | 3,781,695                       |
| 2022 | 3,652,541             | 62,458          | 1.71%         | 3,714,999                       |
| 2021 | 3,588,083             | 63,904          | 1.781%        | 3,651,987                       |
| 2020 | 3,523,653             | 63,849          | 1.812%        | 3,587,502                       |
| 2019 | 3,473,983             | 49,331          | 1.42%         | 3,523,314                       |
| 2018 | 3,416,766             | 56,752          | 1.661%        | 3,473,518                       |
| 2017 | 3,377,100             | 39,445          | 1.168%        | 3,416,545                       |
| 2016 | 3,353,475             | 23,541          | 0.702%        | 3,377,016                       |
| 2015 | 3,326,537             | 26,845          | 0.807%        | 3,353,382                       |
| 2014 | 3,320,313             | 6,209           | 0.187%        | 3,326,522                       |

المصدر: <https://populationtoday.com/ar/er-eritrea>

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث (اساد)



## اللغات في إريتريا:

الشعب الإريتري يتحدث تسع لغات تتوزع على تسع قوميات ينتشرون في طول البلاد وعرضها، من هذه القوميات، التجري والتيجرينية التي ينتمي إليها الرئيس الحالي أسياس أفورقي والعفر والساهو والنارا والحدارب والرشايدة العربية الأصل والبلين والكوناما، إلا أن اللغتين الأكثر انتشاراً هما التيجرينية والعربية وتتشابه التيجرينية إلى حد بعيد في جذورها مع العربية؛ حيث انحدرت من أصول سامية من شبه الجزيرة العربية. وعلية نجد القبائل المشتركة تلعب دوراً كبيراً في حركة السكان بين الدولتين، إضافة إلى الهجرات والنزوح الإريتري إلى المدن السودانية وخاصة العاصمة الخرطوم للعمل والعبور منها إلى أوربا {14}.

## السكان في أثيوبيا:

ينحدر السكان في إثيوبيا من ثلاث مجموعات

- المجموعة الأولى يمتاز أفرادها ببشرة بنية ويشبهون الأوروبيين
- المجموعة الثانية هم الإفريقيون السود
- المجموعة الثالثة هم في الأصل من سكان شبه الجزيرة العربية

وحالياً أصبح معظم الإثيوبيين ذوي بشرة بنية وسمات طبيعية تتراوح بين اللون الأوروبي والأسود.

ويُقسّم الشعب الإثيوبي عادةً إلى مجموعتين كبيرتين طبقاً للغة التحدث. المجموعة الأولى هم الناطقون باللغات السامية، والمجموعة الثانية هم الناطقون باللغات الكوشية. وتعيش المجموعة الأولى في شمالي ووسط البلاد. ومن اللغات التي تتحدث بها المجموعة الأولى الأمهرية والتيجرية والغوارجية. ومن ناحية أخرى، يتركز سكان المجموعة الثانية في المنطقة الجنوبية والمنطقة الشرقية من إثيوبيا راجع جدول رقم (٨) وجدول رقم (٩). يعيش معظم سكان إثيوبيا من ذوي الأصل الإفريقي على حدود البلاد من الناحية الغربية حيث يُشكّل هؤلاء السكان نحو ٥٪ من إجمالي سكان إثيوبيا ويتحدثون لغات تنتمي إلى عائلة اللغات النيلية الصحراوية. ويُشكّل يهود إثيوبيا نسبة بسيطة من إجمالي السكان وهم معروفون باسم الفلاشا، وأحياناً يُطلق عليهم لقب اليهود السود لأنهم كغيرهم من سكان إثيوبيا، ذوو بشرة داكنة. وفي أوائل الستينيات من القرن العشرين، كان في إثيوبيا ٤٠ ألفاً تقريباً من يهود {الفلاشا. ومنذ ذلك الوقت، هاجر ٩٠٪ منهم إلى فلسطين المحتلة} 15

يقدر عدد سكان إثيوبيا الحالي (130,551,887) نسمة بمعدل نمو سنوي قدره 2.471٪ كما لأنه عدد سكان إثيوبيا يمثل نسبة ١,٥٨٥٪ من إجمالي عدد سكان العالم.

جدول رقم (٨) تعداد السكان في تشاد

|              |                      |
|--------------|----------------------|
| تعداد السكان | 130,551,888          |
| معدل النمو   | 2.471%               |
| ذكر          | 65,555,557 (50.214%) |
| أنثى         | 64,996,330 (49.786%) |
| تغيير اليوم  | 4,479 +              |

المصدر: [/https://populationtoday.com/ar/et-ethiopia](https://populationtoday.com/ar/et-ethiopia)

### اللغات في إثيوبيا:

تُعد اللغة الأمهرية - وهي لغة سامية - لغة التخاطب الرسمية في إثيوبيا التي يبلغ فيها عدد اللغات ما يقرب من ٧٠ لغة بالإضافة إلى ٢٠٠ لهجة أخرى. يبلغ عدد الناطقين باللغة الأمهرية نحو ٥٠٪ من سكان إثيوبيا ويستطيع الشعب الإثيوبي التحدث بـ ١٢٠٠ اللغة العربية والإنجليزية إلى جانب اللغة الرسمية. واللغة الجعزية واحدة من اللغات الإثيوبية القديمة، وقد كُتب الإنجيل قديماً بهذه اللغة. ومازالت هذه اللغة حية وتستخدم في طقوس الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية.

الأقاليم التي هي أكثر إعماراً فهي على التوالي إقليم هرر، وإقليم شوا ثم إقليم ولو، أما أكثر الأقاليم كثافة إقليم أروسي يليه إقليم شوا، حيث العاصمة أديس أبابا وإقليم تگري أي الأقاليم التي تشغل الأقدام الشرقية للهضبة الأثيوبية الوسطى وتقسّم إلى تسعة أقاليم إدارية مع العاصمة {منذ تسميتها جمهورية فدرالية عام ١٩٩٤م} ١٦

جدول رقم (٩) تقديرات النمو السكاني في إثيوبيا في الفترة من أول يناير ٢٠١٤ إلى نهاية ديسمبر ٢٠٢٣

| سنة  | تعداد السكان (Jan 01) | التغيير الطبيعي | معدل النمو (%) | إجمالي عدد السكان Decem- 31 (ber) |
|------|-----------------------|-----------------|----------------|-----------------------------------|
| 2023 | 124,937,259           | 3,139,673       | 2.513%         | 128,076,932                       |
| 2022 | 121,822,590           | 3,076,020       | 2.525%         | 124,898,610                       |
| 2021 | 118,743,462           | 3,039,833       | 2.56%          | 121,783,295                       |
| 2020 | 115,638,360           | 3,064,417       | 2.65%          | 118,702,777                       |
| 2019 | 112,602,827           | 2,995,235       | 2.66%          | 115,598,062                       |
| 2018 | 109,656,049           | 2,908,078       | 2.652%         | 112,564,127                       |
| 2017 | 106,739,850           | 2,876,639       | 2.695%         | 109,616,489                       |
| 2016 | 103,846,607           | 2,853,705       | 2.748%         | 106,700,312                       |
| 2015 | 101,097,184           | 2,712,437       | 2.683%         | 103,809,621                       |
| 2014 | 98,396,349            | 2,664,573       | 2.708%         | 101,060,922                       |

المصدر: [/https://populationtoday.com/ar/et-ethiopia](https://populationtoday.com/ar/et-ethiopia)

معدّل النمو السكاني: ٢,٢٣١٪ معدل المواليد: ٣٦,٨ مولوداً، لكل ١٠٠٠ نسمة معدل الوفيات: ١٤,٤٩ حالة، بين كل ١٠٠٠ نسمة ملاحظة: من المتوقع استمرار عودة المواطنين الإثيوبيين، الذين فروا إلى السودان ابان الاكتشافات النفطية وقبل انفصال جنوب السودان ومكثوا بها سنوات عديدة. كما تستمر عودة أعداد صغيرة، من اللاجئين السودانيين والصوماليين والإريتريين، الذين فروا إلى إثيوبيا هرباً من القتال والمجاعات في بلادهم، إلى ديارهم، طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٦ م.

العُمُر: متوسط العمر المتوقع، طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٦م الإجمالي السكاني: ٤٩,٤٣ سنة الذكور: ٤٨,٢٦ سنة الإناث: ٥٠,٦٤ سنة معدّل الخصوبة: ٤,٩٩ أطفال، لكل امرأة معدل انتشار مرض الإيدز بين البالغين: العرقية ٤,٤٪ التقسيمات، طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٦م.

#### جدول رقم (١٠) الإثنيات العرقية في اثيوبيا

| م  | الإثنية    | النسبة % |
|----|------------|----------|
| ١. | الأورومو   | 32.1     |
| ٢. | الأمهارة   | 1.03     |
| ٣. | التيجراوي  | 2.6      |
| ٤. | الصوماليون | 9.5      |
| ٥. | الجوراج    | 3.4      |
| ٦. | السيداما   | 5.3      |
| ٧. | ويلايتا    | 4.2      |
| ٨. | عرقية أخرى | 5.51     |

المصدر اعداد الباحثين ٢٠٢٤م

مما سبق يتضح أن أعداد السكان في اثيوبيا كبيرة مقارنة بأعداد السكان في السودان (حوالي ١٠٥ مليون مقابل ٣٤ مليون نسمة) ويسكن معظم السكان الاثيوبيون (حوالي خمسين مليون نسمة) الهضبة الاثيوبية والتي تقل فيها التربة الصالحة للزراعة والمطلة على الأراضي السودانية الخصبة الصالحة للزراعة في ولاية القضارف، مما يشجع النزول والتسلل للزراعة داخل السودان في الحدود المشتركة غير الواضحة المعالم {17}.

#### السكان في إفريقيا الوسطى:

تجاور دولة إفريقيا الوسطى السودان من الناحية الجنوبية الغربية وتسكنها جماعات عرقية إفريقية وقليل من العناصر العربية الرعوية. وعدد السكان حوالي ٤,٤٣٤,٨٧٣ نسمة؛ طبقاً لتقديرات يولييه ٢٠١٧م يُراعي في تقديرات جمهورية إفريقيا الوسطى آثار مرض نقص المناعة المكتسبة، (الإيدز) إذ قد يؤدي ازدياد معدلات الوفيات، الناتجة منه، إلى قصر متوسط الأعمار، وازدياد معدلات الوفيات راجع جدول رقم (١١)، و جدول

رقم (21) ولا سيما معدلات وفيات الأطفال، وانخفاض معدلات النمو السكاني، وتغيّر الخريطة السكانية المبنية على العمر أو النوع، أكثر من المتوقع. التركيب العمري للسكان طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٧ السّن الذي يتوسط أعمار السكّان إجمالي السكان: ١٨,٤ سنة. الذكور: ١٨,٣ سنة. الإناث: ١٩ سنة. معدّل النموّ السكّاني: ١,٤٨٧٪ لإجمالي السكّان: ٤٣,٩٧ سنة، للذكور: ٤٣,٩٤ سنة، للإناث: ٤٤ سنة. معدّل الخصوبة: ٤,٢٣ أطفال، لكل امرأة.

جدول رقم (١١) التركيب العمري للسكان طبقاً لتقديرات عام ٢٠١٧ م

| م  | المعدل             | لكل 1000 نسمة        |
|----|--------------------|----------------------|
| 1. | المواليد           | 31.33 مولوداً        |
| 2. | الوفيات            | 18.26 حالة           |
| 3. | الهجرة             | المعلومات غير متيسرة |
| 4. | الذكور             | 88.98 حالة           |
| 5. | الإناث             | 75.53 حالة           |
| 6. | معدل وفيات الأطفال | 82.36 طفل            |

المصدر: اعداد الباحثين ٢٠٢٤ م

تفتك بجمهورية إفريقيا الوسطى الكثير من الاوبئة والأمراض مثل الإيدز والكبد الوبائي من الفئة (A) بالإضافة الى الأمراض المعدية الرئيسية، مثل الأمراض التي تنتقل من طريق الطعام والشراب: الإسهال البكتيري، وحمى التيفويد، الأمراض التي تنتقل من طريق الحشرات: الملاريا. أمراض الجهاز التنفسي: الالتهاب السحائي.

جدول رقم (١٢) تعداد السكان في إفريقيا الوسطى

|                                 |                     |
|---------------------------------|---------------------|
| تعداد السكان                    | 5,961,498           |
| معدل النمو                      | 3.009%              |
| ذكر                             | 2,978,580 (49.964%) |
| أنثى                            | 2,982,918 (50.036%) |
| تغيير اليوم حتى ٧ أكتوبر ٢٠٢٤ م | 253 +               |

المصدر: <https://populationtoday.com/ar/cf-central-african-republic>

## السكان في دولة جنوب السودان:

جنوب السودان دولة حديثة النشأة؛ إذ أصبحت جمهوريةً رسمياً بعد انفصالها عن جمهورية السودان سنة ٢٠١١م، واتخذ من أكبر مدنها مدينة جوبا عاصمةً لها، وانضمت دولة جنوب السودان لعضوية العديد من المنظمات الأممية والدولية، ومنها الاتحاد الإفريقي والأمم المتحدة والهيئة الحكومية الإقليمية المعنية بالتنمية (إيقاد). تبلغ مساحة دولة جنوب السودان حوالي ٧٠٠ ألف كيلو متر مربع. وتشكل المراعي ٤٠٪ والأراضي الزراعية ٣٠٪ بينما تشغل الغابات الطبيعية ٢٣٪ والسطوح المائية ٧٪ من جملة المساحة الكلية. وتمتد مساحتها إلى أكثر من ٦٤٤,٣٢٩ كم²، وهي دولة حبيسة تشترك بحدودٍ برية مع جمهوريتي إفريقيا الوسطى والكونغو الديمقراطية من الجهة الغربية، بينما تحدها جمهورية السودان من الجهة الشمالية، أما حدودها مع أوغندا وكينيا فتأتي من الجهة الجنوبية، وتعتبر حدودها مع السودان الأطول على الإطلاق؛ إذ تتجاوز ٢١٨٤ كم²، وتليها حدودها مع إفريقيا الوسطى التي يبلغ طول الحدود بينهما ٩٨٩ كم. تتأثر الدولة بالمناخ المداري، حيث تشهد أمطاراً موسميةً وتمتد في الفترة بين فبراير ونوفمبر هي الأكثر هطولاً مطرياً، وتعد المناطق الجنوبية منها الأكثر أمطاراً لا اعتبارها مناطق مرتفعة، ويكون المناخ في المناطق الشمالية منها حاراً، ويطغى المناخ المداري على المناطق الوسطى منها {18}. وتعتبر جنوب السودان يُعتبر واحداً من أسرع الدول نمواً في العالم، حيث يتوقع أن يحقق نمواً سكانياً ملحوظاً في عام ٢٠٢٤. ومع ذلك، لم تُذكر أرقام دقيقة في المصادر المتاحة. وتشير التقديرات إلى أن إجمالي السكان يبلغ (11,324,377) نسمة للعام ٢٠٢٤م. راجع جدول رقم (١٢) و جدول رقم (١٣) و جدول رقم (١٤)

### جدول رقم (١٣) تعداد السكان جمهورية جنوب السودان

|                               |                     |
|-------------------------------|---------------------|
| تعداد السكان                  | 11,324,377          |
| معدل النمو                    | 1.708%              |
| ذكر                           | 5,613,021 (49.566%) |
| أنثى                          | 5,711,355 (50.434%) |
| تغيير اليوم حتى 7 أكتوبر 2024 | 93 +                |

المصدر: <https://populationtoday.com/ar/ss-south-sudan/>

تنتشر بين سكان جنوب السودان لهجات متعددة يصل عددها إلى ١٢ لهجة وإن كانت اللغة العربية «المحلية» التي تنطق بلكنة إفريقية هي اللغة التي يعرفها أغلب السكان تقريباً. ويسكن دولة جنوب السودان قبائل متعددة أهمها القبائل النيلية وهي (الدينكا) كبرى القبائل في الجنوب، تليها قبيلة (النوير) ثم قبيلة (الشلك)، إضافة إلى القبائل الاستوائية التي تقطن الجهات المجاورة لدولة زائير ويوغندا واثيوبيا ومنها قبائل الزاندي والمورلي والباريا والتبوسيا. {19}

## البيانات السكانية حسب تعداد ٢٠١٨ م:

عدد السكان (13,348,608) مليون نسمة الكثافة السكانية: ١٢,٨١ نسمة في الكيلومتر المربع معدل طول العمر المتوقع: ٦٢ سنة (البنك الدولي) الفئة العمرية السائدة: ٣٧٪ للفئة العمرية ١٥-٢٤ عاما (بيانات صندوق النقد الدولي تموز/يوليو ٢٠١١) الديانة هي أغلبية مسيحية، بالإضافة إلى أقليات مسلمة ولا دينية {20}.

جدول رقم (١٤) تقديرات النمو السكاني-جمهورية جنوب السودان في الفترة من أول يناير ٢٠١٤ إلى نهاية ديسمبر ٢٠٢٣ م

| سنة  | تعداد السكان<br>(01 Jan) | التغيير الطبيعي | معدل النمو<br>(%) | إجمالي عدد السكان<br>(31 December) |
|------|--------------------------|-----------------|-------------------|------------------------------------|
| 2014 | 11,294,497               | -163,657        | -1.449%           | 11,130,840                         |
| 2016 | 11,256,527               | -387,450        | -3.442%           | 10,869,077                         |
| 2015 | 11,132,072               | 123,789         | 1.112%            | 11,255,861                         |
| 2023 | 10,996,795               | 182,437         | 1.659%            | 11,179,232                         |
| 2017 | 10,875,683               | -443,837        | -4.081%           | 10,431,846                         |
| 2022 | 10,829,532               | 166,017         | 1.533%            | 10,995,549                         |
| 2021 | 10,667,013               | 161,285         | 1.512%            | 10,828,298                         |
| 2020 | 10,545,441               | 120,851         | 1.146%            | 10,666,292                         |
| 2018 | 10,440,768               | -91,252         | -0.874%           | 10,349,516                         |
| 2019 | 10,349,891               | 193,750         | 1.872%            | 10,543,641                         |

المصدر: <https://populationtoday.com/ar/ss-south-sudan>

## التركيبة الديمغرافية لمناطق التماس:

يطلق على هذه المناطق الحدودية اسم مناطق التماس لوجودها على الحدود الدولية المقررة، بيد أنها في الوقت نفسه تمثل مناطق للتعايش العرقي والتمازج الثقافي والاجتماعي وتقاسم استخدام الارض واستثمارها، لاسيما بالنسبة للقبائل الرعوية في المنطقة. تمثل مناطق التماس مناطق للتعايش والتمازج العرقي والثقافي في السودان

وتعرف مناطق التماس بأنها «عبارة عن شريط من الأراضي يغطي جانبي الحدود الفاصلة/الواصلة بين جنوب السودان وشماله. وبمعنى أدق تقع مناطق التماس المعنية بين خطي العرض ٧ و١٣ درجة شمال خط الاستواء وخطي الطول ١٤ و٣٤ درجة شرق خط غرينتش. وتمتد على امتداد الحدود بين الجنوب والشمال البالغة ٢٠١٤ كم بدءاً من ولاية جنوب دارفور من اقصى الغرب على الحدود مع جمهورية افريقيا الوسطى مروراً،



ولاية جنوب كردفان، ولاية النيل الأبيض، ولاية سنار وولاية النيل الأزرق في الشرق على الحدود مع اثيوبيا.

وتتوزع التركيبة الديمغرافية للقبائل والجماعات العرقية في ٨١ قبيلة. توزيعها على جانبي الحدود في القبائل التي تعيش شمالا مثل «قبائل السلامات، التعايشة، أولاد راشد، المهادي، الترحم، بني هلبة، الفلاتة، القمر، أبو درق، كريس، الهبانية، البرقد، البرتي، التنجر، الرزيقات، المعالي، المسيرية، الحوازمة، الزيود، خزام، النوبة، الداجو، شات، الجكس، الضباب، الدواليب، المسبغات، الدواله، الواغداد، النوبة، تقلي، الجمع، الجوامعة، الشوابنة، الشنابلة، البزعة، الكواهلة، أولاد حميد، سليم، الأحامدة، السلمية، الصبحة، النبهة، كنانة، نزي، رفاعة الهوي، البرقو، الصليحاب، الهوسا، البرنو، البرون، الفونج، الأدوك والوطايط.

والاخرى التي تسكن تحت خط الحدود الجنوبي في أقصى شمال ولاية غرب بحر الغزال، ولاية شمال بحر الغزال، ولاية ورارب وولاية أعالي النيل. حيث تسكن قبائل الفراقية، فريتيت، نقولقولييه، بيقو، أندوقو، أندري، توقو، نجانقول، صاراء، كاراء، شالا، بنقا، قنجا، دابا، كريس، شات، قولو، يولو، اللوا(الجور)، بلنده، الدينكا، النوير، الشلك والأنواك. {21}

### المسارات المحتملة للحراك السكاني من دول الجوار الجغرافي:

بناءً على المعطيات أعلاه يمكن التنبؤ بالمسارات التالية للحراك السكاني من دول الجوار الجغرافي للسودان، والتي ارتبط بعضها بالعنف والاعتداء على سكان الدولة السودانية ومواردها ومقدراتها وكان آخرها شن الحرب للاستيلاء على السلطة وتدمير مركز الدولة في حرب ١٥ ابريل ٢٠٢٣م بعد أن كانت في اطرافها وذلك بمعاونة بعض دول الإقليم الطامعة في الموارد السودانية.

### المسار الاول :

يظل مشروع التمدد السكاني في الاراضي السودانية من الدولة الشمالية المجاورة، كثيفة السكان (مصر) مرهون بحالة الضغط السكاني المتزايد، وعلى الرغم من السياسة السكانية التي تنتهجها مصر (تقييد التقارير بأن مصر حققت نجاحات كبيرة في تخفيض أعداد السكان بنسبة ٤٦٪ في الفترة من ٢٠١٧ إلى ٢٠٢٣، حيث تحدد المعدلات من ٢,٦٪ في عام ٢٠١٧ إلى ١,٤٪ في عام ٢٠٢٣، كما حددت بنسبة ١٠٪ بين عامي ٢٠٢٢ و٢٠٢٣، حيث وصلت في عام ٢٠٢٣ إلى ١,٤٪ وهي محدودة الزيادة السكانية خلال الخمسينيات الأخيرة).<sup>7\*</sup> لكن تظل سياسة الحكومات المتعاقبة ثابتة وهي الاستفادة من الموارد الخام للسودان ودعم حالة عدم الاستقرار في السودان إضافة إلى التوسع جنوبا والتعدي على المناطق الحدودية الحيوية المجاورة لها والخالية من السكان تقريباً وذلك عبر منح الجنسية المصرية (التمصير) لسكان تلك المناطق التي تشمل حلايب وشلاتين

<sup>7\*</sup> <https://www.idsc.gov.eg/InfoGraph/details/1637>

وأبو رماد إضافة إلى المنطقة الواقعة شمال مدينة وادي حلفا وما يجدر كره ان الاطماع المريبة تقوم على الدراسات البحثية اثبتت أن خامات المنجنيز تتوافر بمنطقة حلايب باحتياطات هائلة مرتقعة الجودة، وأثبتت صلاحية الخام لإنتاج كيماويات الماغنسيوم غير العضوية مثل كبريتات وكلوريد الماغنسيوم وهي ضرورية جداً لصناعة المنسوجات، كما اجرت مصر دراسات للاستفادة من هذا الخام لإنتاج حراريات الماغنسيوم بديلاً عن الاستيراد، وكذا انتاج الماغنسيوم الذي يستخدم بشكل كبير في صناعة الأسمدة التي تفتقر إليها الأراضي المصرية. كما يأتي موضوع اكتشاف البترول ومعادن ثمينة أخرى في حلايب كمحرك لتصعيد النزاع بين الدولتين على هذه المنطقة.

دفعت حرب ١٥ ابريل 2023م التي شنتها قوات الدعم السريع في مركز الدولة، بعض سكان المناطق التي نشبت فيها الحرب خاصة سكان ولاية الخرطوم الهجرة نحو مصر الا انها في غالبها هجرة مؤقتة اذ لم تنشأ لهم معسكرات كما حدث في دول الجوار الاخرى وقد اعتمدوا على بعض مدخراتهم للاستقرار فيها ومن المتوقع ان تحدث عودة طوعية لهؤلاء المهاجرين عقب انتهاء الحرب التي تؤكد كل الدلائل في حسمها لصالح الدولة وقواتها المسلحة.

### المسار الثاني:

يتسلل السكان من الحدود الشرقية (اثيوبيا واريتريا) لاحتلال بعض المناطق الحيوية المجاورة لهم داخل السودان بغرض الزراعة او الرعي أو التحرك بغرض العمالة او الاستقرار أو العبور والهجرة غير الشرعية لدول اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية ويمثل النزاع السوداني الإثيوبي على منطقة الفشقة التي تمتد على طول الحدود السودانية الإثيوبية ويشقها نهر بإسلام إلى جانب نهري ستيت و عطبرة، تحدها من الشمال ولاية كسلا ومحلية البطانة بالسودان والحدود الإثيوبية ومن الشرق محلية القضارف ومحلية القلابات الغربية بالسودان. التعدي الإثيوبي على منطقة الفشقة يعود تاريخه ايضا إلى خمسينات القرن العشرين، وظل تعدياً محدوداً من المزارعين إثيوبيين على نظرائهم السودانيين، وقد اعترفت اثيوبيا بان الأرض المتنازع عليها تتبع للسودان غير انها تماطل في إعادة وضع العلامات الحدودية التي انتزعها المزارعون الإثيوبيون والذين توفر لهم اثيوبيا حماية عسكرية غير مباشرة. كما ان الاقاليم في إثيوبيا التي تقع في اقتتال دائم، خاصة تلك التي لها حدود مع السودان الذي لديها مئات آلاف اللاجئين فيه. وهي تعاني ايضا من زيادة سكانية بصورة سرعية مع زيادة في معدلات البطالة اذ بلغت ٢٥,٢٧٪<sup>\*8</sup> وهي اصبحت من أقوى الدوافع للهجرة.

### المسار الثالث:

يشكل هذا المسار الحركة الاكثر حيوية في الحراك السكاني وهو يشمل دولتي تشاد وافريقيا الوسطى والدول التي تقع غربها في منطقة غرب افريقيا والتي كان يطلق عليها

<sup>\*8</sup> <https://ar.tradingeconomics.com/ethiopia/youth-unemployment-rate>

اسم السودان الفرنسي ويجمع بين سكان هذه الدول مجموعة من اسباب تجعل حركتها نحو الشرق عموما والسودان على وجه الخصوص هي مجموعة الروابط الدينية إذ إن غالبية هذه الشعوب تدين بدين الاسلام مما يجعل حركتها نحو حج بيت الله الحرام احد هذه الدوافع فتصل الى السودان في طريقها الي الحج إلا أنها تصطدم بمجموعة من العوائق الطبيعية المرتبطة بسلاسل جبال البحر الاحمر إضافة إلى الإجراءات التي تفرضها سلطات الحج بالمملكة العربية السعودية فيطيب لها المقام في السودان وتمتزج بمكوناته الاثنية الاخرى. كما تتحرك القبائل الرعوية المشتركة في الحدود الغربية (تشاد وإفريقيا الوسطى) عابرة الحدود داخل السودان دون قيد طلباً للمرعي والكلأ. كما يتسلل السكان من الدولتين عبر الحدود للعمل في استخراج معدن الذهب السطحي او العمل المشاريع الزراعية في ولايات الجزيرة و النيل الازرق والابيض وسنار وولايتي القضارف وكسلا مع الحصول على الجنسية السودانية بالتقادم والميلاد وقد ساعد في حرية الحركة لسكان تلك الدول وجود القبائل المشتركة بين السودان وهذه الدول. تطمح بعض هذه المجموعات المهاجرة إلى العبور لدولة ليبيا عبر السودان ومنها إلى أوروبا، إلا أن الكثير من هذه المجموعات تقع فريسة للمهربين وبعضها الآخر يقع في شرك الاتجار بالبشر. وقد شكلت الحكومة السودانية في قوات الدعم السريع وحدات لمكافحة التهريب والهجرة غير ان تحول قوات الدعم السريع والتي شكلت اساسا من هذه الإثنيات قامت بتجنيد غالبية هؤلاء المهاجرين ضمن صفوفها ومنتهم حق التجنس بالجنسية السودانية ، وقد شكل هذا الامر مهددا خطيرا لوجود الدولة السودانية نفسها ، وما ان نشبت حرب ١٥ ابريل ٢٠٢٣م تحولت هذه المجموعات إلى سلب ونهب كل ممتلكات الدولة السودانية التي لم يسلم منها حتى مدخرات المواطن البسيط ، بل تعدت ذلك من خلال تدمير البنية التحتية للدولة إضافة إلى كافة المرافق الحيوية الاخرى وقد شمل التدمير والخراب المؤسسات التعليمية والجامعات والاثار والمتاحف . وكان لاتساع دائرة الحرب اثار كارثية على السودان وقد شملت الحرب ولايات الجزيرة وشمال وغرب ولاية النيل الابيض وولاية سنار والاطراف الشمالية لولاية النيل الازرق والاطراف الجنوبية الغربية لولاية القضارف إضافة إلى جنوب ولاية نهر النيل وولايات دار فور وغرب كردفان والاطراف الشمالية الشرقية من ولاية شمال كردفان.

#### المسار الرابع:

تتحرك القبائل الرعوية في مناطق التماس في الحدود الجنوبية بين السودان ودولة جنوب السودان بغرض الرعي، كما يتسلل السكان من جنوب السودان فأريين من الحروب الاهلية التي تهدد استقرارهم داخل دولتهم الوليدة مما يضطرهم إلى الخروج والعودة إلى معسكرات اللجوء في السودان في ولايات النيل الابيض والنيل الازرق والتسلل منها للمدن الكبرى طلباً للعمل والاستقرار كما كانوا قبل الانفصال في العام ٢٠١١م.

#### المسار الخامس:

يرتبط هذا المسار بالعوامل الطبيعية والامنية المؤثرة على سكان دول الجوار وما بعدها

خاصة دول الغرب الافريقي التي لها امتدادات قبلية داخل السودان واصبحت تقع تحت تأثير التغير المناخي في كثير من هذه الدول مما يضطر سكانها للزحف نحو مناطق تتوفر فيها بيئات مشابه لما اعتادت عليه والتي يمثل اراضي الجوار السوداني والتي تتميز بتوفر الموارد المائية دائمة الجريان وكميات هطول الأمطار في السهول والمساحات الشاسعة من الاراضي الطبيعية للرعي.

بناء على هذه المسارات نجد أن الدولة السودانية تضعف خياراتها المستقبلية التي تمكنها من المحافظة على وضعها السكاني الحالي وخارطته الديمغرافية، إلا من خلال تبني الوسائل والبرامج التكنولوجية الحديثة في حركة وإدارة الشأن السكاني في السودان بالإضافة إلى تبني سياسات تمكنها من الاستثمار الأمثل لهذه الهجرات القادمة من دول الجوار الجغرافي أو الدول الاخرى المجاورة لها، ان المحيط السوداني من دول الجوار يعاني من ظروف طبيعية وامنية بالغة التعقيد. فمن الناحية الطبيعية لاتزال موجات الجفاف والتصحر التي تضرب هذه البلدان مستمرة مع ضعف المعالجة أو التكيف. اما من الناحية الامنية تعاني دول الجوار الانقسامات السياسية والقبلية، والمعارضة المسلحة التي تغذى من دول إقليمية ذات مصالح اقتصادية في المنطقة.

خريطة (2) دول الجوار الجغرافي للسودان<sup>9</sup>\*



المصدر: <http://www.sudanembassy.org>

<sup>9</sup>\* ملاحظة: رُسمت اتفاقية 1 يناير 1956، الحدود بين السودان وجنوب السودان، إلا أن مفاوضات الترسيم النهائي للحدود بين البلدين ما تزال معلقة، وما تزال منطقة أبيي متنازع عليها بين الدولتين.  
مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )

## خاتمة:

وفي الختام نجد أن الوضع الجيواستراتيجي للسودان يجعله محاط بسبع دول إفريقية تتفاوت فيها أعداد السكان ، منها ما يتجاوز المائة مليون نسمة مثل مصر واثيوبيا الأمر الذي يفرض الحركة والتسلل واحتلال المناطق الحدودية الحيوية ، ودول أخرى كتشاد وإفريقيا الوسطى طبيعة النشاط الرعوي القبلي المتداخل تفرض الحركة عبر الحدود السودانية، كما نجد الظروف الاقتصادية تارة والظروف السياسية والكوارث البيئية تارة أخرى تجبر أعداد كبيرة من سكان الجوار إلى الهجرة والنزوح إلى الأراضي السودانية للعمل والاستقرار أو العبور منها إلى الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية .

الانفصال القسري لدولة جنوب السودان أنجب حدوداً غير منتظمة تبرز في شكل جيوب متداخلة بين الدولتين تفرض اختراق سكان الدولتين لبعضهما البعض مما جعل من مناطق التماس حدود شفافة تسمح بتنقل القبائل بحرية بين الدولتين.

هذا الحراك السكاني المستمر قد يؤثر سلباً على عناصر قوى الدولة السودانية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، مما يتطلب عملاً متواصلاً من الدولة لتحويل هذا المهدد إلى فرصة تعلى شأن الدولة السودانية. ولا بد من توظيف الخصائص الديمغرافية التي يتمتع بها السودان حالياً لتحقيق التنمية المستدامة، يمثل توزيع السكان قضية بالغة التعقيد بسبب هدر الموارد الطبيعية إما لقلّة الكثافة السكانية في مساحات شاسعة منه قضى عليها الزحف الصحراوي، أو لضغط على الموارد بسبب الطرد والجذب للسكان عبر السياسات الحكومية غير الرشيدة.

## النتائج:

١. أكد البحث ان الحدود البرية السودانية حوالي (٦٧٥١) كم، وهي في مجملها حدود ممهدة وسالكة يصعب حراستها وتساعد على التهريب وتسلل البشر والزحف السكاني من دول الجوار الجغرافي.
٢. حركة السكان من دول الجوار إلى السودان ترتبط بالظروف الطبيعية والامنية مثل الجفاف والتصحر وعدم الاستقرار السياسي أو النزاع القبلي والجهوي مما يجعل الهجرة والنزوح إلى السودان مخرجا طبيعيا لهم مما يجعل الغزو السكاني للسودان أمراً واقعاً.
٣. تظل حركة السكان من دولة جنوب مستمرة بسبب الحروب القبلية والانقسامات السياسية وتدني الدخل والإنتاج وهي لها الأثر الأكبر للهجرات والنزوح نحو دولة السودان
٤. استمرار تدفقات المهاجرين نحو السودان من دول الجوار بسبب الظروف الطبيعية والحروب خاصة دول الجوار الغربي ومابعداها من الدول.
٥. ضعف الرقابة الإدارية والقانونية في السودان، خاصة في قوانين الهجرة والجنسية يساهم بشكل فعال في استقبال حركة المهاجرين بصورة غير شرعية وتقنين أوضاعهم وتمتعهم بحق المواطنة الكاملة.
٦. على الرغم ماتنص اتفاقيات الاتحاد الافريقي من عدم قفل الحدود في

وجه اللاجئ الإفريقي من الدول الأعضاء ومساعدة الدول المضيفة، إلا أن مساهمة ومساعدة الاتحاد الإفريقي تظل ضعيفة جدًا مقارنة بحجم التدفقات السكانية فيه.

٧. سرعة اندماج وذوبان المهاجرين في المجتمع السوداني خاصة المجموعات التي تتحدر من أصل عرقي واحد، وقد انصهر الكثيرون منهم بالفعل عن طريق الزواج، إذ يصبح غاية الصعوبة التفريق بينهم وبين السودانيين بسبب التشابه في السمات والملامح.

### التوصيات:

1. العمل على تطوير قوات حرس الحدود السودانية منعًا للتهريب والتسلل من دول الجوار الجغرافي.
2. تطوير الشراكات الاقتصادية والتحالفات العسكرية مع دول الجوار الجغرافي مما يساعد على الأمن والاستقرار في المنطقة.
3. يتعين على السودان الاستثمار في التعليم والصحة والبنية التحتية لتحقيق أقصى استفادة ممكنة من المكاسب الديمغرافية.
4. إن استمرار تدفقات المهاجرين نحو السودان تستوجب على الدولة تفعيل قوانين الهجرة والجنسية لتكون في صالح المواطن، وتبني سياسات الهجرة التي تزيد من رفاه الشعب السودان من خلال تفعيل قوانين العمل للمهاجرين.
5. وضع السياسات السكانية اللازمة لتعالج العجز في الأيدي العاملة بالسودان وذلك بالاستفادة من المهاجرين من دول الجوار الجغرافي.
6. ضرورة تبني سياسة النمو المتوازن في الخدمات في مختلف الأقاليم لتقليل حركة السكان من مناطق نقص الخدمات إلى مناطق تركزها.
7. ضرورة السيطرة والتحكم على المهاجرين والمتسللين غير الشرعيين من دول الجوار في معسكرات اللجوء منعًا لانتشار الأمراض والجريمة والعبور إلى الدول الأخرى مع تطبيق كافة القوانين المحلية والإقليمية والعالمية.
8. ضرورة بناء المدن الحدودية منعًا لتمدد السكان من الدول المجاورة في الأراضي السودانية الحدودية الحيوية الخالية من السكان.
9. التخطيط لاستعادة العقول المهاجرة من خلال تبني سياسات تحفيزية تعمل على خلق فرص للاستقرار في البلاد.



## قائمة المصادر والمراجع:

{1} عيسى، مصعب إبراهيم محمد. (2024م). أثر الحرب الأخيرة في السودان 2023 على المعاملات المالية في عقدي الإيجار والعمل، مجلة مركز جزيرة العرب للبحوث التربوية والإنسانية، 2 (20)، 99-123. <https://doi.org/10.56793/pcra2213205>

{2} حسين نعسو التغيير الديموغرافي... والاستيطان 29 يناير، 2019م <https://pydrojava.org>

{3} جمهورية السودان ، وزارة الإعلام، السودان أرض الفرص حقائق وأرقام (الخرطوم دار النشر والتوزيع السودانية 2011م).

{4} مزمل الرئيس أحمد توزيع السكان وعلاقته بالتنمية المستدامة ، رسالة دكتوراه غير منشورة مكتبة جامعة أفريقيا العالمية الخرطوم 2019م.

{5} محمد إدريس أحمد توزيع السكان المسلمين في إفريقيا أرضاً وشعباً ديموغرافياً وجغرافياً (ورقة علمية منشورة بمجلة جامعة الزعيم الأزهرى)

{6} صديق محمد أحمد مضوي، حدود السودان الواقع الاجتماعي والسياسي والقانوني، (الخرطوم ، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة 3006)

{7} Thompkins, Gwen (15 April 2009). "Ethnic Divisions Com- plicate Sudan's Census". NPR. [http://en.wikipedia.org/wiki/List\\_of\\_countries\\_by\\_population\\_density](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_population_density)

{8} كمال موسى عثمان ،العلاقات السودانية الإريتريّة من منظور استراتيجي ، بحث غير منشور لنيل درجة الماجستير الزمالة (3) (الخرطوم ، أكاديمية الأمن العليا 2009م)

{9} هاشم محمد الأمين ، أثر النفط والدين على اتفاقية السلام بجنوب السودان ، بحث منشور بمجلة الاستراتيجية والأمن الوطني ، العدد2 (الخرطوم ، أكاديمية الأمن العليا، 2009م).

{10} عبد الحميد شلبي ، السكان بمدينة القاهرة ط 2 (القاهرة ، دار الاهرام للنشر والتوزيع ، 2015)

{11} محمد نصر مهنا ، السكان والأمن القومي الليبي (الاسكندرية ، المكتب

الجامعي الحديث ،2006م)

{12} محمد مرزوق مخلوفي ،السياسات السكانية في ليبيا-[http://en.wikipedia.org/wiki/List\\_of\\_countries\\_by\\_population\\_density](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_population_density)

{12} نفس المصدر السابق.

{13} عمر سليمان ضو البيت ، العلاقات السودانية الإريترية (الخرطوم ، مطبعة دار الفلاح ،1989م)

{14} The Long Struggle of Eritrea for Independence and Constructive Peace. Spokesman Press (ردمك [0-85124-463-7](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_population_density)), the Eritrean Revolution (1976-1982). Red Sea Press (ردمك [1-56902-188-0](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_population_density)).

{15} Connell, Dan (1997), Against All Odds: A Chronicle of the Eritrean Revolution with a New Afterword on the Postwar Transition. Red Sea Press (ردمك [1-56902-046-9](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_population_density))

{16} سليمان محمد أحمد سليمان ، العلاقات السودانية الأثيوبية، (الخرطوم ، مطبعة دار الفلاح للنشر والتوزيع ، 2011م)

{17} محمد مهدي عاشور، الحدود السودانية دوافع الدول الإفريقية (الخرطوم مركز دراسات المستقبل ،سلسلة دراسات إفريقية ، 1996م)

{18} "Political Map of Central African Republic", [www.mapsof-world.com](http://www.mapsof-world.com), Retrieved 3-5-2018. Edited. [http://en.wikipedia.org/wiki/List\\_of\\_countries\\_by\\_population\\_density](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_population_density)

{19} "South Sudan parliament throw outs census results". Sudan Tribune. 8 July 2009. [http://en.wikipedia.org/wiki/List\\_of\\_countries\\_by\\_population\\_density](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_population_density)

{20} Fick, Maggie (8 June 2009). "S. Sudan Census Bureau Releases Official Results Amidst Ongoing Census Controversy". ! enough The project to end genocide and crimes against humanity. [http://en.wikipedia.org/wiki/List\\_of\\_countries\\_by\\_population\\_density](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_population_density)

population density

South Sudan says Northern Sudan's census dishonest". Radio Nederland Tribune. 8 July 2009. [http://en.wikipedia.org/wiki/List\\_of\\_countries\\_by\\_population\\_density](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_population_density)

Fick, Maggie (8 June 2009). "S. Sudan Census Bureau Releases Official Results Amidst Ongoing Census Controversy". ! enough The project to end genocide and crimes against humanity. [http://en.wikipedia.org/wiki/List\\_of\\_countries\\_by\\_population\\_density](http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_by_population_density)

South Sudan says Northern Sudan's census dishonest". Radio Nederland



بسم الله الرحمن الرحيم

# السودان القديم وآثاره بين الحرب والتلف

Archaeology of Ancient Sudan  
Between War and Conflict

د. عبد المنعم أحمد عبدالله بابكر  
رئيس قسم الآثار – كلية الآداب  
جامعة إفريقيا العالمية

Dr. Abdelmonim Ahmed Abdalla Babiker  
Head-Department of Archaeology  
Faculty of Arts  
International University of Africa  
E mail: alaryabi@gmail.com



## المستخلص:

السودان بلد قديم يبتدىء تاريخه الثقافي والحضاري منذ الفترات الموعلة في القدم من تاريخ البشرية. وقد دلل على هذا العمق التاريخي الطويل للسودان التاريخ الطويل للبحث الأثاري على كل أرضه والمتواصل فيه بلا انقطاع منذ أكثر من مائة عام ما أوقفته سوى الحرب المستمرة فيه حاليًا لما يزيد عن العام.

وتكمن أهمية السودان آثاريًا في أن الدراسات الأثرية خاصة دراسات فترات ما قبل التاريخ على مستوى العالم تعتمد حتى الآن نماذج المواقع الأثرية السودانية لفهم التطورات الدقيقة المرتبطة بالتطورات التقنية في صناعة الأدوات الحجرية التي شهدتها تلك الفترات للانتقال من كل حقبة إلى الأخرى.

وهذا الإرث الحضاري الطويل من تاريخ السودان الذي حفظه السجل الأثري السوداني، أو حفظته المتاحف السودانية، أو المواقع الأثرية قد وصلتته حرب الخامس عشر من أبريل ٢٠٢٣م وألحقت به الأذى بأشكال متفاوتة خاصة في وسط الخرطوم (العاصمة القومية).

الكلمات المفتاحية: الآثار - المتاحف - ما قبل التاريخ - الأدوات - النزاع - الحرب.

## Abstract:

Sudan is an ancient country. Its cultural history begins with the first steps of human history. This long history of ancient Sudan has been indicated for long time by the long history of Archaeological Research of ancient Sudan for more than a hundred years of continuous research interrupted only recently by the War Breaking of last year (April 15<sup>th</sup> 2023).

Sudan is archaeologically important country for the fact that, the Prehistoric Sudan research, is considered for long time, one of the global scientific Models for understanding of the critical technological developments in the ancient Stone Tools and Artifacts of Early man Industries that enabled the prehistoric societies towards Civilization.

This long archaeological heritage of Sudan which has been well preserved for so long time in the Archaeological Record. Museums and Archaeological Sites is now being seriously under direct threaten of the war. Especially that located in Khartoum, the (heart) of the National Capital of the country.

Key words; Archaeology, Artifact, Heritage, Museums, Conflict, War.



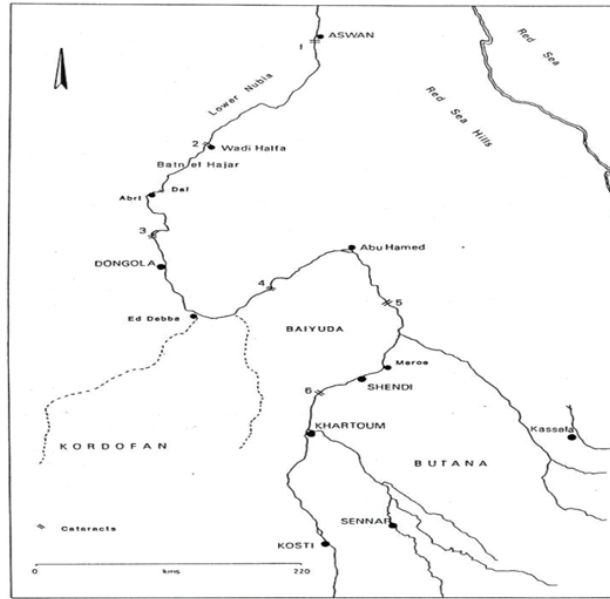
## مقدمة:

السودان قطر شاسع المساحة مترامي الأطراف متنوع المناخات الطبيعية والجغرافية ومختلف المجموعات السكانية ومتعدد الثقافات والأعراق واللغات.

دللت الأبحاث الأثرية على الوجود القديم للإنسان السوداني على أرضه منذ بواكير فترات ما قبل التاريخ.

وهو بلد إفريقي عربي يقع في الركن الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية في موقع القلب منها. ويمثل بموقعه هذا معبراً رابطاً بين أجزاء القارة الإفريقية في جنوب صحرائها الكبرى وبين بقية أجزائها في أعماقها وأطرافها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً. وقد حقق السودان بهذا الموقع الجغرافي المتميز وصف بعض الباحثين له بكونه (رواقاً لإفريقيا) (آدامز: ١٩٧٧) باعتبار أن نهر النيل أكبر أنهاره وأشهرها يجري فيه من منابعه في أعماق جنوب القارة إلى مصبه في البحر الأبيض المتوسط وما وراء عوالمه الأوروبية

(خريطة رقم ١).



خريطة رقم ١: نهر النيل وفروعه عن (ادواردز: ١٩٨٩، ٥، خريطة رقم ١)

وهو بذلك ظل يربط حتى الآن العالمين الإفريقي والأوروبي قديمهما وحديثهما. والسودان بلد قديم يبتدئ تاريخه الثقافي والحضاري منذ الفترات الموهلة في القدم من تاريخ البشرية. وقد دلل على هذا العمق التاريخي الطويل للسودان التاريخ الطويل للبحث الأثري على كل أرضه، والمتواصل فيه بلا انقطاع منذ أكثر من مائة عام ما أوقفته سوي الحرب المستمرة فيه حالياً لما يزيد عن العام. وقد حمل السودان منذ فترات تاريخه القديم أسماء عديدة جدا

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث (اساد)



ومختلفة باختلاف كل فترة من تلك الفترات وباختلاف مطلقي تلك الأسماء عليه سواء أكانوا أجانب أو سودانيين قدماء أو حتى المحدثين.

ومن بين تلك الأسماء العديدة نبرز على سبيل المثال الأسماء الأشهر مثل الاسم (تاسيتي) المكون من مقطعين صوتيين وأطلقه السودانيون القدماء وصفاً به لأنفسهم وأرضهم، فهو يعني (أرض أهل القوس). وكذلك الاسم (تا نحسو) الذي أطلقه عليهم بذات صفات الاسم السابق جيرانهم الشماليون من القدماء المصريين وصفاً به لجيرانهم الجنوبيين وأرضهم بدكنة لون الجسم والأرض. وكذلك الاسم (أثيوبيا) الذي أطلقه عليهم قدماء اليونان لما زاروهم أول مرة ووصفوا به أصحاب الأرض السوداء ووجوه أهلها المحروقة بالشمس. وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة التفريق بين هذا الاسم القديم للسودان وبين الاسم الحديث لجارته الشرقية الآن والتي كان اسمها القديم هو (بلاد الحبشة). ولكن أشهر أسماء السودان القديم وأشملها هو الاسم (كوش) الذي ورد مرات عديدة في التوراة في عهدها القديم.

أما الاسم الحالي للسودان فقد برز بنفس دلالات الأسماء السابقة في العصور الوسيطة حين أطلق في البدء وصف (السودان) أو (بلاد السودان) على مجمل المنطقة الممتدة حزاماً جنوب الصحراء الكبرى من البحر الأحمر شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً في مقابل (بلاد الحمران) على غيرها.

ودللت الأبحاث الأثرية على الوجود القديم للإنسان السوداني على أرضه منذ بواكير فترات ما قبل التاريخ، فقد أشارت آثاره في الموقع الأشهر المعروف في منطقة (خور أبو عنجة) في مدينة أم درمان بوضوح إلى هذا الوجود منذ بدايات فترات ما قبل التاريخ في أولي مراحلها في فترة (العصر الحجري القديم) (أركيل: ١٩٤٥م). كما ظهرت دلائل ذلك الوجود في الفترة اللاحقة لها وهي الفترة المعروفة بفترة (العصر الحجري الوسيط) بوضوح أيضاً في الموقع المشهور كذلك ب (موقع مستشفى الخرطوم) وعرفت ثقافته بـ (حضارة الخرطوم الباكورة) (أركيل: ١٩٥٣، ١٩٤٩م). أما الفترة الأخيرة من العصور الحجرية والمعروفة بـ (العصر الحجري الحديث) فقد وجدت شواهداً أيضاً في منطقة الخرطوم في شمال مدينة الخرطوم بحري في العديد من المواقع أشهرها موقعاً (الجيلي). (كانيفا: ١٩٨٨م) و (الكدرو). (زانياك: ١٩٧٩م).

وتأتي أهمية السودان أثارياً من أن الدراسات الأثرية لفترات ما قبل التاريخ على مستوى العالم تعتمد حتى الآن نماذج هذه المواقع الأثرية السودانية لفهم التطورات الدقيقة المرتبطة بالتطورات التقنية في صناعة الأدوات الحجرية التي شهدتها تلك الفترات للانتقال من كل حقبة إلى الأخرى. فقد ظهرت مصطلحات لوصف ذلك التطور في صناعة الأدوات القديمة مثل (نموذج خور أبي عنجة) تصف أدوات إنسان السودان القديم التي وجدت من بعد في تلك المواقع وساعدت المجتمعات الإنسانية القديمة على التأقلم مع بيئاتها المختلفة وهيأت لها بالتالي الظروف المناسبة للاستقرار ومهدت من ثم لها الطريق نحو الانطلاقات الاقتصادية والاجتماعية الكبرى التي بلغت المجتمعات البشرية في مسيرتها نحو الحضارة. ويشرح ذلك بوضوح مصطلح مثل (نوع الخرطوم) الذي يصف المستويات الثقافية والتقنية التي

تقدمها على سبيل المثال مجموعة مواقع العصرين الحجريين الوسيط والحديث و(تشابكات) قضايهما الثقافية والتقنية المعقدة.

أما الفترة التي تلت مرحلة العصور الحجرية ومهدت بشكل أساسي لظهور مرحلة الحضارة في السودان القديم بالمعنى المتعارف عليه لمصطلح الحضارة فهي الفترة المعروفة بفترة (المجموعات الثقافية النوبية) ولطول هذه الفترة فقد قسمها الباحثون إلى فترات بحسب أسبقياتها التاريخية من حيث القدم وأطلقوا عليها رموز الأحرف الألف بائية الهجائية (أ، ب، ج ... س). (رايزنر : ١٩١٠م).

وأما مرحلة الحضارة بمعناها المفهوم اليوم فقد وصلها السودان في تاريخه القديم في المرحلة الأشهر من ذلك التاريخ والمعروفة بفترة حضارة (كوش). وهي بدورها تنقسم إلى ثلاث فترات حضارية كبرى تمثلت فيها بلا انقطاع كل السمات الحضارية من نشوء المدن الكبرى الحواضر والمنجزات الإنسانية الحضارية في جوانبها الاجتماعية والدينية والفكرية والاقتصادية والسياسية. وهي الفترة التي حمل فيها السودان القديم اسم كوش وتوسع سياسيا من مرحلة (الدولة) فر(المملكة) حتى وصفت كوش في أقصى اتساعها ب (الإمبراطورية) التي امتدت خارج حدودها فربطت بذلك عن طريق نيلها وفروعه وصحاريها شرقا وغربا أعماق إفريقيا بعوالم البحر الأبيض المتوسط وما وراءه. وتلك الفترات الثلاث هي المعروفة تتاليا وتداخلا بحضارات (كرمة) ثم (نبتة) ثم (مروي)، وكانت أشهر حواضرها في مواقعها المشهورة أيضا في وسط السودان وفي شماله في المنطقة المعروفة جغرافيا باسم (إقليم النيل الأوسط) في مدنها القديمة في كل من مدينة كرمة بالقرب من مدينة دنقلا الحالية، وأبرز آثارها المبني المشهور المرتفع المبني من الطين اللبن والمعروف ب (الدوفة) (شكل رقم ١).

شكل رقم ١: الدوفة الغربية (معبد قديم)



ثم مدينة نبتة بالقرب من مدينة كريمة الحالية، فمدينة مروي (القديمة) عند قرية البجراوية المشهورة بالقرب من مدينة كبوشية الواقعة شمال مدينة شندي الحالية.

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )

ويجدر ذكر أن للسودان موقعين أثريين فقط مسجلين لدى منظمة اليونسكو ضمن مواقعها لقائمة التراث العالمي، أولهما تسجيلا في تلك القائمة هو موقع (أثار جبل البركل) أشهر مواقع حضارة نبتة بمعابده ومجموعات أهرامات ملوكه المشهورة وسلسلة المواقع النبتية المعروفة حوله (شكل رقم ٢).

شكل رقم ٢: جبل البركل



وقد سجل الموقع في العام ٢٠٠٣م. أما الموقع الآخر فهو موقع (أثار جزيرة مروى) بآثاره المشهورة في كل من مدينة (مروى القديمة) العاصمة الملكية القديمة لدولة كوش (مروى) ومجموعات مدافن ملوكها المشهورة الثلاث تحت (أهرامات البجراوية) (شكل رقم ٣)، بالإضافة إلى موقعي المدينتين الصنوين و مجموعات معابدهما المختلفة في كل من (المصورات الصفراء) و (النقعة) (شكل رقم ٤)، وقد ضم الموقع إلى قائمة اليونسكو في العام ٢٠١١م.

شكل رقم ٣: أهرامات البجراوية



شكل رقم ٤: معبد آمون في النقة



وبعد انتهاء فترة حضارة كوش بنهاية جزئها الثالث والأخير (مملكة مروى) ظهرت في السودان فترة (انتقالية) استمرت حوالي خمسمائة عام وصفها البحث العلمي لقلة المعلومات حولها أولاً بالغموض فأطلق عليها رمز الحرف الهجائي (المجموعة الثقافية س) ثم بتقدم البحث عرفت بفترة (ما بعد مروى) وأخيراً تميل أحدث الأبحاث ومن بينها هذا المقال إلى تسميتها بفترة (مروى بعد بناء الأهرامات). وتتمثل أهمية هذه الفترة في أنها تقدم مؤشرات واضحة حول التحولات الثقافية والحضارية الهائلة التي مر بها السودان خلال تلك الفترة، فقد استمرت خلالها التقاليد الثقافية والحضارية الهائلة التي كانت سائدة حتى نهايات مملكة مروى السابقة لها من جهة، كما بدأت تظهر خلالها بوضوح من جهة أخرى سمات التقاليد الثقافية والحضارية الهائلة التي صبغت الفترة اللاحقة لها وهي فترة (الحضارة المسيحية) في السودان التي أعقبتها فترة (الحضارة الإسلامية) وهما الفترتان الأبرز اللتان يبتدئ بهما مفهوما (السودان في العصور الوسيطة) و (ما بعد الوسيطة) في السودان وليهما مفهوم (تاريخ السودان الحديث).

وقد قامت في السودان في الفترة المسيحية ثلاث ممالك مسيحية تقاسمت حكمه متزامنة بعضها مع بعض، فقد ظهرت في أقصى شماله مملكة عرفت باسم (مملكة نوباتيا) وكانت عاصمتها في المدينة الأثرية المعروفة باسم (فرص) وبها كاتدرائيتها الرئيسية. ثم تليها جنوباً ابتداء من منطقة دنقلا (مملكة المقررة) وعاصمتها مدينة (دنقلا العجوز) التي مازالت تحتفظ ببقايا كاتدرائيتها الرئيسية الأثرية. وتليهما جنوباً (مملكة علوة) وعاصمتها في مدينة (سوبا شرق) الأثرية الواقعة على الضفة الشرقية مباشرة جنوب مدينة الخرطوم. كما أضاف البحث الأثاري واللغوي والتراثي المشترك مؤخراً مملكة رابعة كان ذكرها قد جاء في المصادر العربية للجغرافيين والرحالة العرب مرتبكاً وبغير وضوح، ودون أن يحدد موقعها بشكل قاطع وهي (مملكة الأبواب) التي حدد البحث الأخير موقعها مباشرة بين المملكتين الوسطى جغرافياً (المقررة) والجنوبية في (علوة)، غير أنه سكت بدوره عن ذكر عاصمتها، إلا أنه حصر مركز انتشارها بصورة أساسية في المنطقة حول الشلال الخامس لنهر النيل. (الشيخ: ٢٠٠٢م).

أما فترة الحضارة الإسلامية في السودان فقد ظهرت بوضوح مؤشرات بدايتها بالاتفاقية المشهورة في مصادر تاريخ السودان والمعروفة باتفاقية (البقط) بين ملوك (بلاد النوبة) المسيحية (وهو اسم أطلقته المصادر العربية على السودان في تلك الفترة) وبين جيوش المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح بعد فتح مصر و توغّلها جنوبا حتى وصلت مدينة دنقلا عاصمة مملكة المقرة المسيحية في بدايات القرن الرابع عشر الميلادي فاصطدمت بمهارة أهل السودان (بلاد النوبة) الفائقة في القتال، فوقعوا تلك الهدنة ووصفهم ب (رماة الحدق)، وهو وصف يعيد للأذهان ذلك الاسم الأول الأقدم للسودان القديم (تاسيتي) بنفس دلالاته ليعني (أرض أهل القوس). وتحسن الإشارة هنا خفية إلى أن (الرمح العظمي) و(القوس والسهم) كانا أهم أدوات إنسان السودان خلال (حضارة الخرطوم الباكراة) في فترة العصر الحجري الوسيط.

ويعتبر العام (١٣١٧) الميلادي هو تأريخ التحول الرسمي في (بلاد النوبة) إلى الإسلام، فهذا التاريخ وجد منحوتا في حجر على حائط داخلي في صالة في الطابق الأرضي في قصر ملك دنقلا العجوز يشير إلى تحويله إلى مسجد وتحول ملكها (سيف الدين عبد الله الناصر برشمبو) إلى الإسلام.

أما أول كيان سياسي واجتماعي إسلامي حكم السودان فهو (دولة/مملكة/سلطنة) سنار التي اشتهرت ب (سلطنة الفونج) أو (السلطنة الزرقاء) التي حكمت السودان منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي في العام ١٤١٥م.

وأشهر أثارها عاصمتها في مدينة سنار الحالية على النيل الأزرق، بالإضافة إلى الممالك والسلطنات الإسلامية في غرب السودان في كردفان ودارفور، وأشهرها على سبيل المثال سلطنات (دارفور والمسبعات وجبال قلبي والداجو والتنجر).

وأعقب سقوط (دولة سنار) في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي التوسع التركي في السودان الذي بدأ منذ العام ١٨٢٠م، وأبرز آثاره المعمارية المباني الإدارية التاريخية المنتشرة بعضها في كل أقاليم السودان، وأشهرها تلك المباني الإدارية المتركة بصورة أساسية، ومطلة على نهر النيل الأزرق، قبيل التقائه بقرينه النيل الأبيض في ملتقى (مقرن النيلين) في وسط عاصمة البلاد اليوم، في مدينة الخرطوم التي أسسها (الحكام الأتراك) -حكام العهد التركي في السودان-، و على رأسها (قصر الحاكم العام) المعروف حاليا بـ(القصر الجمهوري) (صورة رقم ١)، وقباب (مدافن الأتراك) التي تقع في نفس ذلك المحيط من منطقة وسط الخرطوم (صورة رقم ٢).



صورة رقم ١: القصر الجمهوري



صورة رقم ٢: مدافن الأتراك



وكان قيام (الدولة المهدية) في السودان في حوالي منتصف القرن التاسع عشر نفسه هو إيدان بظهور دولة إسلامية سودانية ثانية ظهرت منذ حوالي العام ١٨٤٥م. وأبرز آثار الدولة المهدية موجود في الخرطوم، وهو إنشاء مدينة أم درمان التي أسسها الإمام (محمد أحمد بن عبد الله) ولقبه (المهدي) عاصمة وطنية لحكمه وما تضمنه من آثار تلك الدولة مثل (قبة المهدي) وهي مدفن الإمام المهدي نفسه (صورة رقم ٣).



صورة رقم ٣: قبة المهدي



و(متحف بيت الخليفة)، وهو البيت الذي كان يسكنه الإمام (عبد الله بن محمد) الملقب ب (تور شين) خليفة المهدي (صورة رقم ٤). بالإضافة إلى (بوابة عبد القيوم) أحد حراس بوابة سور المدينة في زمانها (صورة رقم ٥).

صورة رقم ٤: متحف بيت الخليفة



صورة رقم ٥: بوابة عبد القيوم



وكذلك مبني (دار الرياضة) الذي كان (بيت الأمانة) حينها (صورة رقم ٦). بجانب مبني (سجن أم درمان) (صورة رقم ٧).

صورة رقم ٦: دار الرياضة (بيت الأمانة سابقا)



صورة رقم ٧: سجن ام درمان



ومجموعة مباني قلاع التحصينات المبنية من الطين، وقليلة الارتفاع وموزعة على امتداد النيل المحاذي للمدينة وتعرف بـ(طوابي المهدية)، ومفردها (الطابية) (صورة رقم ٨). وينتشر عدد من هذه الطوابي كذلك في بعض مناطق مدينة (الخرطوم بحري) (المدينة التوأم مع أختيها الخرطوم وأم درمان وتكون معهما ما عرفت سابقاً بالعاصمة المثلثة ولاحقاً بالعاصمة القومية وهو الاسم المعرفة به الخرطوم إدارياً حتى الآن).

صورة رقم ٨: طوابي المهدية





كما يوجد كذلك بعض من هذه الطوابي في داخل (جزيرة توتي) المشهورة تاريخيا والموصوفة في (الوجدان السوداني) بأنها (درة النيل) (صورة رقم ٩).

صورة رقم ٩: جزيرة توتي



قاومت الدولة المهدية الحكم التركي ومن بعده الحكم البريطاني الذي قضى عليها في العام ١٨٩٩م في نهايات ذات القرن حيث وقع السودان بعدها تحت الحكم البريطاني الذي استمر حتى حوالي منتصف القرن العشرين الميلادي وانتهى بإعلان نيل السودان استقلاله في العام ١٩٥٦م (صورة رقم ١٠).

صورة رقم ١٠: القصر الجمهوري إعلان استقلال السودان (رفع العلم)



وأبرز الآثار المعمارية لفترة الحكم الإنجليزي في السودان (١٨٩٩م-١٩٥٦م) المباني التذكارية المشهورة، وأبرزها مبني (كلية غردون التذكارية) التي أنشئت في عام ١٩٠٢م (جامعة الخرطوم) الآن، وتقع كغيرها من العديد من مباني تلك الفترة على (شارع النيل) (صورة رقم ١١)، ومبني (مدرسة كتشنر الطبية) (١٩٢٤م (كلية الطب-جامعة الخرطوم) (صورة رقم ١٢).

صورة رقم ١١: جامعة الخرطوم (كلية غردون التذكارية)



صورة رقم ١٢: كلية الطب جامعة الخرطوم (مدرسة كتشنر الطبية سابقا)



ومباني (مستشفى الخرطوم الملكي) المسمى حالياً ب (مستشفى الخرطوم التعليمي)، ويقع بدوره كذلك في وسط مدينة الخرطوم الذي كشفت عمليات بناء جزء منه (مستشفى الشعب أو مستشفى الصدر) في منتصف أربعينات القرن العشرين مصادفة عن أهم مواقع فترة العصر الحجري الوسيط في السودان وعرفت حضارته باسم (حضارة الخرطوم الباكرا) التي بينت أهميتها سابقاً (صورة رقم ١٣).

صورة رقم ١٣: مستشفى الخرطوم التعليمي (مستشفى الخرطوم الملكي سابقاً)



بالإضافة إلى مباني رئاسة (هيئة سكك حديد السودان) التي أدخلها الجيش الإنجليزي مع تقدم قواته نحو مدينة أم درمان منذ نهايات القرن التاسع عشر وانتشرت مثل مبانيها تلك في معظم مدن السودان في أقاليمه المختلفة بعدما ربطتها تلك الخطوط الحديدية (صورة رقم ١٤).

صورة رقم ١٤: السكك الحديدية في السودان





ذلك بجانب مباني المصالح الحكومية والإدارية الأخرى التي أنشأتها الحكومة الانجليزية في مدينة الخرطوم بحري، والكباري التي ربطت بها مدن العاصمة المثلثة الثلاث مثل (كبري النيل الأزرق) الذي يربط حاليا بين مدينتي الخرطوم والخرطوم بحري (صورة رقم ١٥).

صورة رقم ١٥: كبري النيل الأزرق



و(كبري النيل الأبيض) الرابط حتى الآن بين مدينتي الخرطوم وأم درمان وأظهرت عمليات تشييده في الأربعينات موقع العصر الحجري القديم في (خور أبي عنجة) والذي سبقت قبلا الإشارة إلى أهميته (صورة رقم ١٦).

صورة رقم ١٦: كبري النيل الأبيض



إن كل هذه المباني التاريخية والتذكارية في مدينة الخرطوم العاصمة القومية للبلاد بمدنها الثلاث أو المواقع الأثرية المنتشرة في كل جزء من أرض السودان، يحميها (القانون السوداني لحماية الآثار وحفظها) منذ الأعوام ١٩٠٥م/١٩٥٢م/١٩٩٩م، بالإضافة إلى القوانين والأعراف والمواثيق والمعاهدات الدولية التي وقعها السودان منذ سبعينات القرن الماضي باعتباره عضواً في المنظومة الدولية وعضواً بهيئاتها ومنظماتها الثقافية وتجمعاتها العلمية الدولية.

#### المتاحف السودانية:

إن بالسودان الآن العديد جداً من المتاحف، وهي تتنوع بتنوع أنواع المتاحف المعروفة في العالم، وتختلف باختلاف رسالاتها المتحفية، وأبرزها بالطبع متاحف الآثار. والخطة العامة (للهيئة العامة للآثار والمتاحف) السودانية هي إنشاء متحف أثري في كل ولاية من ولايات السودان الثماني عشرة، وقد قطعت في ذلك شوطاً بعيداً.

غير أن أغراض هذا المقال تحتم التركيز على المتاحف السودانية الواقعة حالياً تحت التهديد المباشر للحرب وأضرارها المباشرة عليها، وهي تلك التي تقع في أكثر ولايات السودان سخونة في كل من الخرطوم والجزيرة ولايات غرب السودان في كل من كردفان ودارفور (الكبريين). ونوجز هنا أبرز تلك المتاحف على النحو الآتي:

#### أولاً: متاحف ولاية الخرطوم:

##### ١- متحف السودان القومي:

هو النواة الأولى لجميع المتاحف في السودان وأقدمها وأكبرها مساحة وأكثرها رسوخاً في وجدان السودانيين، فهو بمجاميعه المتحفية المتنوعة يبرز مجمل مراحل فترات مسيرة التراث الأثري السوداني الموعر في القدم منذ الفترات الأولى في تاريخ البشرية (صورة رقم ١٧).

#### صورة رقم ١٧: متحف السودان القومي تسلسل تاريخ السودان منذ أقدم الفترات



وكانت نواته الأولى باسم (متحف الخرطوم) في كلية غردون التذكارية عام ١٩٠٢م في مبناها الذي يشغله حالياً مكتب مدير جامعة الخرطوم، وافتتح في عام ١٩٧١م بعد مروره بعدة مراحل من تطوره التاريخي والفني في مقره الحالي على ضفاف النيل الأزرق قرب ملتقى مقرن النيلين. والمتحف مقفول حالياً أمام الجمهور بسبب عدم اكتمال أعمال الصيانة والترميم الجارية فيه لتأهيله وتجديده (الصورتان رقم ١٨-١٩).

صورة رقم ١٨: متحف السودان القومي



صورة رقم ١٩: أعمال الصيانة في متحف السودان القومي



## ٢- متحف السودان القومي للأثنوغرافيا :

يعرف حالياً بـ(متحف أثنوغرافيا السودان) وهو (متحف التراث الشعبي) لسكان السودان عمومهم. يقع على أهم شوارع مدينة الخرطوم (شارع الجامعة) في وسط الخرطوم، وليس بعيداً عن (شارع النيل) ومتحف السودان القومي، وافتتح في عام ١٩٥٦م. وانتهت

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )

مؤخرا جدا (قبيل اندلاع الحرب) أعمال صيانتته وإعادة تأهيله وفتح مجددا للجمهور.

### ٣- متحف السودان للتاريخ الطبيعي:

موقعه أيضا على شارع الجامعة (جامعة الخرطوم) ويتبع لها علميا وفي واحد من مبانيها، ويضم أندر أنواع مكونات الحياة البيئية السودانية والإفريقية، وافتتح أيضا في عام ١٩٥٦م.

### ٤- متحف القصر الجمهوري:

ويقع بدوره على شارع الجامعة في وسط الخرطوم عند تقاطعه مع (شارع القصر). ويشغل مبني سابقاً داخل القصر الجمهوري كان يتبع (الكنيسة الكاتدرائية) التي بنيت عام ١٩١٢م، وهو بذلك يكون واحدا مباني القصر الجمهوري. وتعرض مجاميعه المتحفية المقتنيات الرسمية للدولة في أ على مستوياتها في فترات التاريخ المختلفة، وافتتح المتحف في عام ١٩٩٧م (صورة رقم ٢٠).

صورة رقم ٢٠: متحف القصر الجمهوري



### ٥- المتحف الحربي:

افتتح في موقعه الحالي في عام ١٩٩٨م. ومكانه في مدينة الخرطوم بحري، ويقع على ضفة النيل الأزرق مباشرة تحت كبري النيل الأزرق الرابط بينها وبين مدينة الخرطوم. وهو يعرض التراث العسكري الحربي للسودان منذ حقبة التاريخ القديمة.

### ٦- متحف بيت الخليفة:

يقع في مدينة أم درمان في تجمع تاريخي لأبرز آثار الدولة المهدية، وكان البيت سكنا



لخليفة الإمام المهدي مؤسس الدولة وهو الخليفة (عبد الله بن محمد بن تورشين) الملقب ب (التعايشي) وأدار منه الدولة في أصعب أوقاتها (١٨٨٧م-١٨٩٩م). ويجاور البيت مسجده وميدان واسع كانت تقام فيه الاحتفالات الدينية والعسكرية للدولة تقع فيه، وبالقرب من البيت، (قبة المهدي) التي تضم ضريحه. واكتمل بناء البيت في عام ١٨٨٧م ليكون عمره هذا العام مائة وسبعة وثلاثين عاما. وتم تحويل البيت إلى متحف في عام ١٩٢٨م تعكس أبرز مجاميعه المتحفية الطابع العسكري للدولة وبعض أنواع أسلحتها الحربية، وبعض العربات ذات الطابع الحربي بالإضافة إلى مطبعة تطبع وثائق الدولة. ويعرض المتحف كذلك بعض مقتنيات من فترة الحكم التركي في السودان ١٨٢١م-١٨٨٥م)، بجانب العديد من المقتنيات الشخصية الخاصة بالخليفة عبد الله نفسه. وقيل اندلاع الحرب مباشرة كانت أعمال صيانته وترميمه وتجديده وإعادة تأهيله قد انتهت وأعيد افتتاحه مجددا (متحفا مجتمعيًا أنموذجا) -رائدا- في منظومة المتاحف (المجتمعية) في السودان.

ثانيا: متاحف غرب السودان:

١- متحف شيكان: يقع في مدينة الأبيض، عاصمة ولاية شمال كردفان، وافتتح في عام ١٩٦٥م.

٢- متحف قصر السلطان علي دينار:

يقع في مدينة الفاشر، عاصمة ولاية شمال دارفور، وافتتح في عام ١٩٧٧م.

٣- متحف دارفور:

يقع في مدينة نيالا، عاصمة ولاية جنوب دارفور، وافتتح في عام ٢٠٠٦م.

ثالثا: متحف الجزيرة:

يقع في مدينة ود مدني، عاصمة ولاية الجزيرة، وافتتح في عام ٢٠١٢م.

أثر الحرب على الآثار والتراث السوداني:

إن هذا الإرث الحضاري والثقافي الأثري والتاريخي والاجتماعي والسياسي الطويل من تاريخ السودان الذي حفظه السجل الأثري السوداني في المواقع الأثرية في كل شبر في السودان، سواء أكانت تلك المواقع في مناطق مأهولة بالسكان، أو حتى كانت في مناطق نائية، أو حفظته المتاحف السودانية في مجاميعها المتحفية، أو عرضته في صالاتها أو في معارضها داخل البلاد وخارجها، أو حفظته تلك المتاحف في مخازنها أو في أرشيفاتها التقليدية أو الرقمية، قد وصلته الحرب بمختلف آلتها العسكرية العنيفة وألحقت به الأذى بأشكال متفاوتة. خاصة ذلك الإرث الواقع في مدينة الخرطوم (العاصمة القومية)، وبصورة أخص ذلك (المنثور) بنظام دقيق مقصود وبغاية في منطقة وسط الخرطوم التي صيرتها حرب (الخامس عشر من أبريل ٢٠٢٣م) إلى محرقة واسع محيطها تقذف بحممها حتى وصلت الأطراف فأحرقت الإنسان السوداني وإرثه الثقافي وبعثرت، بل يري هذا المقال أن التهديد كان ملازما منذ بدايات الصراع -وربما قبله- وقبل الانفجار.

فمتحف السودان القومي، أكبر المتاحف السودانية (وشيخها)، قد استبج على سبيل

المثال أكثر من مرة منذ البدايات الأولى للحرب التي عبثت بكل محتوياته بما فيها معاملته العلمية، وسرقت حتى محتويات كنوز تراث السودان الأثري من مخازنه وسربتها إلى خارج البلاد، فعرضت للبيع بأثمان بخسة كانت حتى الدراهم فيها من الزاهدين.

أما متحف القصر الجمهوري المجاور لـ(شيخه القومي)، فألسنة اللهب وسحائب الدخان كانت هي اللافت إلى حاله ودوي المقذوفات عليه، فقد هدمت مباني القلب منه القديمة، وشوهت تلك الحديثة، ودمرت وأحرقت كنوزه.

و(في الجانب الغربي)، في (بيت الخليفة)، كانت (الحمى خفيفة) كما تفضلت إحدى الفضليات من منسوبي حقل الآثار في السودان- وأفادت بأن أحد زملائها القدامى، وبمبادرة شخصية منه، قد أفلح بمعاونة بعض المدافعين الرسميين في (إجلاء) بعض (الأهم) من مقتنيات متحف بيت الخليفة إلى مكان (في ظنهم) آمن ولكن (العبث) قد دخل إليه لاحقاً فبعثر المقتنيات ونهب ما تخيره منها.

وغير بعيد من بيت الخليفة، وفي أم درمان نفسها، وفي (دار الإذاعة السودانية) بلغت الوحشية منتهاها بانتهاك إنسانية منسوبيها وخنق (رئة الأمة السودانية)، ومتنفس فؤادها، ومشكلة (وجدان شعبها)، وهي (الأثيرة) عنده، و(موتقة مجده) منذ (الحرب العالمية الثانية).

وعوداً إلى منطقة وسط الخرطوم، وعلى شارع (السيد عبد الرحمن)، الوجه التاريخي المعروف وحفيد الإمام المهدي، تعرضت ذاكرة أخرى لـ (الأمة السودانية) للمحو والإبادة-المقصودين في رأي المقال-، وهي (دار الوثائق القومية) وما أدراك ما هي.

إن الملاحظ لحجم هذا التدمير وكميته ونوعه يتبدى له بوضوح مدي استهداف السودان أرضاً وشعباً وإراثاً. يتجلى ذلك بوضوح أيضاً، وعلى سبيل المثال- في الاستهداف (المغناط) المتشابه (بين القصرين) رمزي (الدولة السودانية) في متحف (بيت الخليفة) و (القصر الجمهوري).

أما متاحف الولايات فلم تسلم بدورها مما لحق بنظيراتها في الخرطوم. خاصة تلك التي (نقلت) إليها الحرب وألتهها وراء متاحفها، الوليد بعضها، وبعضها العتيق، في ولاية الجزيرة وولايات غرب السودان في كردفان ودارفور لتعيد ذات القصة من ذات الكتاب القاسية قرائته. وقد لا تسلم منه حتى المتاحف النظيرة والمواقع في بقية ولايات السودان التي (يظن) أنها الآن آمنة، ف(موقع تراث عالمي) مثل (جزيرة مروي) في (ولاية نهر النيل) القريبة من الخرطوم، ومجاورة لها في شمالها، تعرض واحد من أشهر وحداته النادرة في (موقع النقعة)، المدينة الأثرية النادرة، في منطقة البطانة الغربية المعروفة محلياً بـ(الكربة)، لزائرين لا مرحبا بهم، تنذر زيارتهم بشر مستطير قد يفرغ بها فؤاد الإرث السوداني وحماته إذا أعيدت كرتها.

ومن المهددات غير المباشرة الناتجة عن هذه الحرب، خاصة تلك التي تهدد



المواقع الأثرية، و بالأخص في ولايات السودان جميعها، و على وجه التحديد في الولايات (الأمنة)، الأعداد الهائلة والمتزايدة من السكان المحليين بسبب زيادة أعداد النازحين الفارين من الحرب وويلاتها فاتخذوا في بعض الحالات من تلك المواقع ملاذات استيطان، وإن بدا (مؤقتا)، إلا أن تأثيره واضح على حالة حفظها حتى ولو على المدى البعيد، بل يظهر هذا التأثير ذاته جليا خاصة في بعض المواقع التذكارية الرئيسية بسبب تحول هؤلاء النازحين إلي أعداد إضافية من زوار تلك المواقع وتحولهم إلي (سائحين داخليين جدد) يضافون إلي مهددات ظلت تنهك من قبل هذه المواقع.

وإن الأمر المؤسف حقا أن المعلومات الواردة حول هذه التشوهات التي أصابت -ولا تزال- هذا الإرث السوداني العظيم، والتي حاول هذا المقال تبيانها فيما سبق، ظلت تتواتر بصورة أساسية، في معظمها، في وسائل (الإعلام الإقليمي) الواسع (الصور رقم ٢١-٢٤) وتؤكد لها في -بعض الحالات- بعض وسائل الإعلام الرسمية الداخلية أو الإقليمية أو العالمية استنادا على بعض كبار المسؤولين الرسميين عن حفظ هذا الموروث السوداني النادر. بل ويتفقون كلهم بلا استثناء-وفي أسوأ- على عدم دقة هذه المعلومات خاصة المتعلقة منها بأعداد تلك الكنوز التراثية وأنواعها بالتفصيل. ذلك لاستحالة تمكن أي من هؤلاء المسؤولين أو منسوبيهم من الوصول إلي مقار أعمالهم منذ انفجار هذا الوضع في ساعاته الأولى وحتى هذه اللحظة. خاصة وأن بداية هذا الانفجار الهائل كانت في الساعات الأولى من اليوم الأخير من يومي العطلة الأسبوعية الرسمية في البلاد.

صورة رقم ٢١: معمل علم الآثار الحيوي في متحف السودان القومي



صورة رقم ٢٢: بعض أضرار متحف بيت الخليفة



صورة رقم ٢٣: بعض أضرار القصر الجمهوري



صورة رقم ٢٤: مكتبة مركز البروفيسور محمد عمر بشير للدراسات السودانية جامعة ام درمان الأهلية.



ومما قد يدعو إلى التفاؤل بتوقع عودة هذه الآثار إلى حواضنها الطبيعية تلك الجهود الجادة المبذولة بصورة عاجلة منذ بداية الحرب على المستويات الرسمية والقانونية والعلمية داخليا وخارجيا، وكانت قد أفلحت حتى في ظل هذا الوضع في الحد من هذه الانتهاكات، خاصة بعد وصول هذه الجهود للإعلام فسلط عليها الضوء بنقلها للرأي العام الداخلي والمجتمع الإقليمي والعالمي.

كما أن من بين وحدات الهيئة العامة للآثار والمتاحف وإداراتها (إدارة متابعة استرداد الآثار المسروقة)، وهي من الإدارات الحديثة فيها وأنشئت قبل الحرب لمتابعة استرداد آثار السودان المسروقة منذ فترات سابقة، وتحمل الآن هم هذا الملف، ومن المتوقع لها جدا أن تحقق فيه نتائج مأمولة.

أما تلك المباني التي دمرت الحرب بعضها جزئياً، فالمأمول لها أن ترمم وتُصان وتجدد بجهود علمية ومعونة الأصدقاء والنظراء العالميين المهتمين اهتمامات مباشرة بهذا الإرث السوداني والمحافظة عليه وإعادة تأهيله كما ظلت تفعل حتى في فترات ما قبل الحرب.

وما ذهب من هذا الإرث (معنى ومبنى)، أو ما قد تذهب هذه الحرب إلى الأبد، فلا مشاحة من الأسى عليه والتأسف. ويبقى الأمل في العثور على توثيقاته في الإرشيف السوداني والعالمي فيمكن بالتالي إعادة (تركيب صورته) من جديد، سيرة قديمة متجددة.

وقد تعهد أكبر تجمع للآثاريين العالميين في مؤتمرهم الأخير للدراسات (المروية) السودانية الذي انعقد في ألمانيا في سبتمبر الماضي بالوقوف مع السودان (قلوبا وعقولا) بتنفيذ ذلك، خاصة وقد أمضى بعضهم عمره كله وبعضهم جله في العمل على السودان (ملحق رقم ١).



## الخاتمة:

إن معالجة هذا القطاع الحيوي بعد الحرب تتطلب توحيد الجهود العلمية والإدارية والرسمية في أعلى مستويات الدولة وأدناها، وكذلك الجهود الشعبية والإعلامية، وهم (الشركاء)، وتنسيقها وتمتينها لاسترداد هذا التراث السوداني الأثري المفقود، وحفظه وصيانة ما دمر منه وترميمه بعد أن أوضحت هذه الحرب جلياً أنه من أهم قضايا الأمن القومي السوداني.

يختتم هذا المقال سرده لهذا الواقع المرير المؤسف -المؤقت- بتأكيد إيمانه المطلق بالله تعالى الحافظ المهيم القدير الجبار المتكبر. ومن بعده بتأكيد ثقته المطلقة في إنسان السودان (قديمه والآن)، وفي انقشاع هذه الغمة، فتنهض من جديد هذه الأمة، ويعود تراث السودان الأثري دافئاً إلي أحضان (أمة الأمجاد والماضي العريق).

ملحق رقم (١): ترجمة إعلان المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات المروية



## حول انتهاكات تراث السودان الأثري

انعقد بدعوة كريمة من معهد الآثار المصرية والقبطية بجامعة مونستر في ألمانيا، المؤتمر الدولي الثالث عشر للدراسات المروية في مدينة مونستر في الفترة من ٩ إلى ١٣ سبتمبر ٢٠٢٤م بهدف جمع علماء الآثار وعلماء اللغة وعلماء الأنثروبولوجيا والمؤرخين وغيرهم من العلماء العاملين في مجال آثار السودان القديم المتخصصين في الدراسات المروية السودانية من أجل تعزيز أواصر التعاون المشترك وتبادل الخبرات والمعارف، شارك في المؤتمر العديد من العلماء والمتخصصين في دراسات السودان القديم من مختلف أنحاء العالم وقدموا أوراق عمل أشاد بها المشاركون حضورياً وإسفيرياً. وانطلاقاً من الرغبة المشتركة في تطوير العلاقات بين المؤسسات المتخصصة في آثار السودان، أكد المشاركون في المؤتمر على مواصلة التعريف بالحضارة المروية للعالم.

أعرب المشاركون في المؤتمر الدولي الثالث عشر للدراسات المروية عن قلقهم العميق إزاء الحرب المستمرة في السودان. تدمير هذه الحرب حياة الشعب السوداني وممتلكاته وبيئته، وتشكل تهديداً وجودياً للتراث الثقافي للسودان. نحن كمجتمع علمي لا يمكننا أن نبقي صامتين في مواجهة الفظائع المستمرة، وندعو إلى وقف فوري لإطلاق النار. نشعر بقلق بالغ

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث (اساد)

إزاء التقارير الإخبارية الأخيرة عن نهب القطع الأثرية الثقافية من المتاحف والمحفوظات السودانية وكذلك المواقع الأثرية التي تضم بعض أهم المجموعات في أفريقيا، بل والعالم، والتي تغطي جميع فترات التاريخ البشري.

باعتبارنا متخصصين في علم الآثار السودانية وأصدقاء للبلاد، نحن على استعداد للوقوف بجانب السودان في استعادة تراثه الثقافي بكل ما في وسعنا، فقلوبنا وعقولنا مع شعب السودان. وكلنا أمل في نهاية فورية للصراع المسلح ومستقبل سلمي.

**المراجع:**

**أولا بالغة العربية:**

- الشيخ، أحمد المعتصم، مملكة الأبواب المسيحية وزمن العنج، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 2002م.

- ثانيا بالغة الإنجليزية:

- Adam، W.Y. Nubia: Corridor to Africa، Princeton، 1977.
- Arkell، A.J. Early Khartoum، London، 1949.
- Arkell، A.J. Shaheinab، Oxford، 1953.
- Caneva، I، El Geili. The History of a Middle Nile Environment 7000BC– AD1500. Cambridge Monographs in African Archaeology 29. B.A.R. International Series 424، Oxford، 1988.
- Edwards، D.N. Archaeology and Settlement in Upper Nubia in the 1st Millennium A.D، Cambridge in African Archaeology 36. B.A.R. International Series 537، Oxford، 1989.
- Krzyzaniak، L. Kadero، (fourth– sixth seasons 1975–1976)، E.T. 11: 245–52، 1979.
- Reisner، G.A. The Archaeological Survey of Nubia. I. 1907–1908، Cairo، 1910.

# الكوارث الرئيسية في منطقة شرق افريقيا (منطقة الايقاد)

عبد الوهاب احمد محمد احمد  
مستشار

AhmedAbdul Wahab Ahmed M.  
Freelancer Consultant

## المستوى الأول: (الأكثر خطورة)

1. الجفاف
2. الصراع (الداخلي والخارجي)
3. الأوبئة (خاصة فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز)
4. الفيضانات

## المستوى الثاني: (أقل أهمية)

1. المخاطر البيئية
  2. الإصابة بالآفات
  3. الحرائق
- ## المستوى الثالث - نادر ولكنه يحتمل أن يشكل خطراً جسيماً أو يشكل مخاطر على شرائح أصغر من المجتمعات الوطنية
1. الزلازل والبراكين
  2. أمراض الثروة الحيوانية وآفات المحاصيل
  3. حوادث النقل والحوادث الصناعية
  4. تسونامي

توسعت الهيئة الحكومية للتنمية (IGAD) عام 1996م لتشمل معالجة تحديات التنمية في منطقة شرق إفريقيا. إلى جانب ذلك واصلت الهيئة جمع البيانات والمعلومات حول المخاطر والكوارث المختلفة من خلال البرامج والمشاريع المتخصصة. وقد مكنت هذه المعرفة والمعلومات المتسلسلة من تنسيق الجهود اقليمياً و قترياً لمخاطر والكوارث المحتملة في المنطقة.

تتعرض الدول الأعضاء في الهيئة (IGAD) لمخاطر ناجمة عن مجموعة متنوعة من الاخطار التي يمكن أن تسبب الكوارث. قامت الهيئة (IGAD) بتوحيد تلك المخاطر بالتشاور مع ممثلي الخبراء من كل دولة عضو لتحديد القواسم المشتركة بينها، حيث تم تصنيفها إلى ثلاثة مستويات تعكس أهميتها الحالية في المخاطر التي تشكلها. الأهمية النسبية للمخاطر حسب الخطر



## Summary

The Intergovernmental Authority on Development (IGAD) expanded in 1996 to address development challenges in the region. In addition, the Authority continued to collect data and information about various risks and disasters through specialized programs and projects. This knowledge and sequential information has enabled the coordination of efforts regionally and at the country level regarding potential risks and disasters in the region. IGAD Member States are exposed to risks arising from a variety of hazards that can cause disasters.

IGAD standardized these risks in consultation with expert representatives from each member state to identify commonalities between them, and then classified them into three levels that reflect

their current importance in the risks they pose.

Relative importance of risks by risk

### **Level 1: (most dangerous)**

1. Drought
2. Conflict (internal and external)
3. Epidemics (especially HIV/AIDS)
4. Floods

### **Second level: (less important)**

1. Environmental risks
2. Pest infestation
3. Fires

### **Level 3 – rare but likely to pose a serious risk or pose risks to smaller segments of national communities**

1. Earthquakes: Earthquakes and volcanoes
2. Livestock diseases and crop pests
3. Transportation accidents and industrial accidents
4. Tsunami

## مقدمة:



تقع منطقة شرق إفريقيا (منطقة الهيئة الحكومية للتنمية (إيقاد)) على مساحة حوالي ٥,٢ مليون كيلومتر مربع وتتميز بساحل يبلغ طوله حوالي سبعة ألف كيلومتر على المحيط الهندي، خليج عدن والبحر الأحمر. يبلغ عدد سكانها أكثر من ١٨٠ مليون نسمة وتضم ثماني دول هي جيبوتي، إريتريا، إثيوبيا، كينيا، الصومال، السودان، جنوب السودان وأوغندا. تتمتع المنطقة بتنوع كبير في المناخات والموارد الطبيعية الغنية والمتنوعة بما في ذلك الأنهار الجبلية والغابات الاستوائية والأراضي الرطبة والمرتفعات بالإضافة إلى المناطق القاحلة وشبه القاحلة إلى جانب التنوع الحيواني المميز.

المنطقة معرضة لأخطار متكررة مثل الجفاف والفيضانات مما يجعلها واحدة من أكثر المناطق عرضة في القارة الأفريقية لتقلبات المناخ وتغيراته.

### الهيئة الحكومية للتنمية (إيقاد) IGAD

هي الهيئة الحكومية المعنية بالتنمية لدول شرق إفريقيا. تم إنشاء الهيئة عبر الاتحاد الأفريقي (AU) في عام ١٩٩٦ لتحل محل الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالجفاف والتنمية (IGADD) التي تأسست في عام ١٩٨٦، من أجل تنسيق ومواءمة السياسات في مجالات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والزراعية وحماية البيئة والشؤون السياسية والإنسانية لتلك الدول. يتمحور دور المنظمة حول ثلاثة محاور رئيسية هي:

الأمن الغذائي وحماية البيئة، الحفاظ على الأمن والسلام والتعاون والتكامل الاقتصادي. لهذا فإن المنظمة تسعى بالتعاون مع الدول الأعضاء إلى تحقيق عدد من الأهداف تتمثل في:

تعزيز استراتيجيات التنمية المشتركة وتنسيق عدد من السياسات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية والعلمية، تعزيز القدرة على جذب الاستثمار الأجنبي، التنسيق بين السياسات المتعلقة بالتجارة والجمارك، والنقل، والاتصالات، والزراعة، والموارد الطبيعية وتطوير وتحسين البنية التحتية في مجالات الاتصالات والنقل والطاقة في المنطقة.

إن تحديد أولويات البرامج والمشاريع في مجالات التعاون المختلفة من أجل تخفيف آثار الأزمات الإنسانية ومخاطر الكوارث بأنواعها هي جزء لا يتجزأ من استراتيجية الهيئة التي جانب التنمية الشاملة المستدامة لدول المنطقة.

تتمثل أهمية دراسة الكوارث بمنطقة الإيقاد (IGAD)، والتي تتعرض للكوارث الطبيعية، وذلك من أجل التخطيط والاستعداد السليم من أجل فهم المخاطر المحتملة بالمنطقة، وهذا يساعد في وضع خطط الاستجابة الفعالة وتقليل الأضرار لكل دول المنطقة، كما يمكن الهيئة والدول المكونة لها من تبادل المعلومات واستخدامها لتطوير نظم إدارة مخاطر الكوارث على المستويين الإقليمي والقطري مما يؤدي إلى تخفيف آثار الكوارث. التعرف على أنواع الكوارث ومخاطرها مما يمكن الهيئة من اتخاذ التدابير الوقائية لحماية السكان والممتلكات بالمنطقة والبلدان، يجعلها قادرة على التعافي بشكل أسرع مما يقلل من الآثار الاقتصادية والاجتماعية للكوارث. التعرف على ودراسة المناطق المتعرضة للكوارث بالمنطقة يمكن أن تعزز التعاون بين الدول والمنظمات الدولية من أجل تبادل الخبرات والموارد، مما يزيد من فعالية الجهود المبذولة لمواجهة الكوارث.

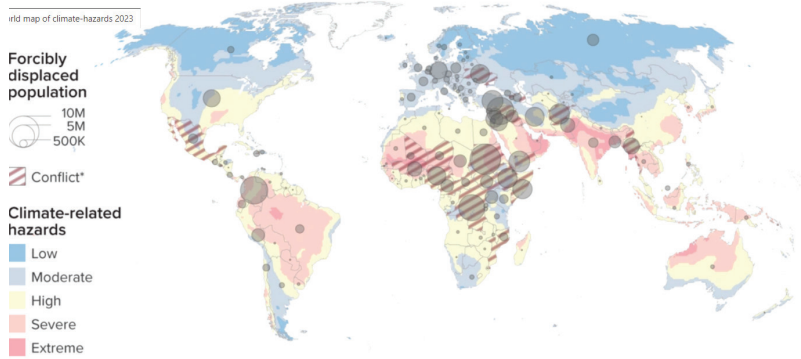
## الاهداف الرئيسية:

١. التعرف على الكوارث الرئيسية ومخاطرها بالمنطقة من أجل إيجاد واستحداث الآليات والطرق الفاعلة وتطوير البرامج الكفيلة بتخفيف آثار مخاطر الكوارث لدول المنطقة
٢. التنسيق بين الدول الاعضاء في مجالات التنمية و إدارة مخاطر الكوارث
٣. تبادل المعلومات والبيانات والخبرات من أجل وضع وتطوير البرامج والخطط التي تعمل على درء وتخفيف آثار مخاطر الكوارث لدول المنطقة.

## الكوارث الرئيسية عالميا:

تشهد الكوارث الطبيعية توزيعًا غير متساوٍ حول العالم، حيث تتأثر بعض المناطق بشكل أكبر من غيرها. وفقًا لتقرير المنظمة العالمية للأرصاد الجوية (WMO)، فإن الكوارث المرتبطة بالطقس والمناخ والمياه قد زادت بشكل كبير على مدى الخمسين عامًا الماضية، مما تسبب في أضرار كبيرة ولكن مع انخفاض في الآثار السالبة لتلك المخاطر وعدد الوفيات، يعزي ذلك للتحسن في عمليات الاستعداد وتطوير نظم الإنذارات المبكر والإدارة الفاعلة لمخاطر الكوارث لكثير من دول العالم . عالميًا تعتبر المناطق الأكثر عرضة للكوارث هي: آسيا: تتعرض للعديد من الكوارث مثل الزلازل، والأعاصير، والفيضانات. على سبيل المثال، اليابان والفلبين معرضتان بشكل خاص للأعاصير والزلازل. إفريقيا: تعاني من الجفاف والفيضانات، خاصة في مناطق القرن الأفريقي. أمريكا الشمالية: الأعاصير والعواصف الثلجية في الولايات المتحدة. أمريكا الجنوبية: تتعرض للفيضانات والانهيارات الأرضية، خاصة في البرازيل وبيرو. أوروبا: تشهد فيضانات وعواصف شديدة، خاصة في دول مثل ألمانيا وفرنسا.





تتعرض البلدان الأعضاء في منطقة الهيئة الحكومية للتنمية (إيقاد) لخطر مجموعة واسعة من المخاطر الطبيعية والتكنولوجية والبيئية التي يمكن أن تؤدي إلى الكوارث. وقد اتبعت البلدان الأعضاء، بقدراتها المحدودة، استراتيجيات منفصلة للاستجابة لهذه الكوارث. وقد أظهرت التجارب أن الاستراتيجيات وآليات الاستجابة السابقة لتخفيف آثار مخاطر الكوارث لم تكن كافية على الإطلاق. في هذا السياق، هناك حاجة ماسة إلى سياسة شاملة بشأن إدارة مخاطر الكوارث تكون استباقية وتنسق السياسات والأنشطة وتفتح مبادرات للتعاون الإقليمي والعالمي.

يعكس قطاع إدارة مخاطر الكوارث الوضع الاقتصادي لمعظم دول الهيئة. ما لم تحدث كارثة، فإن إدارة مخاطر الكوارث لا تحظى باهتمام من قبل كل من الحكومات والجهات المانحة. تتم الاستجابة العاجلة للكوارث بتلقي الموارد والاغاثات خلال فترات الطوارئ، لكن تطوير الآليات والبرامج طويلة المدى لرفع قدرات الدول من أجل إدارة مخاطر الكوارث وتدابير الوقاية والتخفيف والتأهب لا يتم تناوله بشكل متسارع من قبل الدول الأعضاء.

معظم الكوارث في المنطقة مرتبطة بالمناخ، عليه فقد أنشأت الهيئة الحكومية للتنمية (إيقاد) مركزاً متخصصاً يعرف باسم مركز إيقاد للتنبؤات والتطبيقات المناخية (ICPAC) لمساعدة دول إيقاد على التعامل بفعالية مع تحديات تقلبات المناخ مثل الجفاف والفيضانات وكذلك زيادة القدرة على التكيف مع التغيرات المناخية

معظم الكوارث في المنطقة مرتبطة بالمناخ، عليه فقد أنشأت الهيئة الحكومية للتنمية (إيقاد) مركزاً متخصصاً يعرف باسم مركز إيقاد للتنبؤات والتطبيقات المناخية (ICPAC) لمساعدة دول إيقاد على التعامل بفعالية مع تحديات تقلبات المناخ مثل الجفاف والفيضانات وكذلك زيادة القدرة على التكيف مع التغيرات المناخية

<https://wmo.int/topics/climate-change>

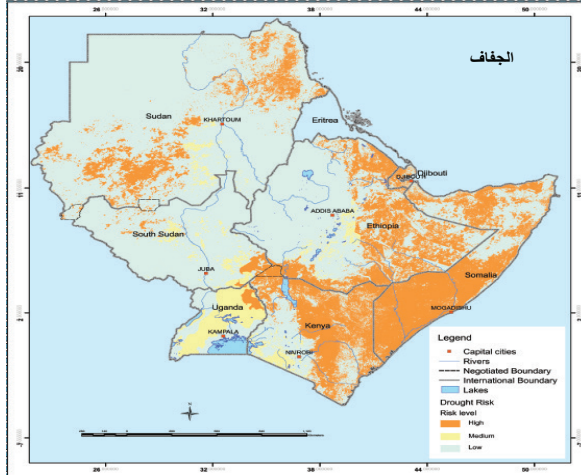
Climate-related hazards, 66 countries with more than one conflict-related death per 100,000 (2022) and the number of forcibly displaced people per country/© UNHCR Global Trends Report (2023)

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث (اساد)

## الكوارث الرئيسية بمنطقة الايقاد:

### الجفاف:

الجفاف هو فترة جفاف طويلة في دورة المناخ الطبيعية ويمكن أن تحدث في أي مكان في العالم. إنها كارثة بطيئة الظهور وتتميز بنقص هطول الأمطار، مما يؤدي إلى نقص المياه. يمكن أن يكون للجفاف تأثير خطير على الصحة والزراعة والاقتصاد والطاقة والبيئة. .



يعتبر الجفاف هو المهدد الرئيسي للمنطقة، حيث ان كل دول المنطقة معرضة لخطر الجفاف، وإن أكثر من ٧٠٪ من الأراضي تعتبر معرضة للجفاف. يمكن تصنيف معظم الأراضي على أنها قاحلة وشبه قاحلة مع التغيرات والتقلبات المناخية التي تعاني منها المنطقة، إلى جانب أن أكثر من ٤٠ في المائة من السكان يعيش في مناطق شبه قاحلة إلى شديدة الجفاف. إن وجود مساحات كبيرة من الأراضي القاحلة

وشبه القاحلة مع ضعف نظم الزراعة وإدارة الماشية، والضغط السكانية والموارد المائية المحدودة في العديد من البلدان تعرضها للجفاف المتكرر، أيضا الاعتماد الواسع النطاق على الزراعة التقليدية والرعي الجائر وإزالة الغابات، كلها عوامل تساهم في التصحر والتدهور البيئي و بالتالي تصبح عرضة لكارثة الجفاف.

تعرض المنطقة إلى كارثة الجفاف يؤدي إلى ان السكان والماشية معرضون للخطر في فترات الجفاف إلى جانب فشل المواسم الزراعية وعند اقتران الجفاف بآثار الصراعات يؤدي ذلك في كثير من الاحيان إلى حدوث حالات طوارئ معقدة في المنطقة.

تعتبر التغيرات المناخية هي السبب الرئيسي لتكرار حالات الجفاف في بعض أجزاء المنطقة.

الفيضانات هي واحدة من المخاطر الأكثر شيوعا. وتحدث عندما تتعرض الأرض التي تكون جافة عادة لفيضان من الماء. تتسبب العديد من الأحداث في حدوث فيضانات، بما في ذلك الأعاصير والعواصف الاستوائية والسدود أو السدود الفاشلة والفيضانات المفاجئة التي تحدث في غضون دقائق أو ساعات قليلة من هطول الأمطار الغزيرة.

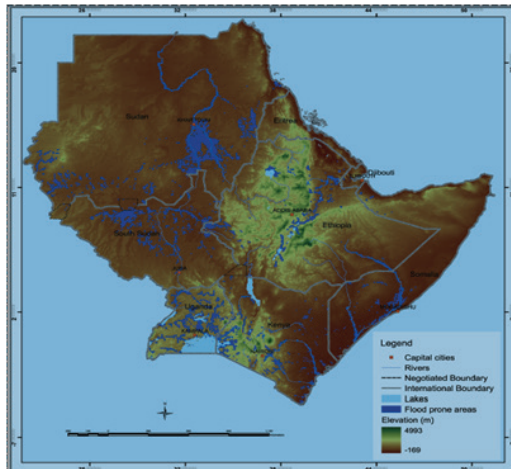


## الفيضانات:

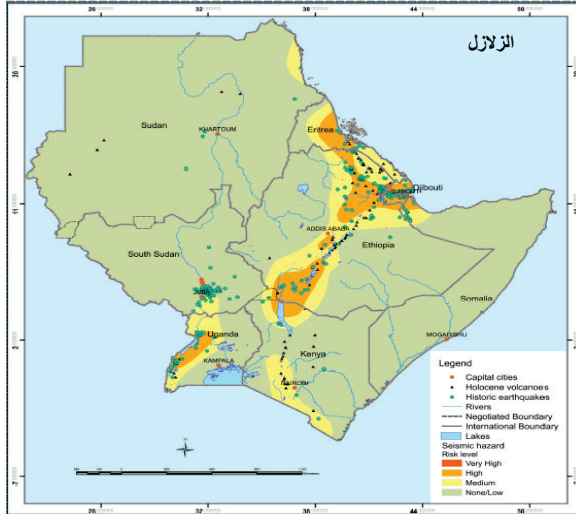
تحدث الفيضانات في المنطقة بسبب الأمطار الغزيرة والسيول المفاجئة وفيضان الأنهار وروافدها إلى جانب الأنهار الموسمية والودية الموسمية والخيران. تشكل الفيضانات تهديدات كبيرة للمنطقة وهي مدمرة نتيجة لزيادة المستوطنات والسكن العشوائي والمقنن على السهول الفيضية والأراضي الهامشية، إلى جانب إزالة الغابات ضعف آليات المراقبة وغياب الاستعداد لتلك الفيضانات. حالات طوارئ الفيضانات الأخيرة في جيبوتي وإثيوبيا، الصومال والسودان. وبحسب الإحصائيات فإن ٩٥٪ من مخاطر الكوارث الطبيعية في المنطقة ناتجة عن الجفاف والفيضانات. وهي مسؤولة عن ٧٠٪ إلى ٧٥٪ من الخسائر والاقتصادية والاجتماعية. كثيراً ما تتبع العديد من حالات الجفاف فيضانات أو العكس بسبب الروابط الوثيقة بين المناخ المتطرف في المنطقة وظاهرة النينو وغيرها من النظم المناخية المتكررة. استمر تكرار الضغوط المناخية والضغوط السكانية في الحد من استخدام وفعالية آليات التكيف التقليدية.

## التدهور البيئي:

هو عملية تدهور البيئة الطبيعية بسبب الأنشطة البشرية والصراعات في منطقة الإيقاد، يشمل التدهور البيئي التصحر، إزالة الغابات، تدهور النظام البيئي عبر انقراض العديد من الأنواع الحية والتلوث البيئي مما يؤثر على صحة الإنسان، الحيوان والنباتات، والتي تعتبر جميعها تتفاقم في المنطقة، مما يجعل السكان أكثر عرضة لمخاطر الكوارث.



يؤثر التدهور البيئي الناجم عن الصراعات والنزاعات في منطقة الإيقاد تأثيراً على الصحة العامة للسكان. وقد تتخذ هذه التأثيرات أشكالاً مختلفة، بداية من التلوث المباشر الناجم عن الذخائر الحربية، مروراً بالهجمات التي تستهدف البنية التحتية الأساسية التي تؤدي إلى تعطيل الخدمات. القصف وإحراق آبار النفط يؤدي إلى تلوث الهواء كما يؤدي إلى تلوث المسطحات المائية والتربة والهواء، وإلحاق الضرر بالمصادر الطبيعية والتنوع البيولوجي مما يجعل المناطق غير مناسبة بيئياً للعيش فيها.



تؤدي الصراعات أيضاً إلى إحداث دمار بيئي كبير للأراضي الزراعية، مما يؤثر على حياة الإنسان، وصحته وتوفر غذائه، كما ثبت أن استخدام المدافع الرشاشة الحديثة والمدفعية الثقيلة والأسلحة الكيميائية والقصف الجوي والبحري، والألغام الأرضية، وغيرها أثناء القتال له تأثيرات كبيرة على البيئة. التوقف عن جمع القمامة والنفايات والجثث الناتجة من الصراعات تؤدي إلى مخاطر على الصحة العامة وبذا إلى التدهور البيئي للسكان.

يعدّ النازحون أكثر الفئات عرضةً لهذه المخاطر البيئية، كما انهم غالباً ما يرتحلون إلى المناطق النائية التي تعاني من مستويات شديدة من التلوث والتي لا تتوفر فيها وسائل كافية لحمايتهم.

## الزلازل والبراكين:

الزلازل والبراكين هما من أخطر الكوارث الطبيعية التي يمكن أن تحدث في أي منطقة، بما في ذلك منطقة الأيقاد، الزلازل تحدث نتيجة تحركات مفاجئة في القشرة الأرضية، مما يؤدي إلى اهتزازات قوية يمكن أن تسبب دماراً كبيراً. أما البراكين، فهي تحدث عندما تندفع المواد المنصهرة من باطن الأرض إلى السطح، مما يمكن أن يؤدي إلى تدفقات حمم بركانية وانفجارات قوية.

يمر الوادي الأفريقي المتصدع العظيم عبر المنطقة، مما يدل على أن النشاط التكتوني تنتج عنه زلازل في الوادي المتصدع المرتفعات المجاورة له، عليه فإن حدوث الزلازل بالمنطقة متوقع، كما أن آثاره قد تكون مدمرة نتيجة عدم الاستعداد وعدم مراعاة المخاطر الزلزالية ووضعها في خطط استخدامات الأراضي ومعايير البناء.

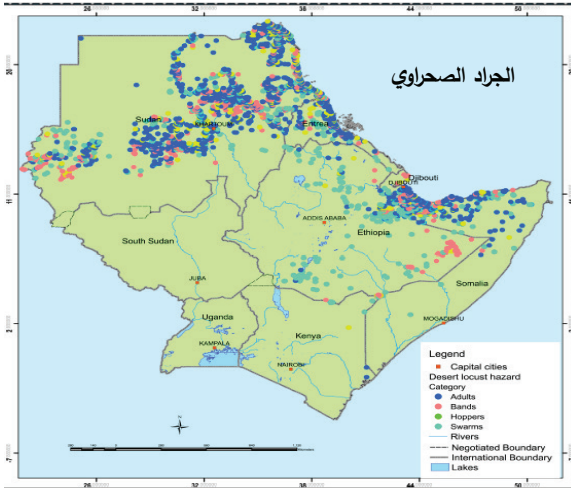
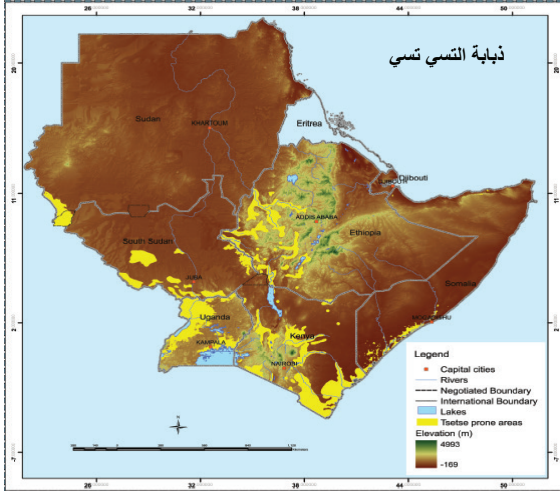
## الإصابة بالآفات:

تشكل الإصابة بالآفات الزراعية تهديداً كبيراً للمنطقة. تعاني معظم البلدان انتشار أعداد كبيرة من الآفات الزراعية، بما في ذلك الأعشاب الضارة والمحاصيل وأمراض النباتات. بالرغم من التحسن الكبير في الاستعداد والتنبؤ بتقني الجراد الصحراوي عبر برنامج منظمة الزراعة والأغذية للأمم المتحدة (FAO)، إلا أن هنالك صعوبات في عملية مكافحة والسيطرة عليه، وذلك ناتج من ضعف الخدمات الرقابية إلى جانب انعدام الأمن في مناطق التكاثر المتضررة نتيجة الصراعات في تلك المناطق. آفات مهاجرة أخرى

مثل ديدان الحشد والعديد من الآفات الاستوائية الأخرى وطيور الكويلياكوليا تشكل أيضاً تهديدات مؤثرة على المنطقة مما يهدد سبل العيش والامن الغذائي.

## الأوبئة وتفشي الأمراض:

إن خطر انتشار الأوبئة على نطاق واسع في المنطقة مرتفع بسبب وجود العديد من الأمراض المستوطنة، والفقر، وضعف الوصول إلى الخدمات الصحية الحديثة وضعف أنظمة المراقبة الوبائية. لقد تزايدت مخاطر الكوارث بشكل كبير بسبب انتشار جائحة فيروس نقص المناعة الإيدز (AIDS). لتفشي الأمراض آثار كبيرة على سكان المنطقة ومن بين الأوبئة ذبابة التسي تسي وهي حشرة معروفة بنقل مرض النوم الأفريقي (التريبانوسوما) الذي يؤثر على البشر والحيوانات، تنتشر هذه الذبابة بشكل رئيسي في المناطق الريفية في المنطقة، مما يؤدي إلى أعراض مثل الحمى، الصداع، وآلام المفاصل، وقد تؤدي إلى اضطرابات عصبية خطيرة. ربما تشكل الملاريا التهديد الأكبر في معظم البلدان وهي الأكثر انتشاراً ولها آثار اجتماعية واقتصادية خطيرة. المنطقة تشتمل على أمراض مؤثرة أخرى كالتهاب السحائي، الحمى الصفراء،



الكوليرا، وفيروس نقص المناعة الإيدز. تشكل أمراض الثروة الحيوانية تهديداً للثروة الحيوانية في المنطقة. يعتبر الطاعون البقري هو المهدد الرئيس وكذلك الالتهاب الرئوي للابقار. أمراض الماشية مثل حمى الوادي المتصدع؛ تشكل أيضاً تهديدات رئيسية للأمن الغذائي وسبل العيش في المنطقة.

## المخاطر التكنولوجية:

بسبب وتيرة التصنيع السريعة في المنطقة، فإن الحوادث الصناعية وتسرب النفط أصبحت من المخاطر المحتملة والمتوقع حدوثها في المنطقة. العديد من دول المنطقة لديها احتياطات نفطية وهي في طور التنقيب من أجل استغلال النفط مما قد يؤدي ان تكون حقول النفط ومنشآت التكرير من المخاطر المحتملة إذا لم توضع الاستراتيجيات والخطط لإدارة مخاطر الكوارث الكفيلة لذلك نسبة لتزايد الاعتماد على التكنولوجيا الرقمية، فقد بدأت تزداد مخاطر الهجمات السيبرانية التي يمكن أن تؤثر على البنية التحتية الحيوية والخدمات المالية، أيضا استخدام التكنولوجيات الرقمية في إدارة الحدود والخدمات الحكومية يمكن أن يعرض البيانات الشخصية للمواطنين للخطر إذا لم تكن هناك إجراءات حماية كافية، إلى جانب عدم الوصول المتساوي للتكنولوجيا لدول المنطقة يمكن أن يزيد من الفجوة بين المناطق الحضرية والريفية، مما يؤثر على التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

## التكنولوجيا الناشئة:

تبني التقنيات الجديدة مثل الذكاء الاصطناعي والحوسبة السحابية يتطلب استثمارات كبيرة في البنية التحتية والتدريب، مما قد يكون تحدياً لدول المنطقة والتي تتميز بالموارد المحدودة.

## تغيرات المناخ:

أظهرت التقييمات الأخيرة الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (IPCC) أن تغير أصبح المناخ حقيقة وأن منطقة الإيقاد هي واحدة من أكثر المواقع عرضة للخطر في العالم بسبب الآثار السلبية للتغيرات المناخية المستقبلية نظراً لانخفاض قدرتها على التكيف مع التغيرات المناخية. تعد المخاطر البيئية بما في ذلك التصحر وإزالة الغابات وتدهور النظام البيئي والتلوث البيئي شائعة في المنطقة. جميع الدول الأعضاء في منطقة الإيقاد معرضة للتدهور البيئي بسبب الظروف المناخية والضغوط السكانية ونقص السياسات والتشريعات والدعم لحماية البيئة.

تؤدي الحرب و الصراعات المسلحة إلى النزوح القسري، الذي يمكن أن يزيد من تعرض الناس للكوارث و الإضرار بالبيئة، وزيادة وتيرة المخاطر وشدها. يمثل التأهب للكوارث والتخفيف من آثارها والاستجابة لها وكذلك تقديم المساعدات تحدياً كبيراً بشكل خاص في سياق النزاع المسلح

## الصراعات:

أصبحت الحروب القائمة على الموارد والتي تدور حول محدودية الغذاء والمياه وموارد الرعي والاضطرابات المدنية من أخطر أسباب انعدام الأمن الغذائي في المنطقة، مما أدى

إلى تعطيل أنشطة إنتاج الغذاء وتسويقه، غير أن الموارد التي كانت ستكون متاحة للتنمية الوطنية صارت تستخدم للإغاثة والإنعاش من أجل مساعدة دعم الملايين من النازحين المتأثرين من تلك الاضطرابات مما يستدعي الحاجة إلى إيجاد حلول دائمة لترسيخ السلام الدائم لتلك المجتمعات التي شردها الصراعات. إن التعامل مع الظواهر المناخية المتطرفة الحالية والتكيف مع تغير المناخ في حدوث الصراعات أمر بالغ الأهمية لتحقيق السلام المستدام في المنطقة. من أبرز أدوار إيقاد في درء الصراعات ومعالجتها الوساطة في النزاعات حيث تعمل إيقاد كوسيط بين الأطراف المتنازعة في المنطقة، مثل دورها القائم الآن في الصراع السوداني، كما تسعى الإيقاد إلى تعزيز السلام والأمن من خلال مبادراتها المختلفة التي تهدف إلى حل النزاعات ومنع اندلاعها مجدداً.

## الحرائق:

تشكل الحرائق خطراً شائعاً في المراكز الحضرية والمناطق البدوية. مخاطر الحرائق شائعة أيضاً في الغابات الريفية خلال فترات الجفاف. إن موارد مكافحة الحرائق في المناطق الريفية شحيحة، وفي ظل ظروف مواتية يمكن أن تنتشر الحرائق بسرعة، وتدمر الممتلكات وسبل العيش والمحاصيل والمأوى والغابات وما يرتبط بها من نباتات وحيوانات، فضلاً عن تدهور الأراضي الزراعية.

## المخاطر الأخرى:

تشمل الأعاصير المدارية، الحرائق، الحوادث، الانهيارات الأرضية، العواصف الشديدة وآثار العواصف مثل البرد والرياح، و البرق. غالباً ما تمتد العديد من المخاطر والآثار المرتبطة بها إلى خارج الحدود القطرية للدول، وهذا يتطلب تعاوناً إقليمياً وثيقاً. الكوارث الرئيسية في دول الإيقاد:

## جيبوتي:

تخضع البلاد لعدد من الاخطار الطبيعية حيث يسبب حدوث الفيضانات المفاجئة والمتكررة في الأودية، فيضانات واسعة النطاق. إلى جانب حدوث حالات من الجفاف المتكررة والتي ينتج عنها نقصاً في المياه للاستهلاك الزراعي والمنزلي. تصل قوة الزلازل من ٤ إلى ٥ على مقياس ريختر وإلى جانب الأنشطة البركانية والتي قد تنشط في البلاد. عانت البلاد من الآثار المدمرة للكوارث الطبيعية كالجفاف والفيضانات مما أثر على حياة معظم السكان وتأثرت البنية التحتية، الاجتماعية والاقتصادية للبلاد. تسببت الفيضانات خلال السنوات الماضية إلى خسائر بشرية وأضرار مادية كبيرة، وأعقب هذه الفيضانات تفشي وباء الكوليرا ووباء الملاريا.

قدرت خسائر فيضانات عام ١٩٩٤م بالبلاد بما يقرب من ٣٩ مليار فرنكا جيبوتي كما



تسببت حالات الجفاف المتكررة في حدوث قدر كبير من الخسائر بما في ذلك الماشية وزيادة معدلات الفقر.

### إريتريا:

إريتريا، مثل العديد من الدول في شرق إفريقيا، تواجه تحديات متعددة تتعلق بالكوارث الطبيعية والبشرية حيث تعاني إريتريا من فترات جفاف متكررة تؤثر بشكل كبير على الزراعة والمياه، مما يؤدي إلى نقص الغذاء والماء للسكان، تعتبر النزاعات مع إثيوبيا، خاصة في منطقة تيغراي، السبب في نزوح العديد من الأشخاص مما أثر على استقرار المنطقة، على الرغم من أن الجفاف هو المشكلة الرئيسية، إلا أن الفيضانات قد تحدث أحياناً، مما يؤدي إلى تدمير البنية التحتية والمنازل. ويؤثر على النواحي الاقتصادية والاجتماعية.

### إثيوبيا:

تتعرض إثيوبيا دائماً للكوارث الناجمة عن تغير المناخ مثل الجفاف والأوبئة والفيضانات إلى جانب الصراعات والزلازل والآفات وحرائق الغابات والانهيارات الأرضية وغيرها. تحدث هذه المخاطر المختلفة بتردد وشدة متفاوتتين. غالباً ما تصاحب تأثيرات الجفاف مخاطر أخرى. فقد كانت الإصابات بالآفات المهاجرة كالجراد، مشكلة خطيرة في بعض أجزاء البلاد، كما تزداد معدلات انتشار بعض أمراض المحاصيل عندما تكون الظروف المناخية مواتية. إن الأوبئة، سواء بين البشر أو بين الماشية، تشكل صدمة أخرى ناجمة عن تغير المناخ قد تؤدي إلى المجاعة. تعتبر الفيضانات والتي هي في الغالب ناجمة عن تغير المناخ في إثيوبيا. فالفيضانات الناجمة عن فيضان الأنهار تؤثر بانتظام على الناس وممتلكاتهم، وخاصة في المناطق المنخفضة، كما قد تؤثر الفيضانات المفاجئة على جميع المناطق بالبلاد. الصراع السياسي والإثني في إثيوبيا هو إحدى المخاطر المتفاقمة باستمرار ويؤثر على الاستقرار وعلى البنية التحتية والاحوال الاقتصادية والاجتماعية للسكان. الصراع له علاقة قوية بالصدمة المناخية التي تعاني منها البلاد والتي تؤدي إلى خفض الإنتاجية والأمن الغذائي بين المجتمعات الريفية.

### كينيا:

تشهد كينيا عدداً من المخاطر الطبيعية، خاصة تلك التي مرتبطة بالمناخ، تعتبر كوارث الفيضانات والجفاف والانهيارات الأرضية والبرق والعواصف الرعدية وحرائق الغابات والرياح القوية هي الأكثرها شيوعاً. وتشمل المخاطر الأخرى التي تشهدها كينيا فيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز) إلى جانب الصراعات السياسية والإثنية المحدودة.

## الصومال:

الصومال يعاني من عدة كوارث طبيعية وإنسانية رئيسية، أبرزها الجفاف حيث تعاني الصومال من موجات جفاف متكررة تؤدي إلى نقص حاد في المياه والغذاء مما يهدد حياة الملايين والذي قد يؤدي إلى حدوث نزوح جماعي للسكان بحثاً عن موارد المياه والغذاء. على الرغم من حدوث الجفاف إلا أن بعض المناطق تتعرض لفيضانات نتيجة الأمطار الغزيرة وتسبب في تدمير المنازل والأراضي الزراعية، وقد تؤدي إلى نزوح السكان وتفشي الأمراض المنقولة بالمياه. يوجد في الصومال نهران دائمان فقط، هما نهر جوبا ونهر شبيلي، وكلاهما يبدأ في المرتفعات الإثيوبية، تفيض عادةً أثناء هطول الأمطار الغزيرة. نتيجة للجفاف والفيضانات فإن الصومال يعاني من انعدام الأمن الغذائي. الصومال يعاني دوماً من النزاعات المسلحة المستمرة والتي تؤدي إلى تدهور الأوضاع الإنسانية وزيادة عدد النازحين داخلياً وخارجياً إلى جانب الآثار الاقتصادية والاجتماعية السالبة على السكان.

## جنوب السودان:

يواجه جنوب السودان إرث من الحروب الأهلية الطويلة والتخلف مما أثر على قدرة الدولة على توفير الخدمات الأساسية والاستجابة للاحتياجات الإنسانية، وحماية المجتمعات نتيجة انعدام الأمن. النزوح والعودة ونقص الغذاء وتفشي الأمراض والفيضانات الموسمية و الجفاف أكثر المخاطر الشائعة بالبلاد. أكثر الكوارث شيوعاً هي تلك التي متعلقة بالمناخ مثل الفيضانات، والجفاف، والبرق و العواصف الرعدية، حرائق الغابات البرية. الصراعات، وفيرس نقص المناعة البشرية (الإيدز)، والزلازل. شدة وتكرار وتعقيد تلك ناتج من ضعف البنية التحتية و الفقر.

## السودان:

يتميز السودان بالتنوع في بيئته بسبب تنوع المناخات والغطاء النباتي و نوع التربة و التضاريس، السمات السطحية. ينحدر السودان تدريجياً من الجنوب إلى الشمال باستثناء جبل مرة، مرتفعات البحر الأحمر، الانقسناء، جبال النوبة. ويجري نهر النيل وروافده عابراً مساحة السودان طويلاً. هذا التنوع جعل السودان من الأقطار الأكثر عرضة للكوارث المتنوعة في العالم.

خلال السنوات الماضية واجه السودان كوارث طبيعية مثل الجفاف، النزاعات المسلحة، اللاجئين والنزوح الداخلي، الفيضانات، آفات المحاصيل، الاوبئة، تدهور البيئة والحرائق. وتعزى خطورة الوضع في السودان الى انه بالإضافة للتعدد والتنوع اعلاه فانه يعاني ايضا من افرازات النزاعات المسلحة والجفاف الحاد والمجاعات في القرن الأفريقي. هذا وباعتبار الحدود الممتدة فقد سجل السودان معدلات عالية من استقبال اللاجئين من

الخارج بلغت الأعلى على مستوى العالم في فترات زمنية مختلفة وفي ذات الوقت فان للسودان سجل مقدر في تصدير اللاجئين الى دول الجوار الافريقي وغيرها .  
يعتبر السودان من أكثر الاقطار في إفريقيا التي بها اعداداً متنوعة من النزاعات. هناك أسباب متعددة قادت لتلك النزاعات منها العوامل القبلية، الاقتصادية، الدينية، الاجتماعية، والسياسية. الحرب الدائرة الان ما هي الا مثال لما تعانيه البلاد من اثار مدمرة نتيجة للصراعات. السودان ايضا يجاور عدد من الدول تعاني من مشاكلها السياسية الخاصة بها، والتي تؤدي إلى حركة نزوح ولجوء تعبر الحدود إلى داخل السودان في كثير من الأحيان.

## يوغندا:

الانهيارات الأرضية تحدث بشكل متكرر في المناطق الجبلية، مثل جبل إلغون، مما يؤدي إلى خسائر في الأرواح وتدمير الممتلكات، كما تتعرض أوغندا لفيضانات مدمرة نتيجة الأمطار الغزيرة، مما يتسبب في نزوح السكان وتدمير البنية التحتية.  
أوغندا تعاني من نقشي الأمراض مثل الإيبولا و الايدز، الملاريا وذبابة النسي تسي و التي تشكل تهديداً كبيراً للصحة العامة.  
بعض المناطق في أوغندا تعاني من الجفاف و الذي يحدث بشكل دوري ، مما يؤثر على الزراعة والأمن الغذائي للسكان.

## التوصيات:

١. إجراء تقييمات شاملة للمخاطر لتحديد وفهم المخاطر ونقاط الضعف والآثار المحتملة للكوارث في المنطقة.
٢. تطوير وتنفيذ السياسات واللوائح والأطر التي تعزز التنسيق والتعاون بين مختلف دول المنطقة وتشجيع انشاء المنظمات الوطنية غير الحكومية و توعية القطاع الخاص.
٣. تخصيص الموارد لتحسين البنية التحتية، وأنظمة الإنذار المبكر، وبرامج الحد من مخاطر الكوارث لبناء القدرة على الصمود.
٤. تطوير خطط الاستجابة لحالات الطوارئ وتحديثها بانتظام، ، والتأكد من أن المجتمعات مستعدة جيداً للاستجابة للكوارث
٥. رفع الوعي العام حول مخاطر الكوارث وتعزيز برامج التعليم التي تعلم الأفراد والمجتمعات كيفية الحد من نقاط ضعفهم وتعزيز استعدادهم.
٦. المشاركة في الشراكات والتعاون الدولي لتبادل المعرفة والموارد وأفضل الممارسات في إدارة مخاطر الكوارث لدول المنطقة
٧. إنشاء قاعدة بيانات مركزية لدول المنطقة تركز على التأثيرات المحتملة للكوارث المحتملة وتبادل هذه المعلومات بين الدول الأعضاء، مما يساعد في تحديد أنواع الخطط المطلوبة.

٨. ينبغي تعيين و تقوية نقاط الاتصال بين الهيئة و الدول الاعضاء لضمان الاستعداد الفعال للكوارث والعمل كآلية تنسيق للاستجابة للكوارث.

## الفيضانات

تعاني شرق إفريقيا من فيضانات كارثية بشكل متكرر، والتي تؤدي إلى نزوح مئات الآلاف من الأشخاص وتدمير البنية التحتية الحيوية. في عام ٢٠٢٤، تسببت الأمطار الغزيرة المرتبطة بظاهرة "النينيو" في فيضانات شديدة في كينيا، بوروندي، الصومال، وتنزانيا، مما أدى إلى نزوح حوالي ٢٣٤,٠٠٠ شخص وتأثر أكثر من ٦٣٧,٠٠٠ شخص. أدت وتؤدي هذه الفيضانات إلى تدمير المنازل، المدارس، والمباني المجتمعية، وزادت من مخاطر المجاعة وتفشي الأمراض. كما أن اللاجئين والنازحين هم من بين الفئات الأكثر تضرراً بسبب هشاشة أوضاعهم المعيشية

امثلة لبعض الكوارث في الدول الاعضاء:

## جفاف ١٩٨٤ - إثيوبيا

أدى الجفاف الذي ضرب شرق أفريقيا عام ١٩٨٤، وخاصة في إثيوبيا، إلى واحدة من أكثر المجاعات تدميراً في القرن العشرين. وأدت هذه المجاعة، التي استمرت من عام ١٩٨٣ إلى عام ١٩٨٥، إلى وفاة ما بين ٣٠٠,٠٠٠ و ١,٢ مليون شخص<sup>١٣</sup>. وقد تفاقمّت الأزمة بسبب مزيج من الجفاف الشديد والصراع المدني المستمر والسياسات الحكومية<sup>١٣</sup>. وشملت المناطق الأكثر تضرراً تيغراي و وولو وإريتريا، حيث أدت البنية التحتية وشبكات النقل المحدودة إلى صعوبة إيصال المساعدات<sup>١</sup>. كما أدت المجاعة إلى نزوح ملايين الأشخاص داخلياً وأجبرت مئات الآلاف على الفرار كلاجئين. وقد سلط هذا الحدث المأساوي الضوء على أهمية الاستجابة الإنسانية الدولية والحاجة إلى تحسين إدارة مخاطر الكوارث والتأهب لها في المناطق المعرضة للخطر.

## الصراعات - السودان

هي حرب أهلية بدأت في الخامس عشر من أبريل ٢٠٢٣ بين القوات المسلحة وبين قوات الدعم السريع، تركزت الاشتباكات في أيامها الأولى في ولاية الخرطوم و امتدت لاحقا لمدن وبلدات أخرى تقع في ولايات اخري وتحديداً ولايتي سنار و الجزيرة وولايات دارفور.

تسببت هذه الاشتباكات في تفاقم الوضع الإنساني في السودان وفي موجات نزوح كبيرة كما نجم عنها مقتل المئات من المواطنين المدنيين وإصابة الآلاف منهم ونزوح أكثر من ١٠ ملايين نسمة، و حوالي ٢٥ مليون يحتاجون الي مساعدات انسانية و حوالي ٢ مليون

نسمة عبروا الحدود الي الاقطار المجاورة ، مع توقعات بأنّ الأرقام ستتزايد في ظلّ استمرار المعارك مع صعوبة الحصول على أرقام حقيقية من على الأرض.

### البنية التحتية:

لقد كان لهذه الصراع و لازال تأثيرات مدمرة على البنية التحتية في البلاد حيث تم تدمير واسع للمدن، شمل المباني السكنية، المدارس، المستشفيات، الاسواق، المصانع، الكباري والطرق، كما تم تعطيل و تدمير مرفقات الخدمات الأساسية مثل المياه، الكهرباء، والصرف الصحي. ادي ذلك الي خسائر اقتصادية للقطاعين العام و القطاع الخاص مما يتطلب موارد ضخمة لإعادة الحياة للمجتمع و اعادة التعمير و البناء بعد توقف الصراع. الصراع ساهم في تلوث البيئة وتدمير نظمها ، مما قد يؤثر على الصحة العامة والموارد الطبيعية.

تدمير البنية التحتية اجبر السكان على النزوح والهجرة، و ادي ذلك الي زيادة الضغط على المناطق الآمنة و ادي إلى أزمات إنسانية.

منذ عام ٢٠١٩ و منظمة إيقاد تعمل على تقريب وجهات النظر بين الأطراف السياسية السودانية و يعتبر هذا النشاط أكبر تحدي واجهته الهيئة منذ تأسيسها، خاصة أنها تضع في أولوياتها العمل على منع الحروب والنزاعات. في يونيو ٢٠٢٣ شكلت إيقاد لجنة رباعية لمتابعة أزمة السودان، وإقناع الأطراف المتحاربة بإنهاء الحرب والرجوع لطاولة الحوار، وبعد أشهر من العمل اجتمعت القمة الـ ٤١ لرؤساء وحكومات الدول الأعضاء بالعاصمة جيبوتي، وقدم بياناً أعلن فيه مسار المساعي التي بذلتها الهيئة من أجل أن تضع الحرب أوزارها.



### سد النهضة-المخاطر المتوقعة

يقع سد النهضة في نهاية النيل الأزرق في وعلى بعد نحو ٢٠-٤٠ كم من الحدود السودانية، و على ارتفاع نحو ٥٠٠-٦٠٠ متر فوق سطح البحر. ويصل متوسط الأمطار في منطقة السد إلى نحو ٨٠٠ مم/سنة.

بالرغم من ان سد النهضة له فوائد متعددة و التي تشمل توليد الطاقة الكهربائية، تنظيم الفيضانات و تحسين الزراعة و تطوير الاقتصاد الا انه يشكل وزناً كبيراً على القشرة الأرضية في إثيوبيا نتيجة وجود الأخدود الإفريقي والفوالق والتشققات.



الإفريقي العظيم الذي هو مركز الزلزال، خلال الفترات السابقة وقعت عدة زلازل أعلاها كان بقوة ٥ ريختر وعلى بعد ٥٧٠ كم شرق موقع سد النهضة. سد النهضة الإثيوبي يثير العديد من المخاوف والتحديات، وتتمثل المخاطر الرئيسية في نقص مياه الزراعة والشرب خاصة لدول المصب، كما أن هنالك مخاوف من أن السد قد ينهار بسبب العيوب الجيولوجية في المنطقة، والذي قد يؤدي إلى كارثة مدمرة للسكان القاطنين حول النيل الأزرق والنيل في السودان، إلى جانب التأثير البيئي على النظم البيئية في النيل، مما قد يضر بالحياة البرية والنباتات. هنالك توترات سياسية حول الاتفاقيات المائية وحول إدارة السد، مما قد يؤدي إلى صراعات بين السودان، مصر وإثيوبيا بسبب الخلافات حول حقوق المياه. انهيار السد قد يؤدي إلى تدمير البنية التحتية للمناطق التي تلي السد إلى جانب تأثر ملايين المواطنين على النيل الأزرق والنيل الرئيس، وقد يصل الضرر إلى اعالي النيل.

### المصادر و المراجع References:

- IGAD (1999), Sub-regional Disaster Preparedness Strategy.  
IGAD (2004), Disaster Risk Management Strategy.  
IGAD (2007), IGAD Training Manual and Toolkit.  
IGAD (2013), IGAD Hazard Maps and Atlas  
ISDR (2005), Hyogo Framework of Action (2005–2015) – Building the Resilience of Nations and Communities.  
Uganda Bureau of Statistics (2010), National Policy for Disaster Preparedness and Management.  
UNISR (2009), Terminology on Disaster Risk Reduction.  
<https://wmo.int/topics/climate-change>  
<http://www.rcmrd.org>  
<http://www.fao.org/ag/locusts/en/info/info/index.html>  
<http://www.preventionweb.net>

### Acronyms

- AIDS Acquired Immune Deficiency Syndrome  
AU African Union  
IGAD Inter-governmental Authority on Development  
ICPAC IGAD Climate Prediction & Applications Centre  
IPCC The Intergovernmental Panel on Climate Change  
FAO Food and Agriculture Organization  
WMO World Meteorological Organization



**فريق / حنفي عبد الله أفندي**  
مدير مركز السودان لدراسات مكافحة الارهاب

## مليشيا الدعم السريع

**ودورها في تنامي الارهاب في افريقيا**

**مدخل:**

يحظى السودان بوضع مميز وفريد من خلال موقعه الجغرافي السياسي (الجيوبوليتيكي) وذلك على الصعيدين الإقليمي والدولي؛ كونه يشكل امتداداً لمنطقة القرن الإفريقي، التي تعتبر بكل المقاييس من مناطق العالم ذات الأهمية الاستراتيجية التي تتبارى الدول الكبرى في الحصول على المزايا والمنافع المختلفة لها؛ كما لم يغيب السودان منذ تسعينيات القرن الماضي عن خارطة جيوبولتيك انتشار نشاط الجماعات الإرهابية خاصة (تنظيمي القاعدة، وداعش) وغيرهما.

وتكمن المعضلة الكبرى في ذلك لمؤثرات موقعه الجغرافي الحساس، إذ يشارك الحدود مع سبع دول معظمها غير مستقرة وذات هشاشة أمنية، ويملك خطاً ساحلياً ممتداً على البحر الأحمر مما يضع الدولة في قلب بعض أكثر المناطق التي تعرف بانتشار للنشاط الإرهابي في إفريقيا والشرق الأوسط، كما أن السلاسل الجبلية الممتدة بموازاة البحر الأحمر وبتضاريسها الوعرة، تعتبر مناسبة لإقامة معسكرات التدريب وتصدير الإرهاب من اليمن إلى القرن الإفريقي وصولاً إلى امتدادات الجماعات الإرهابية في الساحل الإفريقي.



شهد السودان منذ الألفية الثالثة، محاولات جماعات إرهابية لتنفيذ أجداتها والعمل على إيجاد موطئ قدم لها، ومن تلك المحاولات اجهاض الأجهزة الأمنية عام ٢٠١٢م ما عرفت بخلية (الندرج) واعتقال عناصرها، وهي تعمل على سفر مقاتليها إلى الصومال وليبيا والعراق وسوريا ومالي. ومن ٢٠١٤ حتى ٢٠١٨م، كانت عمليات استقطاب تنظيمي القاعدة وداعش طلاب جامعات سودانية، وطلابا سودانيين يدرسون في بريطانيا. وفي سبتمبر ٢٠٢١م كانت مواجهة خلية ارهابية تابعة لتنظيم داعش في ضاحية جبرة، جنوب الخرطوم، مما أدى إلى اشتباك مسلح معها اسفرت عن مقتل ٤ عناصر من تنظيم داعش، رجلين وامرأتين من جنسية مصرية، ضمن ٤ خلايا للتنظيم في (جبرة).

منذ بدء الحرب المدمرة التي فرضتها مليشيا الدعم السريع الارهابية في الخامس عشر من إبريل ٢٠٢٣م، كثف تنظيم داعش منشوراته الرقمية استنادا لضرورة استثمار الوضع في السودان والعمل على تنشيط الخلايا و البدء بتنفيذ العمليات ضد المتحاربين بهدف السيطرة على مواقع جغرافية يمكن ان تكون بداية وجود فعلي على الأرض، والجدير بالذكر أن حدود السودان الممتدة والتي تتشابك مع دول يوجد فيها فروع لتنظيمي القاعدة وداعش ومنها حركة الشباب الصومالية، بالإضافة الى تنظيم داعش في تشاد والكونغو الديمقراطية ، وأيضًا تنظيم داعش في غرب افريقيا، كما أنه يمكن ان تستغل جماعات العنف والتطرف الموجودة في أفريقيا الفراغ الاستراتيجي في ظل الصراع الحالي في الانتشار وإعادة تمركزها داخل السودان، وقد يتحول السودان وفق ما يمكن توقعه انطلاقا من مناطق سيطرة مليشيا الدعم السريع ، والتي هي خارج سيطرة الدولة ، تكون مصدر خطر حقيقي للإرهاب في المنطقة بأكملها .

هذه المعطيات تشير ان السودان في ظل ظروفه الحالية سيكون منفذًا وبيئة استقطاب للجماعات الإرهابية الامر الذي سيزيد من مجمل التهديدات الأمنية العابرة للدول سواء على المستوى الداخلي أو الإقليمي، مما يساعد في تكون مجموعات قادرة على تنفيذ هجمات كحرب العصابات وهذا يدل على ضعف البيئة الأمنية التي يعيشها السودان في مناطق سيطرة المليشيا، وهي بطبيعة الحال خارج نطاق إشراف سلطات البلاد الرسمية ومؤسساتها الأمنية.

### نظرة الجماعات الإرهابية لجغرافية السودان:

لأسباب عديدة تتعلق بالبيئة المواتية، والموقع الجيولتيك ، ظل للسودان مكانة خاصة في وجدان عدد من الجماعات والعناصر الإرهابية، وفي هذا السياق، تم رصد اهتمام «القاعدة» بالسودان في هذه المرحلة، حيث أصدرت دار نشر إرهابية، يعتقد أنها مرتبطة بالتنظيم، كتاباً يتألف من مقولات وكتابات المدعو «أبو حذيفة السوداني»، وهو منظر متطرف، حرص على توفير مبرر أيديولوجي للتحريض ضد السودان، فضلاً عن المبادئ التوجيهية والقواعد التي من المطلوب اتباعها من قبل الإرهابيين المحتملين.

أما تنظيم داعش هو الآخر لم يخف تطلعاته لإيجاد موطن قدم في السودان، مع العلم ان الذين هاجروا من السودان الى العراق وسوريا وليبيا بلغ ٧٠ شخصاً، الامر الذي يعزز فرضية انضمام افراد للتنظيم في ذروة الاحداث التي تعيشها السودان الآن، كما كثف التنظيم منشوراته الرقمية استناداً لضرورة استثمار احداث السودان والعمل على تنشيط الخلايا والبدء بتنفيذ العمليات ضد المتحاربين بهدف السيطرة على مواقع جغرافية يمكن ان تكون بداية وجود فعلي على الأرض.

ومن خلال التصور الاستراتيجي لتنظيم القاعدة، رغم ضمور مؤقت للأنشطة حالياً، يعتبر السودان الخيار المناسب الذي يمكن أن يربط أهم وأخطر فروعها في العالم، ونعني بذلك فرعها في شرق إفريقيا ممثلاً بحركة الشباب الصومالية، وفرعها في الساحل ممثلاً بجماعة نصرة الإسلام وفرعها في اليمن. أما بالنسبة لداعش، فإيجاد موطن قدم في السودان يعني مزيداً من الربط بين ولاياتها في شرق ووسط وغرب وشمال إفريقيا. أي من الصعب لداعش والقاعدة أن تمضيا مشاريعهما في إفريقيا والشرق الأوسط إلى نهايتها المنشودة دون وضع اليد على السودان، أو على الأقل الحفاظ على وضعه السابق كمركز لوجستي وقناة عبور. وكل ذلك يجعل من السودان بوابة محتملة لربط محاور النشاط الارهابي المتشدد في شمال ووسط وشرق إفريقيا والشرق الأوسط.

### **المحفزات المواتية للجماعات الإرهابية في تداعيات الحرب في السودان:**

هناك بيئة مواتية توفرت في السودان زادت رقعتها جراء الحرب المدمرة التي فرضتها مليشيا الدعم السريع الإرهابية، والتي يمكن توظيفها من قبل الجماعات والتنظيمات الارهابية، وتتمثل في حالة الفوضى والإضرابات والسيولة الأمنية والتي تشكلت في مناطق سيطرة مليشيا الدعم السريع، ومع مؤثرات استهداف المليشيا بالتدمير الممنهج للبنية التحتية ومؤسسات الدولة الحيوية، والتي تفاقم تأثيرها على سلطة الدولة في مرافقها، وانشغال القوات النظامية في الحرب، وهو ما قد تجد فيه هذه التنظيمات الإرهابية فرصة لبلورة نشاطها ابتداءً من مناطق سيطرة المليشيا واستغلال الحدود الغربية خاصة، وجعل الجغرافية السودانية وما جاورها مساحة حركة لممارسة نشاطها.

وبطبيعة الحال ستنعكس حالة الفوضى هذه في إمكانية تدفقات عناصر من المجموعات الإرهابية التي تنشط داخل قارة أفريقيا؛ وبالتالي يُصبح السودان مرتكزاً لجماعات العنف والتطرف، بحيث تأتيها هذه التنظيمات من مناطق الساحل والصحراء والقرن الأفريقي. والأخطر من ذلك أن يتحول السودان إلى مركز التقاء وتنسيق التنظيمات المتطرفة، وهو ما قد يُشكل خطراً على أمن المنطقة أيضاً، خاصةً في ظل حدود هشة للسودان مع دول الجوار، وغياب الحماية أو الرقابة فيها بشكل كبير، مما يساعد على تعزيز وجود الإرهاب في السودان وانتقال مخاطره إلى الاقليم ومنطقة الشرق الأوسط وقارة أوروبا.

وعلى هذا النحو تتبلور الظروف المناسبة من انعكاس حالة الفوضى بتولد بيئة مثالية مواتية ومحفزة لوجود التنظيمات المتطرفة ونشاطها، فدائماً ما تبحث التنظيمات

المتطرفة عن مساحات تتوفر بها معدلات عالية من الفوضى حتى تستطيع أن تمارس نشاطها سواء في تنفيذ عمليات إرهابية أو في تجنيد أتباع ومقاتلين جدد، أو توفير ملاذات لخلايا نائمة، فإذا لم تجد الفوضى الأمنية فإنها تعمل على خلقها ليساعدها على التمدد، ولعل الحرب في السودان توفر هذا المناخ.

وهناك مؤثرات مخاطر انتشار السلاح ، بفعل ما تم توفيره من عتاد حربي بمختلف الأنواع دون ضوابط حيازات، حتى لدى الأطفال الذين وظفتهم مليشيا الدعم السريع، والأسواق المفتوحة لبيع مختلف الأسلحة بأبخس الاثمان في ما أطلق عليها اسم ( أسواق دقلو ) ضمن بيع منهوبات المواطنين ، فضلا عن وجود أسلحة مسبقا قبل الحرب لدى المواطنين معظمها غير مقننة ، يصل تعدادها إلى أكثر من ٨ مليون قطعة سلاح غير نظامية في السودان، وظهور دعوات الاستنفار إلى تسليح المدنيين لمواجهة الانفلات الأمني والاعتداءات على المواطنين من قبل اللجان المجتمعية، ومع الضوابط التي وضعتها القوات المسلحة للجهد الشعبي .

إلا أن الخطر الأكبر يأتي من قبل مليشيات الدعم السريع، لعدم وجود ضوابط لديهم في تسليح المستنفرين، وكثافة توزيع مختلف الأسلحة لعناصر القبائل التي تماهت معها، ومخاطر الانشقاقات وغيرها، وهو ما يحمل في طياته مخاطر أمنية عديدة، إذ أن عملية تسليح المدنيين وانتشاره بدون ضوابط حاکمة، من شأنه تحويل الحرب لاحقا إلى نمط حرب الشوارع وتأجيج الفوضى الأمنية في البلاد ومن ثم إدامة الحرب ومفاقمة الأوضاع الأمنية السيئة التي قد تستفيد منها التنظيمات الإرهابية.

وبرزت مخاطر أمنية لها ما بعدها ، وتتعلق بوجود أكثر من ثلاثين ألف خارج السجون ،من معتادي الاجرام والمحكوم عليهم بجرائم وصل بعضها للإعدام والسجن المؤبد، إلى جانب الاف المنتظرين لاستكمال المحاكمة ، حيث عمدت مليشيا الدعم السريع باطلاق سراحهم وتفرغ السجون ، ووظفت الكثيرين منهم في القتال ونهب المواطنين ومؤسسات الدولة ، وهو ما ينطوي عليه أيضا مخاطر أمنية عديدة ،بإمكانية توظيف التنظيمات الارهابية لهم ، وحال عودة هؤلاء المساجين إلى ممارسة أنشطتهم الإجرامية أو الانخراط في العمليات الإرهابية في المجتمع مره أخرى، بالتماهي مع رغبات وخطط التنظيمات الارهابية خاصة مع الانتشار المفرط للسلاح.

كذلك هناك مؤثرات الهشاشة الأمنية في المناطق الحدودية مع دول الجوار، ونشاط الهجرة غير الشرعية وأنشطة التهريب والجريمة المنظمة العابرة للحدود وعصابات تهريب البشر. بالإضافة لموجات النزوح الكبيرة للمواطنين في السودان بسبب القتال سواء كانت موجات نزوح داخل السودان أو لجوء إلى دول الجوار، ففي مثل هذه الأوضاع تجد التنظيمات الإرهابية فرصة مواتية لاستغلال الأوضاع الإنسانية الصعبة التي يواجهها هؤلاء النازحين في جهودها الدعائية الخادعة والرامية إلى جذب أعضاء جدد.

وفي ظل هذه الظروف وباستغلال واضح للحاجة، قامت مليشيا الدعم السريع باستخدام المجموعات الرعوية، خصوصا من القبائل الصغيرة المتواجدة في ولايات دارفور

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )



وكردفان في غرب السودان، والتي أصبحت تشكل حالياً حاضنه سكانية لهذه التنظيمات بعد أن تخطى هؤلاء عن مصادر ارزاقهم والتي تأثرت مسبقاً بالظروف الاقتصادية، وتفاقت عقب الحرب، فكان هؤلاء لقمة سائقة لتوظيفهم من قبل المليشيا، لأسباب تتعلق بتعظيم الأرباح.

تشير المعطيات التي تم ذكرها سابقاً إلى جملة من السيناريوهات المتوقعة من خلال السيناريو الأول وهو يتمحور حول احتدام التنافس الرقمي بين تنظيمي القاعدة وداعش من خلال تكثيف الحملات الرقمية بهدف التجنيد والاستقطاب داخل السودان لتكوين خلايا تكون قادرة على تنفيذ عمليات في العمق الاستراتيجي للدولة. والسيناريو الثاني، يتجه حول عامل الموارد الطبيعية في السودان والاهم الذهب الذي سيزيد من أطماع الجماعات الإرهابية كونه عاملاً للتمويل والذي يشكل بعداً اقتصادياً هاماً للجماعات الإرهابية، الأمر الذي سيساهم بضرورة السيطرة على الأرض للاستفادة من عامل الوقت. وأما السيناريو الثالث فيشير إلى الهجرة العكسية بمعنى انتقال عناصر من التنظيمين من خارج السودان مثلاً من اليمن وتشاد وليبيا إلى الداخل السوداني وقد يكون ذلك من خلال البر أو البحر، الأمر الذي سيشكل خطراً أمنياً كون العناصر غير معروفة للأجهزة الأمنية.

معلوم أن الصراعات المسلحة على اختلاف دوافعها وأنماطها، تخلق حالة من السيولة السياسية والأمنية التي تنصرف إلى هشاشة الدول، إذ يترتب على اندلاع الأحداث في هذه الدول حالة من الفراغ الأمني والتي انصرفت بطريقة غير متوقعة على أمن الدول وترتب عليها صعود التنظيمات الإرهابية وتهديدها للأمن الإقليمي والدولي. وبتطبيق هذا الطرح على الحالة السودانية نجد أن السياق ليس بالبعيد، فمن المتوقع أن ينصرف المشهد في السودان إلى صعود التنظيمات الإرهابية عبر استغلال تصاعد الأحداث، وبالتالي قد يحمل هذا المشهد المتشابك جملة من التداعيات المحتملة على الظاهرة الإرهابية، سواء على جغرافيا نشاطها أو على مسارات حركتها وذلك على خلفية الرؤية التي تتبناها التنظيمات الإرهابية تجاه السودان.

### **توقعات تمدد ظاهرة الإرهاب والتطرف العنيف في الاقليم:**

وفق ما تم تبيانها من دوافع ومحفزات لبلورة النشاط الارهابي من خلال توظيف مسرح السودان ، يمكن القول أنه من المرجح على خلفية تدهور الأوضاع المستمر في السودان في المناطق التي تسيطر عليها مليشيا الدعم السريع، حدوث تمدد جغرافي للظاهرة الإرهابية سواء على المستوى الأفقي أو على المستوى الرأسي، لا سيما مع ارتباط منطقة شمال أفريقيا بالتفاعلات السياسية والمعادلات القائمة بالساحل والصحراء، إذ تشهد جغرافيا الأخيرة حالة من الاضطرابات السياسية والأمنية المنعكسة بصوره واضحة على تصاعد التهديد الإرهابي داخل الدول الواقعة في نطاقها الجغرافي الذي يجاور السودان. وعليه، يترتب على هذا المشهد جملة من التداعيات، يأتي في مقدمتها نجاح التنظيمات الإرهابية في تدشين حلقات ربط بين مناطق نفوذها الموجودة في القارة، وبالتالي اتساع النطاق الجغرافي للظاهرة الإرهابية، الأمر الذي ينذر بأن الإرهاب سيكون مؤثراً على

وفق سياقات التوقعات من المُرجح أن تستغل التنظيمات الجهادية الإرهابية خاصة في منطقة الساحل وشمال إفريقيا تحقيق اختراق أمني يعيد لها «مجدها» السابق، باستغلال تمرد مليشيا الدعم السريع في السودان بتوفر مختلف الأسلحة والبيئة الهشة المواتية بتغيب قسري لمؤسسات الدول وتخريب بنيتها التحتية ووجود فاعل لعناصر مسلحة من المرتزقة وعتاة المجرمين وقطاع الطرق الهاربين من السجون ، وما يشكله ذلك من مؤثرات اجتماعية واقتصادية وأمنية ، كما يُتوقع ترسخ الوازع المحلي، على حساب العالمي، في العمل الجهادي، واستمرار التجنيد باعتماد الحاجة للدخل المادي، وليس القناعات الأيديولوجية. كما يُتوقع خلق ملاذات آمنة للعديد من التنظيمات الجهادية الإرهابية خاصة في منطقة الساحل وشمال إفريقيا وتنفيذ عمليات واسعة باستغلال الاضطرابات في عديد الدول الهشة والتي تعاني من تداعيات الانقلابات العسكرية وباستغلال لتفاعلات ومؤثرات تمرد مليشيا الدعم السريع ، مما يفاقم الاوضاع ولمزيد من التوترات وعدم الاستقرار في منطقة الساحل الإفريقي بنسب مقلقة من النشاط الإرهابي وتصنيف دولها ضمن الأكثر تضرراً بتداعياته.

كذلك يمكن أن تسعى التنظيمات الإرهابية إلى استغلال الأوضاع المضطربة في السودان من أجل تمويل نشاطها لا سيما تنظيم (داعش)، وذلك على خلفية تراجع ميزانيته. وبالنظر إلى السودان فإنه يتمتع بموارد طبيعية متعددة، وبالأخص الثروات المعدنية، مثل الذهب الذي يُمثل مورداً مهماً يمكن أن تستغله التنظيمات الإرهابية لتمويل نشاطها حال نجاحها في السيطرة على عدد من مناجم الذهب هناك، وذلك بالقياس على السيناريو الذي اتبعته التنظيمات الإرهابية في كل من مالي والنيجر وبوركينا فاسو، إذ فرضت سيطرتها على الكثير من مناطق تعدين الذهب في هذه الدول على خلفية غياب سلطة الدولة المركزية.

وفقا لشواهد الحرب واستغلال مليشيا الدعم السريع لظروف تواجدتها في مواقع استراتيجية للدولة كانت مكلفة بتأمينها، فقد استغلت انتشارها الجغرافي وسيطرت على مواقع الحدود الغربية ومن المحتمل أن يؤدي تصاعد الأحداث في السودان إلى سعي بعض التنظيمات الإرهابية إلى استغلال تلك المناطق الحدودية وجعلها بؤر تمرکز، وإمكانية تهديد أمن البحر الأحمر لتحقيق أهدافها، إذ تقع الممرات الملاحية في دوائر اهتمام التنظيمات الإرهابية وذلك على خلفية توظيفها لتلك المناطق الحدودية والممرات في ضوء ثلاثة سياقات رئيسية، تتمثل في الحصول على موارد مالية، سواء عبر التجارة غير المشروعة أو عبر فرض الإتاوات على السفن، أو استغلالها كساحة لنقل العناصر والأسلحة، إلى جانب تنفيذ عمليات تجاه أهداف بحرية عالية القيمة كالقواعد العسكرية البحرية أو ناقلات النفط.

كما لا يستبعد سعي تنظيم (داعش) للتمدد في السودان بهدف الاقتراب من البحر الأحمر رغبة في تعزيز موارده المالية أو نقل عناصره الإرهابية، لا سيما في ضوء

عجزه عن التمدد في الصومال في ظل نفوذ حركة "الشباب" هناك. وبالتالي يمكن القول إن مآلات المشهد في السودان قد تنصرف إلى تهديد حيوي لأمن البحر الأحمر ما ينعكس على حركة التجارة العالمية.

ولا يغيب عن الأذهان توفر البيئة المواتية لتدفق المقاتلين من خلال ما تشكله تدهور الأوضاع في السودان من مؤثرات الحرب إلى تحولها لبيئة حاضنة لنشاط المقاتلين الأجانب، وتكمن خطورتهم في ضوء ثلاثة عوامل، تتمثل في ارتباط التنظيمات الإرهابية الوثيق بفواعل إقليمية ودولية لديها أجندات سياسية تسعى إلى تحقيقها عبر توظيفهم، و إمكانية نقل التنظيمات الارهابية لخبراتهم التي اكتسبوها إلى مليشيات الدعم السريع، او تحويلهم لنمط الصراع ، من صراع مسلح بين قوتين إلى نمط حروب العصابات، سواء على المستويين العملياتي والتكتيكي. وبالتالي ينعكس هذا المشهد على إطالة أمد الصراعات مع العمل على إفشال المحاولات التي تهدف إلى إنهائها.

من خلال المعطيات الراهنة، متوقع توفر البيئة المواتية للاحتقان وتمدد الإرهاب إلى دول الجوار مع احتمالات استمرار التشدد في جميع أنحاء مالي والنيجر وبوركينا فاسو خلال الفترة القادمة، وستعمل التنظيمات الارهابية على تعميق موطئ قدمهم الإقليمي وتوسيع عملياتهم وشبكاتهم نحو دول أخرى في غرب إفريقيا. ومن المتوقع أن يتصاعد الفراغ الأمني في المنطقة الحدودية بين الدول الثلاث، إذ يبدو أن المجالس العسكرية غير قادرة على سد الفجوة التي خلفها رحيل القوات الدولية في عام ٢٠٢٢. ومن خلال إعطاء الأولوية للرد العنيف، ستؤدي تصرفات الجيوش إلى تكثيف استهداف المدنيين والتوترات الطائفية، مما يسمح للتنظيمات بتعزيز شبكات التجنيد وتثبيت أنظمة حكم بديلة. ومع تشتت انتباه المجالس العسكرية بسبب التحديات الداخلية، ستستمر الجماعات المسلحة في التوسع نحو مناطق جديدة، مما يخلق بؤراً ساخنة جديدة للتشدد، بما في ذلك شمال بنين وتوغو وجنوب غرب مالي وربما جنوب النيجر.

كما تواجه بوركينا فاسو، أعمال عنف إرهابية واسعة النطاق امتدت من مالي، وعمدت السلطات إلى مضاعفة أعداد المتطوعين في مليشيا الدفاع المدني لتصل إلى نحو ١٠٠ ألف كجزء من تعهد الرئيس الانتقالي إبراهيم تراوري باستعادة الأراضي التي استولت عليها الجماعات الإرهابية منذ عام ٢٠١٥، والتي تصل إلى قرابة ٤٠٪ من مساحة البلاد. ويمكن للجماعات المسلحة العنيفة استغلال الفراغ الأمني لبدء عمليات الحصار والاستيلاء في نهاية المطاف على بلدات كبيرة، وفرض سلطتها على مساحات واسعة من الأراضي في شمال مالي أو بوركينا فاسو. ويمكنها بعد ذلك استئناف حملة من الهجمات الإرهابية التي تستهدف المدنيين والمصالح الغربية في باماكو (مالي)، أو واغادوغو (بوركينا فاسو)، أو نيامي (النيجر)، كما حدث بين عامي ٢٠١٥ و ٢٠١٨.

تذهب العديد من المؤشرات لتحليلات الخبراء إلى أن الحرب في السودان تحمل بذور «حرب أهلية طويلة الأمد»، ما يرفع منسوب القلق من تمدد الحركات الإرهابية إلى السودان وعبور تداعيات ذلك التطور الحدود إلى دول الجوار، وهو ما يؤكد الخبر

في الشئون الإفريقية الدكتور تاج السر محمد عمر قائلاً: «لا شك أن التهديدات الإرهابية ستطال جميع دول الجوار الجغرافي للسودان، وأهمها مصر، وإثيوبيا، وتشاد، وليبيا، وإريتريا»، مضيفاً أن هذا التهديد «قد يطال دول القرن الإفريقي الأخرى».

وحول التداعيات المحتملة لهذه التطورات، يوضح الدكتور تاج السر: «الإرهاب يخلق عدم الثقة بين دول الجوار، وبالتالي سيؤدي ذلك إلى توتر العلاقات الإقليمية، والتأثير سلباً في المشاريع الاقتصادية المشتركة، وستتوقف حركة التجارة البينية بين دول الجوار»، مضيفاً أن «النشاط الإرهابي سيقف حركة التواصل الثقافي والمجتمعي بين دول الجوار، وبالتالي سنعطل حركة النمو الاقتصادي والحضاري والثقافي بين تلك الدول».

وبجانب ما سبق فإن مساحة السودان الواسعة توفر عديداً من الميزات، «إذ إنها تمكن هذه الجماعات من المناورة والهروب والضرب في الوقت والمكان المناسبين، وتلقي الإمداد بالأسلحة والذخائر والمتفجرات والأفراد وغيرها من ضروريات العمل الإرهابي»، فضلاً عن القدرة على «التدريب والتأهيل بعيداً عن مراقبة الدول والمنظمات المناهضة لها».

من جانبها تؤيد الدكتورة نرمين توفيق.. الباحثة في الشئون الإفريقية.. في تصريحها لـ TRT عربي، عن جدية المخاوف من انتقال الحركات الإرهابية إلى السودان، «خصوصاً أنه يقع في منطقة وسط بين شرق إفريقيا حيث تنتشر حركة الشباب المجاهدين الإرهابية التابعة للقاعدة في الصومال، وأيضاً بالقرب من تشاد ومنطقة الساحل التي تنتشر فيها حركات تابعة لداعش والقاعدة وغيرهما». و أن ما يجعل السودان عرضة لخطر الحركات الإرهابية أن الأخيرة «تستغل الغياب الأمني وانتشار الفوضى في الدول للانتشار بها، وهذا ما رأيناه في حالة ليبيا وسوريا وبعض دول غرب إفريقيا». وأن «موقع السودان الاستراتيجي وموارده الهائلة يجعلانه مطعماً للحركات الإرهابية كي تصنع موضع قدم فيه».

وتذهب نرمين توفيق إلى أن «الخطورة على الإقليم لن تكون قاصرة على التهديدات الإرهابية التي قد تنشأ جراء الأزمة، وإنما من الصراع الحادث حالياً في السودان، مما يعني أنه لا بد من وجود حل سريع لهذه الأزمة». وفي توضيحها للمعالم الأساسية لصياغة هذا الحل تؤكد الباحثة في الشؤون الإفريقية أنه «لا بد من الحفاظ على وحدة الجيش الوطني للسودان، فالجيوش الوطنية حينما تنهار يتبعها سقوط الدول، مع الأسف. لذا لا بد أن يعي جميع السودانيون هذا الأمر، وأن يغلب الجميع مصلحة وطنهم على المصالح الشخصية، وأن يكون للجامعة العربية والاتحاد الإفريقي دور فاعل في حلحلة الأزمة بشكل سريع يحافظ على أمن واستقرار ووحدة السودان».

فيما تذهب دراسة لمرصد الأزهر لحل تطور فكر التنظيمات المتطرفة في أفريقيا، تشكل مؤثرات حول توظيف الحالة الذهنية والمكانية لانبعاث التنظيمات الإرهابية والمتطرفة إلى السودان ، أنه مع دخول القارة الأفريقية تسعينيات القرن الماضي تم فتح الباب أمام عوامل ومؤثرات ثقافية غريبة على الثقافة الأفريقية، الأمر الذي استغلته

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )

التنظيمات المتطرفة لتنتسل إلى داخل المجتمع الإسلامي في أفريقيا وتحت اسم "إحياء الدين والشرع"، بدأوا في تشويش عقول المسلمين، وهنا اصطدموا مع المجتمع الصوفي السائد ومع المؤسسات المدنية، عندها بدأ الشقاق والانقسام الذي كان اللبنة الأولى لظهور تيار العنف والتشدد في سبيل نشر أفكار تلك التنظيمات وأهدافها، وكان ذلك تحت مسمى الدفاع عن الإسلام ونشر رايته.

وإن الأمر داخل القارة الأفريقية في بدايته لم يعدو كونه تنظيمات محلية تنسب نفسها للإسلام، تحت مظلة الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى ألفت العولمة الحديثة ظلالها على القارة الأفريقية، ومع تطور وسائل التواصل وفُرت تنظيمات إرهابية دولية مثل: «القاعدة» و«داعش» الدعم الأيديولوجي واللوجستي لتلك التنظيمات المحلية في سبيل تقديم الولاء لها وإعلان البيعة؛ مما جعل تلك التنظيمات تستفحل في القارة ناشرة العنف والإرهاب في ربوعها، طبقاً لمؤشر الإرهاب والإحصائيات التي يقوم بها مرصد الأزهر لمكافحة التطرف. «وتعد كل من حركة «الشباب» وتنظيم «بوكو حرام» و«متمردو تحالف القوى الديمقراطية» ضمن المجموعات الإرهابية الأكثر دموية في أفريقيا، وبإعلان الولاء لمثل هذه الشبكات الإجرامية العالمية أصبحت تلك التنظيمات أكثر قدرة على البقاء والانتشار، مع استغلال الروابط الاجتماعية بينها وبين بعض السكان المحليين، والتهديد والقمع لكل مخالف».

من هذا المنطلق صارت تلك التنظيمات تتخلى عن الدعوة الفكرية القائمة على استقطاب العقول إلى ممارسة العنف لتطبيق أهدافهم، ولذا لا يستبعد استغلال البيئة المواتية من الحرب بالسودان، واتجاه هذه التنظيمات السعي لبناء دولة تجمع أفرادها انطلاقاً من السودان في المناطق الواقعة تحت سيطرتهم، أو العكس بضم مناطق حدودية أو جعلها موطئ خلايا نائمة أو مدداً بالسلاح.. وبأن التنظيمات المتطرفة تستند في القتل باسم الدين على مفهوم «الفرقة الناجية»، ولعل ذلك يسوّغ رفض التنظيمات الأخرى وعدم التسامح معها. فقد قامت «بوكو حرام» باغتيالات شخصيات إسلامية تابعة لطوائف مغايرة لها، وأحرقت عدداً من المساجد، زعمًا منها أنها هي فقط الفرقة الناجية وما سواها كافر وهذا ما أعلنه صراحة زعيمها السابق «أبوبكر شيكاو» في فيديو شهير يكفر فيه كل الطوائف والفرق الإسلامية ويعلن أن جماعته فقط هي الناجية.

كما أن الاعتقاد لدرجة الهوس بفكرة معينة وهو ما تنسم به التنظيمات المتطرفة كان سبباً في ترويجهم لفكرة القتل باسم الدين، فعلى سبيل المثال نجد أن فكرتي الخلافة وعدم موالات الكفار اللتين تروج لهما التنظيمات المتطرفة كان لهما دائماً مكانة راسخة في الفكر السياسي والديني السائد لدى تلك التنظيمات في إفريقيا منذ القرن التاسع عشر. وهذه الحثثيات متاحة بإمكانية تنفيذ عمليات باغتيالات شخصيات مستهدفة سواء رجال دين أو سياسة أو حرق كنائس ومساجد، وإمكانية استهداف الطرق الصوفية.

ولفت مرصد الأزهر إلى أن هذا التطور في فكر التنظيمات المتطرفة من أجل المحافظة على البقاء أدى إلى تخليها عن أيديولوجياتها الثابتة التي نشأت على أساسها،



فنحن الآن أمام تغير من نظام مبني على أيديولوجيات قائمة على فهم خاطئ للشرعية إلى نظام قائم على عددٍ من الأنشطة الإجرامية والأعمال المخالفة للشرع تمامًا من باب الغاية تبرر الوسيلة. وان استمرار هذا الفكر البراجماتي للتنظيمات الإرهابية، وهذا التحول الإستراتيجي ينال من الخطاب الاستقطابي لتلك التنظيمات وتبريرها للعنف ومخالفة الشرع في سبيل تحقيق الغايات، الأمر الذي يصب في مصلحة القوى الناعمة التي تحارب الإرهاب من خلال الدعوة وتصحيح الأفكار والمفاهيم.

### انعكاسات الحرب في السودان على السلم والأمن والارهاب الإقليمي

كما هو معلوم، يقع السودان وسط محيط من الدول الهشة التي تعاني من اضطرابات أمنية وسياسية، سقطت فيها أنظمة وتواجه مرحلة انتقال مستعصية بسبب التداخلات والصراعات العابرة للحدود، فليبيا لا تزال تكابد لعودة لحمة الدولة الواحدة من خلال ما تشهده من حالة انقسام سياسي وأمني وعسكري واقتصادي بين طرفي الصراع ، ووجود عدد من من الميليشيات المختلفة الأجناس، وتشاد تعاني الانقسامات السياسية والقبلية، وتماهي حكومتها مع مليشيا الدعم السريع ، مع توقعات تجدد الصراع مع المعارضة المسلحة التي تنتظر انعكاسات الانتخابات التي أعلنت فوز محمد كاكّا ، وسط شكوك بعمليات تزوير، أما دولة جنوب السودان فمنذ الانفصال لم تشهد استقرارا رغم اتفاق السلام بين الحكومة والمعارضة ، مع بروز فصائل مسلحة خارج سلطة الدولة ، بينما نجد إثيوبيا تغرق في اقتتال دائم ينتشر في عدة أقاليم فيها خاصة المتاخمة للسودان الذي لديها مئات آلاف اللاجئين فيه.

قامت مليشيا الدعم السريع بتجنيد ما يربو عن ١٥٠ ألف من المقاتلين الأجانب المرتزقة، جلبتهم من النيجر، تشاد ، ليبيا، موريتانيا، مالي، إفريقيا الوسطى، نيجيريا، جنوب السودان وإثيوبيا وروسيا ، وهو بمثابة تهديد دولي عابر للحدود في ظل توجس المؤسسات الأمنية والاستخباراتية في دولٍ عديدة من مخاطر التهديدات الأمنية والإرهابية النابعة من عودة هؤلاء المقاتلين إلى دولهم بعد اكتسابهم مهارات قتالية غير تقليدية، ويمكن انخراطهم مع التنظيمات الإرهابية ، في جرائم إرهابية مثل غسيل الأموال وتهريب السلاح والمخدرات و الهجرة غير الشرعية وتجارة البشر ، بجانب مهددات أمنية أخرى تؤثر على السلم والأمن الإقليمي والدولي.

هناك كثير من الشواهد لتداعيات ما ظلت تقوم به مليشيا الدعم السريع المتمردة خلال حربها في السودان وتأثير ذلك على الارهاب محليا وإقليميا، من خلال عمليات التعبئة الجماعية التي ظلت تقوم بها في تصعيد التوترات بين المجموعات العرقية والسياسية المختلفة، مما يؤدي إلى زيادة العنف والصراع. وقد تؤدي هذه الاعمال اللاأخلاقية إلى سلسلة من الإجراءات الانتقامية، وتنفيذ جرائم إرهابية مما يزيد من تفاقم الوضع، ولعل نذر ذلك باتت واضحة في إقليم دارفور المضطرب. الى جانب السيطرة على الموارد والثروات الطبيعية التي يزخر بها السودان والعمل على نهبها. وتحقيق مصالح مادية تتعلق بإنعاش العصابات والمافيات المعنية بتهريب الأسلحة والاتجار بالبشر

وغيرها من خلال إشعال فتيل الفوضى وانتقالها لدول الجوار.

إن استمرار مليشيا الدعم السريع في عملياتها الإرهابية واستباحة مقدرات الدولة ومواطنيها واطالة أمد الحرب لفترة طويلة قد يؤدي ذلك الى تفكك الدولة السودانية، والوصول إلى مرحلة الفوضى الخلاقة، وحينها تنهار الدولة بكل مقوماتها وتصبح عاجزة تماماً عن حماية أراضيها وإدارة مصالحها، وتلقائياً تتجه الدولة نحو الفشل وتصبح سيادتها مهددة، وتتحول إلى ساحة لانخراط الخارجين عن القانون والتنظيمات الإرهابية التي تدخل لملء الفراغ واستغلال البيئة الامنية المواتية، وان عدم الاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي في السودان لن يظل محصوراً في داخله، والارجح أن ينتقل سريعاً إلى محيطه الإقليمي، والذي يشهد ايضاً بعض الاضطرابات السياسية والأمنية وتزداد احتمالية هذه الفرضية وصولاً إلى اضطرابات تعم دول الاقليم.

ولا شك ان الأوضاع المضطربة زماناً ومكاناً هي البيئة المناسبة التي تتوالد فيها الحركات المتطرفة وتنشط في التوسع مستفيدة من هذه الحالة الأمنية كما حدث في دول الساحل وغرب إفريقيا. وإذ إن السودان توجد فيه وفي الدول المجاورة له حركات تمرد وفصائل معارضة مسلحة مع فاعلين خارجين يبحثون عن وكلاء محليين فإن هذه الحالة تدفع إلى تمدد تنظيمات منها داعش والقاعدة والمنظمات المحلية المتحالفة معها إلى هذه الدول، وذلك يفتح احتمالات انزلاق المنطقة بأسرها إلى الفوضى إذا تمكنت هذه الجماعات من استيعاب الجيل المحبط من ويلات الحروب وخاصة أن مليشيا الدعم السريع جندت في صفوفها أعداداً كبيرة من المرتزقة والمقاتلين الأجانب من المحيط الإقليمي، وسيشكل هذا تحدياً للإقليم وعموم القارة الإفريقية وليس السودان فحسب.

لذا، من المرجح أن تظل منطقة الساحل الإفريقي مركز ثقل للجماعات الجهادية المرتبطة بتنظيمي داعش والقاعدة. وسوف يستغل الإرهابيون هناك فشل وهشاشة الدول والمساحات غير الخاضعة للحكم، والتي تتميز بالحدود التي يسهل اختراقها، وضعف الأجهزة الأمنية والمجالس العسكرية الحاكمة. وستواصل الجماعات الجهادية، بما في ذلك جماعة نصرة الإسلام والمسلمين وولاية الساحل الإسلامية، وولاية غرب إفريقيا الإسلامية، العمل مع الإفلات من العقاب تقريباً، مستغلة فرصة عدم الاستقرار السياسي والأمني ووجود مساحات شاسعة غير خاضعة للحكم.

### خلاصة وتوصيات:

تشكل البيئة غير المستقرة أمنياً بعداً هاماً للجماعات الإرهابية من حيث استثمار هذا الضعف الأمني الذي بدوره يعطي مساحة إيجابية لانتشار نشاط الجماعات الإرهابية وخاصة أن إفريقيا في هذا الوقت تعيش ازدياداً في العمليات الإرهابية في أماكن وجود هذا الجماعات بالتزامن مع انتشار ترويج الأسلحة من خلال الحدود وأيضاً النازحين من هذا الصراع هم في دائرة التجنيد والاستقطاب لدى هذه الجماعات.

مؤكد، ان ظروف السودان مواتية لزيادة هذه المجموعات الإرهابية وتيرة نشاطها

وتوسيع دائرة أعمالها لأن المنظمات الإرهابية تعمل في المناخات الملوغمة والبيئات المتأزمة مثل ما يجري في عدد من البلدان لأن الاستقرار السياسي واستتباب الأمن وهدوء الأحوال يصعب معه نشاط اي اعمال معادية او نشاط تخريبي أو افعال تهدد الأمن القومي فاجواء الحريات تفضح وتعري المخربين والمتطرفين والإرهابيين والعكس صحيح، خاصة مع مؤثرات ظروف الحرب، تشكل ارضية خصبة ومناخ مواتي لنمو وصعود التطرف الديني والإرهاب والانشطة التخريبية والهدامة.

الأوضاع الراهنة بظروف الحرب تفتح شهية المتطرفين لفرض وجودهم وحضورهم في المشهد العام، لجهة ان البلاد تمر بظروف بالغه الدقة خاصة في مناطق سيطرة مليشيا الدعم السريع ، علاوة على هشاشة الأوضاع وسيولتها وعدم صلابتها ،من أثر الحرب التي تدور في البلاد وما خلفته من آثار ، و كل هذه الظروف – غير الطبيعية – تفتح الباب واسعا لحضور مشروع الارهابيين، ووجود مثل هذه المناشط الهدامة ووارد جداً وجود خلايا نائمة عديدة تنتظر ساعة الصفر والزمن المناسب وجاهزة ربما للانقضاض، فمثل هذه التحولات التي يمر بها السودان ستفرز العديد من التداعيات التي سنلقى بذيلها على جملة الأوضاع بالبلاد. وهذه الحثيات متاحة بإمكانية تنفيذ عمليات باغتيالات شخصيات مستهدفة سواء رجال دين او سياسة او حرق كنائس ومساجد، وامكانية استهداف الطرق الصوفية.

والتنظيمات الإرهابية معلوم ان طبيعة أعمالها الهيكلية تتم عبر التشبيك والارتباطات ما بين (المكون المحلي) و (المكون الخارجي) واتصال الداخل بالخارج بمستوياته الإقليمية والدولية فبالتالي كل الدول تعتبر ان الارهاب والتطرف الديني ليس مهدداً محلياً وانما هو مهدد اقليمي ودولي نظراً لانتشاره في غالب بلدان العالم، فالارهاب يصنف كجريمة عابرة للقارات والحدود كالجريمة المنظمة مثل غسل الأموال، وتجارة وتهريب البشر ، تجارة المخدرات والسلاح وغيرها، فمثل أن هذه الجرائم تعمل كشبكات ومنظومات مترابطة ومتراصة ففي المقابل مكافحة هذه الجرائم تتم عبر تعاون إقليمي ودولي نظراً لطبيعة وجودها الجغرافي.

وعليه وباعتبارات ان المآلات الخطيرة التي يفرضها الوضع في السودان من خلال النشاط الإرهابي الذي تقوم به مليشيا الدعم السريع ومخاطرها في الارهاب وتمدده إلى الاقليم وإلى مناطق اخرى ، يستوجب من المجتمع الدولي في البدء الاعتراف علناً بأن مليشيا الدعم السريع منظمة إرهابية من خلال كل الشواهد التي برزت بوضوح و التي رصدتها وسجلتها لجنة الأمم المتحدة والعديد من المنظمات الإقليمية والدولية وقادة الراي والصحافة العالمية ، وأن يتحمل المجتمع الإقليمي والدولي وكل الدول الفاعلة مسئولياتهم بمخاطر هذه الجرائم لمليشيا الدعم السريع وامتداداتها خارجياً، وهو ما سوف ينعكس على حالة الأمن الإقليمي والدولي معاً. مما يستلزم دوراً إقليمياً ودولياً لمواجهة الظرف الحالي وحجم التحولات المتسارعة داخل السودان والمخاطر التي تواجهه.

وما دون ذلك سوف يؤدي إلى الاستمرار في صلف وجبروت هذه المليشيا،

بل سوف يكون مصدر قلق بالغ لكل دول العالم بلا استثناء، وهنا لا بدّ من أن يكون للأمم المتحدة والمجتمع الدولي دور في حسم المليشيا ومن يدعمها سواء بالسلاح والسند الدبلوماسي لمزيد من زهق أرواح السودانيين وتدمير البلاد. باعتبار أن الوضع في السودان بات خطيراً ليس فقط على أمنه الداخلي، ولكن على الأمن الإقليمي وعلى كل دول العالم، فالصراع الأمني يفرض عددًا من التحوّلات سوف تصبّ في صالح جماعات العنف والتطرف، ويصبح السودان ملاذًا آمنًا للإرهاب، والتنظيمات المتطرفة واستغلال ذلك ساحة للنشاط الإرهابي وتمدده اقليميا ودوليا.

إنّ حالة الاختلال الأمني التي نتجت عن الحرب الدائرة في السودان والمخاوف من تطاول أمدها دفعت بعض الخبراء إلى الاعتقاد أن هذه الظروف تشكل «بيئة خصبة للإرهاب»، وهو ما يؤكد الدكتور تاج السر محمد عمر المهتم بقضايا القرن الإفريقي وحوض النيل قائلاً إنه «بلا شك ستعمل الحركات الإرهابية على التمدد في السودان، إذ إنه سيصبح بيئة صالحة لحركتهم»، و أن هناك عديداً من العوامل التي تدفع نحو ترجيح مثل هذا الاحتمال، وفي مقدمتها «غياب سلطة الدولة وعجز الأجهزة المختصة (وزارة الداخلية وأجهزة الأمن الأخرى) وفق عوامل ومؤثرات الحرب، عن متابعة دقيقة كما كان في السابق لنشاط تلك الجماعات، إذ إن تلك الأجهزة ستكون منشغلة بالقتال للدفاع عن مقارّها وعن الدولة ككل». و أن من العوامل المغرية للجماعات العنيفة للتمدّد نحو السودان أن «موقع البلاد الاستراتيجي يمكنها من الوصول إلى الدول التي تستهدفها بسهولة ويسر».

لذا لا بد للحكومات والشعوب بمزيد من التخطيط الجيد وتطوير إستراتيجيات مكافحة الإرهاب، وهذا ما يتطلبه الواقع لمزيد من الوعي والتحصين لمكافحة التطرف، وتتبع ورصد هذه التنظيمات الإرهابية المتطرفة في قارة إفريقيا، منذ نشأتها ومراحل تطورها مع تحليل العوامل والأسباب التي تؤدي إلى انتشارها وتمدها، ومحاربة محاكاة مليشيا الدعم السريع لما ظلت تقوم به التنظيمات الإرهابية، كقضية استغلال المرأة، وتجنيّد الأطفال، ومشكلة المناطق الحدودية، إضافة إلى تنفيذ الشبهات التي تروجها التنظيمات المتطرفة للتغريب بعقول الشباب مع الرد عليها ردّاً شرعياً يوافق صحيح الدين. وضرورة التركيز على تحليل الدوافع التي تقود الشخص للانضمام لمثل هذه التنظيمات المتطرفة؛ بنفس السياق الذي تلعبه مليشيا الدعم السريع من خلال استقطاب المرتزقة المقاتلين أو التجنيد القسري للشباب المقاتلين عبر الاستنفار.

هناك العديد من الإجراءات ينبغي الترتيب للقيام بها عقب انتصار قوات المساحة ودحر التمرد وانتهاء شوكته، في ظل مكافحة الجرائم الإرهابية التي يمكن مواجهتها من تراكمات أنشطة مليشيا الدعم السريع المتمردة، حيث أن يترتب أن تقوم مؤسسات الدولة المعنية باتخاذ جملة من الإجراءات صمن عدد من المحاور تتقدمها الأطر القانونية لمواجهة نشاط قوات الدعم السريع المتمردة، وفي هذا الصدد ينبغي السير قدما في إجراءات النائب العام حتى اكتمال إصدار النشرات الحمراء لكافة المتهمين واستردادهم عبر الانتربول الدولي دون مجاملة لأي دولة، ومتابعة إجراءات من يتخلف ويعيق

إجراءات التسليم واتخاذ الإجراءات وفق تدابير الانتربول العقابية لأي دولة تتكص عن واجبها .

ومن الأهمية بمكان متابعة الأنشطة الاجرامية التي لم ترصد لكل ما قامت به قوات الدعم السريع المتمردة من انتهاكات واعمال تخالف القانون، وأن تواجه بقوة بحزمة من الإجراءات القانونية والتشريعات التي تحظر ممارسات هذه القوات وتمنع وقوعها، واستمرار التفويض الممنوح للصلاحيات لأجهزة انفاذ القانون والقوات الأمنية لممارسة مهامها، وتنظم إجراءات التفتيش والاعتقال، وتحديد العقوبات المناسبة للجرائم المرتكبة بواسطة الدعم السريع.

كما يجب أن تتخذ السلطات القضائية والقانونية والأمنية إجراءات لتوسيع قاعدة تحقيقاتها بتشكيل لجان في الاحداث الإرهابية والانتهاكات التي جرت والكشف عن الجناة والمتورطين ، ومواجهة المتسترين عنهم بجانب استمرار تحديد الخلايا الإرهابية التي لم يتم الوصول اليها وتعقب أفرادها، وضمان تقديمهم للعدالة. ويتطلب تنفيذ القانون في مواجهة الدعم السريع احترام حقوق الإنسان والحفاظ على سلامة المدنيين، وأن يتم تطبيق القانون بشكل عادل ومستدام، دون أي تمييز أو انتهاك للحقوق وأن تقوم المسارات على مفهوم حكم القانون والشفافية، وتطبيق الإجراءات بطريقة موضوعية ومنصفة.

لقد أفرزت مليشيا الدعم السريع وهي تعد لحربها الإجرامية ،اضطراباً كبيراً في تماسك المجتمع ، وأحدثت شرخا واسعا عبر عمليات التضييل التي قامت بها وسط المجتمع وخاصة وسط بعض قيادات الإدارات الأهلية في دارفور وكردفان ، وأدخلت الشباب في محرقة الحرب ، مما شكل هدرًا في القيم الوطنية والهوية والمواطنة ، كذلك تسببت جرائم المليشيا من نهب وسلب وترويع وقتل للمواطنين واغتصاب للنساء، وتدمير المستشفيات وندرة العلاج العديد من الأمراض البدنية والنفسية وصولاً إلى الجنون، مما يتطلب قيام المؤسسات الوطنية وبالتنسيق مع المنظمات والهيئات المختصة الدولية منها والوطنية تكريس جهودها في اعادة التأهيل للمتأثرين بالحرب وجرائمها، في تخفيف أعراض الاحداث وتقديم برامج الدعم النفسي وتوسيع خدمات الارشاد والعلاج النفسي والبدني.

وينبغي تجاه هذا الأمر، العمل في اتجاهات رفع القيم الوطنية وربط النسيج الاجتماعي بهذا اجتماعيا وإعلامياً من المهم أن تتولاه زمرة من العقلاء، وبدعم واسناد من الجهات المعنية بالدولة وتكون أحد شواغل وزارة الحكم الاتحادي بالتنسيق مع الجهات المختصة بالدولة، وتوظيف منظمات المجتمع المدني. وان تتدرج هذه المعالجات في سياقات مختلفة، بما في ذلك السياسة وعلم الاجتماع والتعليم ودور الثقافة والروابط الاجتماعية، باعتبار أن قيم الهوية الوطنية والمواطنة مكونات أساسية لمجتمع صحي ومتعافي وفعال، لأنها تعزز التماسك الاجتماعي والتعاون ورفاهية افراده، ولا بد ان يتعاون المجتمع ومؤسساته المدنية في ارساء وتعزيز قيم المواطنة كمبادئ واعراف توجه سلوك المواطنين داخل الأمة، وتشمل هذه القيم الديمقراطية والمساواة والعدالة



والاتجاه لمزيد من التأهيل والتدريب لأفراد قوات الأمن المكلفين بمواجهة إرهاب قوات الدعم السريع وامتداداتها الإقليمية، كجزء من مسار تنفيذ القانون ويتضمن هذا التدريب تعليم المهارات اللازمة للتصدي للتهديدات الأمنية بطرق فعالة وفقاً للقوانين المحلية والمعايير الدولية. وصقل المهارات وتوسيعها للانخراط في متابعة الخلايا الإرهابية والتعامل مع حالات الطوارئ وإجراءات حفظ النظام، فضلاً عن تعزيز وتطوير قدرات الأجهزة الأمنية في مجال التدريب على القتال في المناطق المغلقة بالإضافة إلى توفير كافة المعينات اللوجستية والمعدات والأسلحة اللازمة لتنفيذ المهام خاصة بمكافحة الإرهاب.

ويعد تأمين الحدود ومنع تسلل المسلحين والمهربين ومعتادي الاجرام والارهابيين الذين انخرطوا للقتال بجانب مليشيا الدعم السريع من أهم الإجراءات في مواجهة نشاط إرهاب قوات الدعم السريع المتمردة. وتتضمن تلك الإجراءات دعم قدرات قوات الحدود الفنية واللوجستية وصرف حوافز تشجيعية، وتكثيف إقامة نقاط تفتيش وتطبيق إجراءات صارمة للتحقق من هوية الأشخاص والبضائع المارة عبر الحدود، والتنسيق مع دول الجوار لضبط الحدود، بالإضافة إلى استخدام التكنولوجيا المتطورة وتقنيات المراقبة الجيومكانية في اعمال الرصد والمراقبة.

من المهم — أيضاً — التواصل والتفاعل مع المجتمع باعتبار ذلك، أحد الأساليب الفعالة لمكافحة رواسب الأنشطة الإرهابية لمليشيا الدعم السريع، ومتابعتها عبر بناء علاقات قوية مع المجتمعات المحلية خاصة في الولايات الحدودية والتعاون معها في تبادل المعلومات والتبليغ عن أي نشاط مشبوهة، وتوفير متطلبات التوعية التثقيف ورفع الحس الوطني للمجتمع حول خطر الإرهاب وامتداده وكيفية التعامل معه.

ومن البديهي — أيضاً — مواجهة الافرازات الإرهابية لمليشيا الدعم السريع المتمردة بتوسيع وتعزيز التعاون والتنسيق الوطني بين الأجهزة الأمنية والجهات القضائية والجهات الحكومية الأخرى المعنية حتى يحقق تبادل المعلومات والخبرات بين هذه الجهات أعلى مستوى من الفعالية في مكافحة الأنشطة الإرهابية الدعم السريع.

لا اعتبار امتدادات الارهاب اقليميا ودوليا ، لا بد من تفعيل التعاون الاقليمي والدولي في مجال مكافحة الإرهاب ، في مجالات تبادل المعلومات والتنسيق المشترك في التأهيل والتدريب ورفع القدرات للكوادر وتفعيل القوانين والدعم الفني ، وإقامة الورش والنوبات المتخصصة وكلها مهمة وضرورية لتكامل الأدوار في النشاط الوقائي والمكافحة، ولذا بات من واجب الأجهزة المختصة في الدولة ومن بينها الأجهزة الأمنية ووزارات الخارجية والعدل والداخلية التعاون والتنسيق مع الدول الأخرى خاصة دول الجوار، بالإضافة إلى جهود المنظمات الإقليمية والدولية وتعزيز الجهود معها، بما في ذلك كل ما يتعلق بالسعي لاستكمال توصيف قوات الدعم السريع المتمردة كمنظمة إرهابية تشكل خطراً على الأمن والاستقرار محلياً وإقليمياً ودولياً.

## المراجع:

١. د. ميسون احمد عبد العزيز: الحرب في السودان وأثرها في تنامي الإرهاب إقليمياً.
٢. فريق / حنفي عبد الله أفندي: الخارطة الجيوسياسية لتوقعات الإرهاب والتطرف للعام ٢٠٢٤م.
٣. مرصد الأزهر - ٢٠٢٤/١٣/١٣: تطور فكر التنظيمات المتطرفة في إفريقيا.
٤. فريق / حنفي عبد الله أفندي: الأعداد ١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٨ من إصدارة: دلالات وتداعيات تصنيف مليشيا الدعم السريع منظمة إرهابية. مركز السودان لدراسات مكافحة الإرهاب.



## دور القوى الإقليمية والدولية في تشكيل المشهد الجيوسياسي في البحر الأحمر وتأثيره على القرن الأفريقي

إعداد: د. نشوى عبد النبي  
باحث متخصص بالدراسات اللوجستية  
مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار  
مجلس الوزراء المصري للوجستية  
مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار  
مجلس الوزراء المصري للوجستية



تُعنى هذه الدراسة بتقييم التنافس المتزايد على الموانئ والقواعد العسكرية في البحر الأحمر بين القوى الدولية والإقليمية، وتأثير ذلك على استقرار وأمن القرن الإفريقي. تُسلط الدراسة الضوء على الدور المحوري الذي يلعبه القرن الإفريقي في تشكيل المشهد الأمني والاقتصادي العالمي، وذلك بسبب طموحات القوى الكبرى المتزايدة. كما تُحلل الدراسة كيف تتداخل الأجندات الجيوسياسية والاقتصادية مع التطورات الأمنية في المنطقة، وكيف تؤثر مشاركة الجهات الفاعلة الخارجية على الحكومات في القرن الإفريقي والبحر الأحمر. تشير الدراسة إلى أن مشاركة القوى الكبرى في المنطقة تحمل في طياتها فرصًا للنمو والتكامل، ولكنها في الوقت نفسه تشكل تهديدات كبيرة لاستقرار المنطقة، حيث تزيد من احتمالية اندلاع الحروب والنزاعات بالوكالة، وتعمق الخلافات الجيوسياسية، مما يعوق جهود تحقيق السلام والاستقرار على المدى الطويل. الكلمات المفتاحية: موانئ البحر الأحمر، القواعد العسكرية، أمن القرن الإفريقي، الحرب بالوكالة.

### Abstract

This study aims to assess the growing competition for ports and military bases in the Red Sea among international, regional, and local powers, and its impact on the stability and security of the Horn of Africa. The study highlights the pivotal role played by the Horn of Africa in shaping the global security and economic landscape, driven by the increasing ambitions of major powers. It analyzes how geopolitical and economic agendas intersect with security developments in the region and how the involvement of external actors affects governments in the Horn of Africa and the Red Sea.

The study suggests that the involvement of major powers in the region presents opportunities for growth and integration, but also poses significant threats to regional stability. It increases the likelihood of wars and proxy conflicts, deepens geopolitical rivalries, and hinders efforts to achieve long-term peace and stability in the region.

Keywords; Red Sea ports - Military bases - Security of the Horn of Africa - Proxy war

## مقدمة: أصبح البحر الأحمر مركزًا استراتيجيًا للتجارة

العالمية ونقل الطاقة بسبب قربه من الممرات الملاحية الرئيسية واحتياطيات النفط، أدى ذلك إلى زيادة مشاركة القوى العالمية الكبرى في المنطقة، مما أسفر عن شبكة معقدة من المصالح الاستراتيجية والاقتصادية، وتساعد التنافس بين هذه القوى في السنوات الأخيرة، مما أدى إلى عدد من التحديات الجيوسياسية والاقتصادية الجغرافية.

يُعد البحر الأحمر ممرًا مائيًا حيويًا يربط الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا، شهدت المنطقة تغييرات جيوسياسية واقتصادية جغرافية كبيرة في السنوات الأخيرة، مما أدى إلى زيادة المنافسة بين القوى الإقليمية والدولية. وساهم اتفاق السلام بين إثيوبيا وإريتريا، والاستقرار الهش في الصومال، والتوترات بين مصر وإثيوبيا بشأن سد النهضة الإثيوبي الكبير، والانتقال الجاري في السودان الآن الحرب الأهلية، في الديناميكيات الجيوسياسية المعقدة للمنطقة.

يوضح النشاط الحالي للتفاعلات بين القوى العظمى في المنطقة كيف تحول البحر الأحمر بسرعة إلى مسرح لمكائد جيوسياسية جديدة حيث يتحدى الانخراط بين حكومات الخليج وأفريقيا المفاهيم المسبقة ويذيب الحدود، وتتنافس الدول الشرق أوسطية السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر وتركيا على السيادة والقوة والنفوذ في القرن الإفريقي على أساس الجهات الفاعلة الحكومية. بالإضافة إلى ذلك، هناك لاعبون دوليون مثل الولايات المتحدة والصين وروسيا وربما الاتحاد الأوروبي يتنافسون في السباق الجديد لأفريقيا في القرن الحادي والعشرين. سبب الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر والتنافس على النفوذ على الدول التي تحده وتعتمد عليه في التجارة والعبور، أصبح القرن الإفريقي الآن مكونًا أساسيًا ورابطًا بين أنظمة الأمن في الشرق الأوسط والمحيط الهندي والمتوسط، وبدأت الخريطة الجيوسياسية للبحر الأحمر في تضمين المناطق الاستراتيجية من الساحل الغربي والقرن الإفريقي، وتحولت السودان وجيبوتي والصومال وإريتريا إلى ساحات معركة لكفاح جديد في القرن الإفريقي. مع تنافس عدد من القوى العسكرية على النفوذ، أصبح القرن الآن مرتبطًا بعدة "خيوط لؤلؤ"، وهي شبكات من القواعد العسكرية والموانئ ذات الاستخدام المزدوج.



إن التنافس الجيوسياسي والاقتصادي الجغرافي في البحر الأحمر له آثار كبيرة على السلام والأمن في أفريقيا، ومن الضروري أن تعمل القوى الإقليمية معاً لتعزيز التعاون متعدد الأطراف والتنمية الاقتصادية في المنطقة مع تجنب التصعيد العسكري. إن المنافسة الناشئة بين القوى الشرق أوسطية والتنافس بين القوى العظمى العالمية في القرن الإفريقي مكثفة في مشاركتها، ومتعددة الأبعاد ومعقدة في طبيعتها، وغالباً ما تكون غير قابلة للتنبؤ في مستقبلها وبعيدة المدى في آثارها على السلام والأمن والعلاقات الدولية في المنطقة.

### يتم تقسيم الدراسة إلى:

- (١) **القسم الأول:** أهداف الدراسة والأسئلة البحثية والمنهجية المستخدمة لتحليل الدراسة.
- (٢) **القسم الثاني:** يتضمن إطاراً مفاهيمي ونظري ونظرة عامة موجزة للمنافسات الجيوستراتيجية بين القوى العظمى في البحر الأحمر والقرن الإفريقي خلال الحرب الباردة وما بعدها.
- (٣) **القسم الثالث:** يتناول المنافسة على الوصول إلى الموانئ والقواعد العسكرية وتساعد التنافس الجيوسياسي في القرن الإفريقي، والدافع الرئيسي ومحرك منافسة القوى العظمى للوصول إلى القواعد العسكرية والموانئ في القرن الإفريقي.
- (٤) **القسم الرابع:** تأثير المنافسة الحالية بين القوى العظمى على الأمن والسلام في القرن الإفريقي بالإضافة إلى الطريق إلى الأمام في إدارة التفاعلات المعقدة.
- (٥) **القسم الخامس:** التوصيات للدول في المنطقة في ضوء الديناميكيات الجيوستراتيجية المتغيرة في منطقة البحر الأحمر.

القسم الأول (أهداف الدراسة، الأسئلة البحثية، منهجية الدراسة)

### أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة إلى تحليل المصالح الاستراتيجية والاقتصادية للقوى العالمية الكبرى في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي، بما في ذلك الصين والولايات المتحدة وأوروبا، وتهدف إلى تقديم فهم شامل للآثار السياسية والاقتصادية والأمنية لهذه المنافسة على الدول في المنطقة وخارجها.

في ضوء التغير في المشهد الجيوسياسي للبحر الأحمر، تهدف تلك الدراسة إلى:

- تحليل المصالح الاستراتيجية والاقتصادية للقوى العالمية الكبرى في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي، بما في ذلك الصين والولايات المتحدة وأوروبا.

- تقديم فهم شامل للآثار السياسية والاقتصادية والأمنية لهذه المنافسة على الدول في المنطقة وخارجها. لفهم تطور المنافسة بين القوى العظمى تاريخياً في البحر الأحمر وكيف تغير الديناميكيات الإقليمية اتجاه منافسة القوى العظمى، والعكس صحيح، واستكشاف الآثار السياسية لمنافسة القوى العظمى الحالية على شؤون القرن الإفريقي.

### الأسئلة البحثية

- كيف يساهم التنافس على الوصول إلى الموانئ والقواعد العسكرية في زيادة التنافس الجيوسياسي والاقتصادي الجغرافي في البحر الأحمر والقرن الإفريقي؟
- ما هي آثار زيادة التنافس الجيوسياسي بين القوى العظمى على السلام والأمن في القرن الإفريقي؟
- ما هي الدوافع الرئيسية والأهداف لمنافسة القوى العظمى الجيوستراتيجية الجديدة في البحر الأحمر والقرن الإفريقي؟

### الإطار المفاهيمي والنظري

**الاقتصاد الجغرافي**، وهو مصطلح اكتسب شعبية في السنوات الأخيرة، وهو مجال معقد يجمع بين الاقتصاد والجغرافيا والسياسة. وعلى الرغم من استخدامه على نطاق واسع، لا يوجد تعريف عالمي مقبول للمصطلح. ومع ذلك، يُفهم على نطاق أوسع كدراسة الجوانب المكانية والزمانية والسياسية للاقتصادات والموارد. غالباً ما يُعزى التمييز بين الاقتصاد الجغرافي والجيوبوليتيك إلى إدوارد لوتواك، الاستراتيجي والاستشاري العسكري الأمريكي، وباسكال لوروت، الاقتصادي والعالم السياسي الفرنسي. وكان لوتواك من أوائل المساهمين في فترة ما بعد الحرب الباردة الذين اقترحوا أن تمتد المنافسة الجيوسياسية المستقبلية إلى المجال الاقتصادي.

**بينما يرتبط الاقتصاد الجغرافي والجيوبوليتيك ببعضهما البعض**، إلا أنهما ليسا متطابقين، حيث تتضمن الجغرافيا السياسية التفاعلات بين الدول القومية كوحدات سيادية غير قابلة للتجزئة تمارس القوة السياسية. من ناحية أخرى، يعمل الاقتصاد الجغرافي وفقاً لـ «منطق التجارة» للاقتصاد الكلاسيكي الجديد الذي يفصل على ما يبدو ديناميكيات السوق عن القوة السياسية.

كمفهوم تحليلي، يبدأ الاقتصاد الجغرافي عادة من فرضية الانخفاض النسبي للشواغل العسكرية وارتفاع الشواغل الاقتصادية في العلاقات بين الدول، ويؤكد على كيفية تنافس الدول بشكل أساسي مع بعضها البعض من أجل القوة الاقتصادية. من خلال دمج الجغرافيا السياسية والاقتصاد، يسلط منظور الاقتصاد الجغرافي الضوء على كيفية

أن النفوذ الاقتصادي وليس العسكري أكثر أهمية في السعي لتحقيق المصالح الوطنية في النظام الدولي الحالي. يمكن ملاحظة إبحار الاقتصاد الجغرافي بوضوح في السياسات الخارجية للقوى الإقليمية.

**الاقتصاد الجغرافي** هو منظور نظري يدرس التفاعل بين الاقتصاد الدولي والجيوپوليتيك والاستراتيجية. إنه يتجاوز التركيز الجيوسياسي الكلاسيكي على الصراع ومركزية الدولة والقضايا الأمنية. يُفهم الاقتصاد الجغرافي على أنه دراسة آثار وأسباب الصراعات على السلطة بين الجهات الفاعلة المختلفة في النظام الدولي. وهو يشمل طريقة لرؤية العالم يتم فيها النظر إلى الاستراتيجيات المكانية الاقتصادية على أنها معقولة ومرغوبة.

يمكن اعتبار **الاقتصاد الجغرافي** نهجًا ثلاثي الطبقات: الطبقة الأولى هي طبقة السياسة، على غرار الاقتصاد السياسي الدولي، الطبقة الثانية هي طبقة التكامل، على غرار الجغرافيا الاقتصادية والتنظيم الصناعي، الطبقة الثالثة هي طبقة المعاملات، كما يتضح في الاقتصاد المالي. يجادل لوتواك بأن المنطق الكامن وراء الصراع العسكري ينطبق أيضًا على التجارة الدولية. تسعى الدول إلى زيادة الإيرادات داخل حدودها، غالبًا على حساب الدول الأخرى. يؤدي هذا الوضع ذو المجموع الصفري إلى منطق الصراع داخل التجارة.

في سياق البحر الأحمر، تتضح المنافسات الجغرافية والجيوسياسية بين القوى العظمى، وتقرض دول الخليج مثل الإمارات العربية المتحدة والسعودية وقطر وتركيا نفسها في القرن الإفريقي كما لم يحدث من قبل. وهم يسعون إلى توسيع نفوذهم من خلال الموانئ التجارية والمواقع العسكرية على ساحل البحر الأحمر الإفريقي، واتخذت القوى العظمى مثل الصين وفرنسا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة مواقعها في مركز البحر الأحمر وخليج عدن. كما أبدت الهند والسعودية اهتمامًا بإقامة قواعد في جيبوتي، بينما تلاعبت روسيا بوجودها الاستراتيجي الخاص بها في القرن. أدى التواجد الصيني المتزايد في جيبوتي إلى جذب انتباه جديد للاستثمارات الاقتصادية الصينية في منطقة البحر الأحمر. تتجاوز القروض الصينية وعقود البناء والاستثمارات في البنية التحتية في القرن الإفريقي ومنطقة البحر الأحمر الأوسع نطاقها استثمارات الولايات المتحدة. هذه التطورات تحدي الافتراضات القديمة وتمحو الحدود القديمة. في الختام، فإن التنافس الجيوسياسي والاقتصادي الجغرافي في منطقة البحر الأحمر له بالفعل آثار كبيرة على السلام والأمن في أفريقيا. من الضروري أن تعمل القوى الإقليمية معًا لتعزيز التعاون متعدد الأطراف والتنمية الاقتصادية في المنطقة مع تجنب التصعيد العسكري.

القسم الثاني: الإطار المفاهيمي للمنافسات الجيوستراتيجية بين القوى العظمى في البحر الأحمر والقرن الإفريقي خلال الحرب الباردة وما بعدها

### سباق التسلح والتنافس الاستراتيجي في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي

تتمتع منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي بأهمية جيوسياسية واقتصادية جغرافية كبيرة، وتعتبر المنطقة موطن لبعض أكثر الممرات الملاحية ازدحامًا في العالم، والتي تربط أوروبا وآسيا والشرق الأوسط. كما أن البحر الأحمر طريق حيوي لصادرات النفط من الخليج الفارسي إلى أوروبا وأمريكا الشمالية. يقع القرن الإفريقي في موقع استراتيجي عند تقاطع المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، مما يجعله بوابة حاسمة للتجارة بين آسيا وأوروبا وأفريقيا يعد البحر الأحمر، الذي يحيط به ستة بلدان أفريقية وأربعة بلدان من الشرق الأوسط، ومحصورًا بين قارتين، الممر لحوالي ١٠٪ من التجارة العالمية، يمر حاليًا ٤٠٪ من التجارة بين آسيا وأوروبا وأكثر من ١٢٪ من جميع الشحن البحري عبر البحر الأحمر. يتم نقل غالبية التجارة الدولية - حوالي ٨٠٪ منها - عن طريق البحر، وتعد قناة السويس ومضيق هرمز ومضيق باب المندب الثلاثة نقاط اختناق بحرية تحدد الدول التي يمكنها الوصول إلى هذا الطريق الاقتصادي الحاسم في المنطقة، مما يزيد من حساسية المنطقة العالية تجاه نقاط الاختناق. هذه نقاط الاختناق ذات أهمية كبيرة للعديد من الجهات الفاعلة الدولية. تعد الحرية غير المقيدة والوصول الحر، فضلاً عن حرية الحركة، أمرًا بالغ الأهمية للاقتصادات الآسيوية الجنوبية الشرقية، بما في ذلك الصين واليابان وكوريا الجنوبية والهند والاتحاد الأوروبي. (١)

يوضح الموقع المميز للبحر الأحمر بالقرب من عدد من مصادر الطاقة الرئيسية ثروة المنطقة الحالية ويتنبأ بمزيد من النمو الاقتصادي، تنتج أفريقيا أكثر من ٥٠٠ ألف برميل نفط يوميًا من مصر والسودان فقط. وعلى الجانب الآخر من الشرق الأوسط، تنتج السعودية وعمان أكثر من ١٢ مليون برميل يوميًا من النفط، ويتجاوز إجمالي إنتاج النفط اليومي من دول مثل الولايات المتحدة وروسيا والصين وليبيا وإيران ٥٠ مليون برميل، بالإضافة إلى إنتاج يومي من الغاز الطبيعي المسال يبلغ حوالي ٣,٥ مليار قدم مكعب، إلى جانب ٧٠٠ مليار دولار من التجارة البحرية التي تعبر الطريق حاليًا كل عام، فإن طريق الحرير البحري الجديد الصيني، والطبقة المتوسطة الإفريقية المتنامية، واكتشافات النفط في القرن أصبحت جميعها موضوعات ساخنة في المنطقة وخارجها.

كانت المنطقة موقعاً لمنافسة جيوسياسية شديدة لعدة قرون، تنافست الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية البريطانية وقوى أوروبية أخرى على السيطرة على المنطقة في القرنين التاسع عشر والعشرين. وفي السنوات الأخيرة، أصبحت المنطقة ساحة معركة للقوى الإقليمية مثل السعودية وإيران وتركيا ومصر. كما تضم منطقتا البحر الأحمر والقرن الإفريقي العديد من الدول الهشة المعرضة للصراع وعدم الاستقرار. تعيش الصومال في حالة حرب أهلية منذ عام ١٩٩١، بينما تعاني جنوب السودان من حرب أهلية منذ عام ٢٠١٣. وتعيش اليمن في حالة حرب منذ عام ٢٠١٥، مع عواقب إنسانية مدمرة. تعتبر منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي منطقة حيوية للتجارة والأمن العالميين، وتواجه المنطقة العديد من القضايا الجيوسياسية والاقتصادية الجغرافية ذات

الآثار البعيدة المدى، حيث يعد البحر الأحمر طريقاً بحرياً حاسماً للتجارة العالمية، ويربط آسيا وأوروبا والشرق الأوسط. يضم القرن الإفريقي كل من جيبوتي وإريتريا وإثيوبيا والصومال والسودان.

### فيما يلي بعض القضايا الرئيسية في المنطقة:

- **التوقعات الجيواقتصادية المتنامية:** أصبحت منطقة البحر الأحمر ذات أهمية متزايدة في الجغرافيا السياسية العالمية بسبب موقعها الاستراتيجي، تقوم العديد من الدول في منطقة الخليج الأوسع والقوى الخارجية بتوسيع نفوذها إلى البحر الأحمر والقرن الإفريقي. أدى ذلك إلى توقعات جيواقتصادية متنامية، وتنافس عسكري، وخطر المواجهة بين اللاعبين الإقليميين الرئيسيين والجهات الدولية الفاعلة.
- **المنافسة العسكرية:** أصبحت منطقة البحر الأحمر موقعاً للمنافسة العسكرية بين القوى الإقليمية والدولية، أنشأت العديد من الدول قواعد عسكرية في المنطقة، بما في ذلك الصين وفرنسا وإيطاليا واليابان والسعودية وتركيا والولايات المتحدة. أدى ذلك إلى مخاوف بشأن سكرة المنطقة.
- **التحديات والفرص الاقتصادية:** يُعد القرن الإفريقي أحد أفقر مناطق العالم، ومع ذلك، فإن لديها إمكانات اقتصادية كبيرة بسبب موقعها الاستراتيجي. إن المنطقة موطن لعدة موانئ مهمة للتجارة العالمية، ومع ذلك، فإن عدة عوامل، مثل عدم الاستقرار السياسي والفساد والبنية التحتية غير الكافية، أعاقَت النمو الاقتصادي في المنطقة.
- **استقرار المنطقة:** تواجه منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي العديد من التحديات التي تتطلب تعاوناً إقليمياً لمعالجتها، وتشمل هذه التحديات الإرهاب والقرصنة وتجارة البشر والصيد غير القانوني، تم إطلاق العديد من المبادرات لتعزيز التعاون الإقليمي في المنطقة. (٢)



## (١) خريطة منطقة القرن الإفريقي



المصدر : The Horn of Research Briefing 2024 ,  
Africa and the Red Sea

تعد منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي مشهداً جيوسياسياً معقداً وديناميكياً ذو أهمية كبيرة للتجارة والأمن العالميين، وعلى الرغم من التحديات الكبيرة التي تواجه المنطقة، إلا أن هناك أيضاً فرصاً للتعاون والتنمية يمكن أن تساعد في تعزيز الاستقرار والازدهار. وتواجه منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي العديد من القضايا الجيوسياسية والاقتصادية الجغرافية التي تتطلب تعاوناً إقليمياً لمعالجتها، وتشمل القضايا الرئيسية التي يجب معالجتها التوقعات الجيواقتصادية المتنامية، والمنافسة العسكرية، والتحديات والفرص الاقتصادية، واستقرار المنطقة.

## القوى العظمى في البحر الأحمر والقرن الإفريقي خلال الحرب الباردة

إن منافسة القوى العظمى في فترة ما بعد الحرب الباردة في البحر الأحمر والقرن الإفريقي هي قضية معقدة لها جذور تاريخية عميقة. خلال الحرب الباردة، تطورت منافسة شرسة تركز على القرن بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، مما جعل المنطقة بؤرة للمواجهة الدولية في السبعينيات والثمانينيات.

تورطت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في القرن لأسباب أيديولوجية وواقعية سياسية مختلطة، وكان القرن الإفريقي، الذي يضم دولاً مثل إثيوبيا والصومال، منطقة ذات أهمية كبيرة خلال الحرب الباردة بسبب موقعه الاستراتيجي. كان تأثير الحرب الباردة على المنطقة عميقاً ودائماً، وقد عجل وكثف العلامة الصفرية لسياسة العرق في القرن الإفريقي من عام ١٩٧٧ إلى عام ١٩٨٥. أعادت المنافسة بين موسكو وواشنطن من عام ١٩٧٧ إلى عام ١٩٧٨ ترتيب ديناميكيات القوى العظمى في المنطقة. أدى تدخل القوى العظمى إلى رفض الأنظمة الحاكمة الحلول الدبلوماسية لمختلف التمردات العرقية ضد حكمها، مما أدى إلى مجاعة في إثيوبيا. (٣)

أدى انتهاء الحرب الباردة في إفريقيا إلى نهاية خطوط الحياة الحيوية للنظم سيئة السمعة في أديس أبابا ومقدشو، مما أدى إلى انهيارها في عام ١٩٩١. ووضع هذا الاستنتاج الأساس للقرن الدموي في القرن الحادي والعشرين، حيث كانت حرب أوغادين بين إثيوبيا والصومال حدثاً رئيسياً لفهمها خلال هذه الفترة. وفي بداية السبعينيات، كانت الصومال في المجال السوفيتي، حيث استضافت قاعدة سوفيتية ورفعت جيشاً مدعوماً من السوفييت. وفي الوقت نفسه، كانت إثيوبيا شريكاً موثقاً للولايات المتحدة. أدى انقلاب الإمبراطور هيلا سيلاسي في عام ١٩٧٤ من قبل مجموعة من الضباط اليساريين الشباب المعروفين باسم **الديرغ** إلى تفكيك هذا المحاذاة. بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١، انتهى التنافس الإقليمي مع الولايات المتحدة الذي ساعد في دفع سلسلة من الصراعات المدمرة في القرن الإفريقي، وبدلاً من الصراعات بالوكالة التي تم حوضها في البلدان النامية في السبعينيات والثمانينيات، بما في ذلك في القرن الإفريقي، ظهر تركيز جديد على التدخلات الإنسانية التي تتمتع بالشرعية الدولية. في الختام، ربما كان بإمكان القوى العظمى إدارة خاتمة الحرب الباردة بشكل أفضل في القرن. بعد كل شيء، جلبت المنافسة في القرن الإفريقي مكاسب جيوسياسية قليلة للقوى العظمى المتنافسة.

## المنافسة الجيوستراتيجية الجديدة للقوى العظمى في البحر الأحمر والقرن الإفريقي

المنافسة الجديدة للقوى العظمى في البحر الأحمر هي قضية معقدة تشمل العديد من القوى العالمية والإقليمية، تُدفع هذه المنافسة بأهمية المنطقة الاستراتيجية، التي تعمل كمعبر حاسم للتجارة العالمية والعمليات العسكرية. تُعد المنافسة الجديدة للقوى العظمى على الموانئ والقواعد العسكرية في البحر الأحمر والقرن الإفريقي تجسيداً للمشهد الجيوسياسي المتغير، حيث أصبح القرن الإفريقي والبحر الأحمر مسرحاً لمنافسة القوى

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث (اساد)

العالمية. أظهرت القوى العظمى مثل الولايات المتحدة والصين وروسيا، بالإضافة إلى القوى الإقليمية مثل السعودية والإمارات العربية المتحدة وتركيا، اهتمامًا متزايدًا بهذه المنطقة، إنهم ينشئون قواعد عسكرية، ويستثمرون في مشاريع البنية التحتية، ويعقدون تحالفات مع الحكومات المحلية. (٤) على سبيل المثال، أنشأت الصين أول قاعدة عسكرية لها في الخارج في جيبوتي، كما تمتلك الولايات المتحدة قاعدة عسكرية في جيبوتي، تُستخدم في عمليات مكافحة الإرهاب في اليمن والصومال. وتفاوضت روسيا مع السودان لإقامة قاعدة بحرية على ساحل البحر الأحمر. هذه الأنشطة لا تتعلق فقط بالوجود العسكري، بل تتعلق أيضًا بالفوز بالنفوذ الاقتصادي. كما تشمل مبادرة الحزام والطريق الصينية العديد من مشاريع البنية التحتية في هذه المنطقة، وبالمثل، تستثمر دول الخليج بشكل كبير في العقارات والقطاعات الأخرى.

### الدوافع الرئيسية والأهداف:

تُدفع المنافسة على الموانئ والقواعد العسكرية في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي من خلال تفاعل معقد للعوامل الجيوسياسية والاقتصادية والاستراتيجية، وتشمل هذه المنافسة كل من القوى الإقليمية والعالمية، مما يعكس الأهمية الاستراتيجية لهذه المناطق:

- **العوامل الجيوسياسية:** يقع البحر الأحمر والقرن الإفريقي عند تقاطع آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط، وهذا يجعلهما نقطتي تحكم حاسمتين لطرق التجارة العالمية، ولا سيما لشحنات النفط التي تمر عبر قناة السويس. تتيح السيطرة على هاتين المنطقتين للدول ممارسة النفوذ على هذه الطرق التجارية الحيوية.
- **العوامل الاقتصادية:** يعد القرن الإفريقي باب آسيا والخليج إلى الموارد الطبيعية الهائلة في أفريقيا، حيث اجتذبت الموارد الطبيعية غير المستغلة الهائلة في المنطقة استثمارات كبيرة من دول مثل الصين.
- **العوامل الاستراتيجية:** يوفر وجود القواعد العسكرية في هذه المناطق مزايا استراتيجية للدول. على سبيل المثال، افتتحت الصين أول قاعدة عسكرية لها في الخارج في جيبوتي عام ٢٠١٧، تطل هذه القاعدة على نقطة اختناق استراتيجية رئيسية وأحد أكثر الممرات الملاحية ازدحامًا في العالم، كما أنها تجذب انتباهًا جديدًا للاستثمارات الاقتصادية الصينية في منطقة البحر الأحمر.
- **الأطراف المشاركة:** تشارك دول مثل الصين وفرنسا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة والإمارات العربية المتحدة والسعودية وقطر وتركيا والهند وروسيا في هذه المنافسة، لكل دولة مصالحها واستراتيجياتها الخاصة. على سبيل المثال، اعترفت الصين منذ فترة طويلة بأهمية الموارد الطبيعية الهائلة غير المستغلة في أفريقيا، وبعد عقدين من الاستثمار والاستخدام الذكي للدين، أصبح نفوذ الصين الآن يمتد عبر القارة بأكملها. (٥)

## المنافسة على الوصول إلى الموانئ والقواعد العسكرية وتصاعد التنافس الجيوسياسي في القرن الأفريقي

إن المنافسة الجديدة للقوى العظمى على الموانئ والقواعد العسكرية في البحر الأحمر والقرن الأفريقي هي تجسيد للمشهد الجيوسياسي المتغير، وتُدفع هذه المنافسة بأهمية المنطقة الاستراتيجية، التي تعمل كمعبر حاسم للتجارة العالمية والعمليات العسكرية.

تسعى دول مثل الإمارات العربية المتحدة والسعودية وقطر وتركيا إلى توسيع نفوذها في القرن الأفريقي، وتفعل ذلك من خلال الموانئ التجارية والمواقع العسكرية على ساحل البحر الأحمر الإفريقي. أدى ذلك إلى ما يطلق عليه البعض «السباق الجديد لأفريقيا»، والذي يتسم بانتشار الموانئ البحرية والمرافق العسكرية. علاوة على ذلك، أنشأت القوى العظمى مثل الصين وفرنسا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة وجودها عند تقاطع البحر الأحمر وخليج عدن، كما أبدت الهند والسعودية اهتمامًا بإقامة قواعد في جيبوتي، بينما أبدت روسيا اهتمامًا بوجود استراتيجي خاص بها في القرن.

هذا الارتفاع في المشاركة السياسية والاقتصادية والاستراتيجية عبر البحر الأحمر يمثل تحديًا للافتراضات القديمة ويمحو الحدود القديمة. ومع ذلك، من المهم ملاحظة أن هذا الانخراط الجديد من القوى الخارجية يمثل تحديات وفرصًا للدول الإفريقية الهشة على الشواطئ الغربية للبحر الأحمر، وتعيد هذه المنافسة الجديدة للقوى العظمى تشكيل الديناميكيات الجيوسياسية في منطقتي البحر الأحمر والقرن الأفريقي. إنها قضية معقدة ذات آثار محتملة على الاستقرار الإقليمي والتنمية الاقتصادية والعلاقات الدولية.

## الموانئ كنقاط ساخنة للأمن الإقليمي في القرن الأفريقي

بشكل عام، كان الدور الرئيسي للموانئ عبر التاريخ هو نقل البضائع من السفن إلى وسائل النقل الأخرى والعكس صحيح، وتعمل الموانئ كمحاور للتصنيع والصناعة لأن لديها تكاليف معاملات وعبور أقل. لهذه الأسباب، غالبًا ما تكون الموانئ بمثابة نقطة محورية لاستراتيجية الدولة الاقتصادية بأكملها، خاصة في البلدان النامية. أصبح البحر الأحمر والقرن الإفريقي بؤرتين لنوع جديد من المنافسة الجيوسياسية، حيث تشهد هذه المنطقة سباقًا مكثفًا بين القوى العظمى للسيطرة على الموانئ والقواعد العسكرية، مدفوعًا بأهميتها البحرية الاستراتيجية.



برزت **جيبوتي**، وهي دولة صغيرة في القرن الإفريقي، كلاعب مهم في هذا السباق، حيث تكمن أهميتها الاستراتيجية في موقعها الجغرافي عند مضيق باب المندب، الذي يربط المحيط الهندي بالبحر الأبيض المتوسط ويحمل أكثر من ٣٠٪ من التجارة البحرية العالمية اليوم. تستضيف جيبوتي العديد من القواعد العسكرية الخارجية، بما في ذلك قواعد فرنسا والولايات المتحدة والصين.

في السنوات الأخيرة، شهدت **جيبوتي** تحولاً في تحالفاتها، فبعد خلاف مع دبي العالمية للأرصافة في عام ٢٠١٨، وجهت البلاد انتباهها إلى الصين، حيث تقدم الصين - التي بنت أول قاعدة عسكرية لها في الخارج في جيبوتي عام ٢٠١٧ - نموذجًا موحدًا يعتمد



على مدينة شيكو الساحلية. وفي ديسمبر ٢٠٢٠، توصلت أكبر شركة تشغيل للموانئ في الصين، وهي شركة اللوجستيات، إلى اتفاق مع جيوتي للاستثمار ٣ مليارات دولار في توسعة الميناء. (٦)

**تتنافس دول الخليج وتركيا والصين أيضاً على تأمين موطن قدم في القرن الإفريقي، على سبيل المثال، تستضيف الصومال أكبر قاعدة عسكرية تركية في الخارج، وتدير الشركات التركية ميناء ومطار مقديشو، وتدير الشركات الإماراتية موانئ بربرة وبوصاصو في أرض الصومال وبوتلاند على التوالي. كما بنت الإمارات قاعدة بحرية وجوية في عصب باريتريا. يمكن أن يؤدي إدخال النزاعات الإقليمية في سياسات هذه البلدان إلى تفاقم عدم الاستقرار في دول هشة بالفعل، ومع استثمار هذه القوى الخارجية مليارات الدولارات في المنطقة، يتبقى أن نرى كيف سيؤثر ذلك على مستقبل القرن الإفريقي ومنطقة البحر الأحمر. تقع جيوتي عند مصب البحر الأحمر، وتستضيف قواعد لعدة دول، بما في ذلك فرنسا والولايات المتحدة والصين. ويعد السباق على الموانئ في البحر الأحمر والقرن الإفريقي قضية جيوسياسية معقدة تتضمن قوى إقليمية وعالمية وقوى عظمى. تزيد دول الخليج وتركيا وإيران جهودها من أجل الوصول إلى القرن الإفريقي والمؤثرة فيه.**

- **تشكل الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وقطر وتركيا الطريقة التي تتفاعل بها هذه الدول مع الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية في القرن الإفريقي.**
- **تدير الشركات الإماراتية موانئ بربرة وبوصاصو في منطقة بونتلاند ذات الحكم الذاتي. من ناحية أخرى، تعد إثيوبيا، التي تعتمد تجارتها الخارجية بشكل أساسي على الموانئ البحرية، اللاعب الرئيسي الآخر في القرن الإفريقي المهتم بصناعة الموانئ. بعد استقلال إريتريا عام ١٩٩١، اضطرت إثيوبيا لتحمل العواقب الوخيمة لكونها واحدة من الدول القليلة غير المطلّة على البحر في العالم، مع تداعيات على اقتصادها وسياساتها. تمتلك إثيوبيا مصالح استراتيجية قصيرة وطويلة الأجل للوصول إلى الموانئ بسبب اقتصادها سريع النمو والطلب المتزايد السريع وموقعها غير الساحلي، ولمواصلة تجارتها الدولية، ذهبت إلى كل هذه الموانئ على القرن والمحيط الهندي. بالنسبة للسكان المتزايدين بسرعة ومبادرات التنمية الاقتصادية لإثيوبيا، ظهر تنويع الموانئ وتقليل الاعتماد على جيوتي كأولويات رئيسية للسياسة الخارجية والأمن القومي.**

بعد الحرب الإثيوبية الإريتيرية عام ١٩٩٨، جعل الاعتماد المفرط لإثيوبيا على جارتها جيوتي في تجارتها الخارجية الأمة عرضة للخطر من حيث الاستراتيجية والأمن القومي.

**من وجهة نظر جيوسياسية وسياسية خارجية، فإن اهتمام إثيوبيا بالدول المجاورة**

الأخرى، مثل إريتريا وكينيا والسودان وصوماليالاند، أمر منطقي. حيث فتحت المصالحة الإثيوبية الإريتريّة عام ٢٠١٨ نافذة جيوسياسية جديدة لكلا البلدين للاستثمار في الموانئ لإعادة تأهيل مصوع والموانئ الإريتريّة الأخرى، وفي محاولة لتوسيع منافذ الموانئ وخفض رسوم الموانئ وتوفير خيارات جديدة للمصالح الشحن الإثيوبية، أبرمت إدارة أبيي اتفاقيات مع السودان للحصول على حق الوصول إلى ميناء سودان. كما توصلت الدولة إلى اتفاق مع أرض الصومال، وهي دولة صومالية ذاتية الإعلان، للحصول على حصة ١٩٪ في ميناء بربرة، ويتضمن هذا الاتفاق أيضًا خطة لبناء طريق يربط حصة الإمارات العربية المتحدة البالغة ٥١٪ بالميناء.

يدفع هذا السباق على الموانئ الأهمية البحرية الاستراتيجية والوصول إلى الموارد الطبيعية الوفيرة والتنافس الإقليمي. ومع ذلك، مع اشتداد هذه المعركة عالية المخاطر، يزداد خطر زيادة عدم الاستقرار في القرن الإفريقي، فمن المهم ملاحظة أن هذا السباق لا يتعلق فقط بالقواعد العسكرية ولكن أيضًا بنماذج الاقتصادية ومسارات التنمية.

### **السباق على النفوذ في القرن الإفريقي من خلال إنشاء القواعد العسكرية**

القاعدة العسكرية الأجنبية هي موقع يضم عددًا محددًا من القوات المسلحة ويقع خارج السيطرة الإقليمية للدولة ذات السيادة، تتمتع بعمليات عسكرية ومؤسسات منظمة وبنية تحتية. من حيث الاستراتيجية، من الأهمية بمكان إسقاط القوة العسكرية في العلاقات الدولية، ومنصة لإطلاق العمليات والتدخلات العسكرية، وحماية المصالح الأجنبية، وإظهار القوة الناعمة، وتوسيع النفوذ السياسي في الخارج. يتأثر المجمع الأمني الإقليمي للقرن الإفريقي بشكل متزايد بالقوى الأجنبية، وفقًا لملاحظة أساسية لبيئة الأمن في المنطقة منذ بداية القرن الحادي والعشرين، وينطوي هذا الانخراط على مجموعة متنوعة من الوسائل والآليات والأساليب، بما في ذلك إنشاء القواعد العسكرية والمنشآت والبرامج والأموال.

### **المنشآت العسكرية الأجنبية في القرن الإفريقي**

تم إنشاء عشرة قواعد عسكرية أجنبية، يتواجد الكثير منها في جيبوتي، بالفعل في القرن الإفريقي من قبل قوى مختلفة وفقًا لمستوياتها الهرمية. ونتيجة لذلك، يتم تنظيم القوى على النحو التالي بناءً على التصنيف من بوزان وويفر. وهي القواعد العسكرية التي تديرها القوى الإقليمية والقوى العظمى والقوى الكبرى على التوالي. وسيتم تغطية كل منها بالتفصيل أدناه. شهد البحر الأحمر والقرن الإفريقي زيادة كبيرة في المنشآت العسكرية الأجنبية، مما يعكس الأهمية الاستراتيجية لهذه المناطق. فيما يلي تفصيل حسب القوى الإقليمية والعالمية والعظمى. (٧)

كما تمتلك إسرائيل قواعد عسكرية بحرية في جزر أرخبيل دهلك الإريتريّة -تحديدًا جزر «ديسي» و «دهوم» و «شومي»- وفي مدينة مصوع الساحلية، إلى جانب

محطة تنصت أعلى جبل إمبا سويرا. وتحوي الجزر الثلاث أحواض سفن سوفياتية قديمة تستعملها إسرائيل، إضافة إلى قاعدة عسكرية تعد ثاني أكبر قواعد إسرائيل البحرية خارج حدودها، وأحد أكبر مراكز التجسس المتقدمة في القرن الإفريقي ومنطقة مضيق باب المندب. وتطل القاعدة على البحر الأحمر، الذي يعد من أهم المناطق البحرية العالمية، إذ تمر به ٣٨٪ من حجم الملاحة الدولية، و٣,٨ ملايين برميل نفط يوميا، وهو مهم للحركة التجارية البحرية الإسرائيلية.

### • القواعد العسكرية للقوى الإقليمية:

تبدو القوى الإقليمية وكأنها تتمتع بكفاءة عالية في مناطقها، لكنها لا تسجل الكثير على نطاق واسع على المسرح العالمي. تماشياً مع ذلك، خضع الانخراط الأمني لدول الشرق الأوسط والخليج في القرن الإفريقي لتطور مطرد على مدار العقد الماضي. يشكل القرن الإفريقي والشرق الأوسط منطقتين مختلفتين ولكنهما مترابطتان للغاية. الجزء المركزي من هاتين المنطقتين، البحر الأحمر، هو الرابط الرئيسي بين المناطق الفرعية. زاد وجود دول الخليج في القرن الإفريقي في البداية؛ كان الدافع الرئيسي للتوسع هو المنافسة الأمنية بين إيران ودول مجلس التعاون الخليجي، ثم أدى اندلاع الحرب في اليمن عام ٢٠١٥ إلى تسريع الانخراط العسكري من قبل دول مجلس التعاون الخليجي بشكل كبير، بما في ذلك إنشاء قواعد في المنطقة. في القرن الإفريقي، لا تسعى دول الخليج فحسب، بل مصر وتركيا وإيران أيضاً إلى بناء قواعد عسكرية. كما هو الحال في شرق البحر الأبيض المتوسط، يتم تصدير المنافسات الشرق أوسطية إلى القرن الإفريقي مع منافسة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ومصر لتركيا وقطر من أجل الهيمنة. نفذت الإمارات العربية المتحدة عمليات في اليمن انطلاقاً من قاعدة في إريتريا، وورد أنها سعت إلى بناء قاعدة أخرى في أرض الصومال، المنطقة الشمالية شبه المستقلة في الصومال. وبحسب ما ورد، سعت المملكة العربية السعودية إلى إنشاء قاعدة في جيبوتي وكانت نشطة دبلوماسياً، حيث وصلت إلى حد عقد منتدى البحر الأحمر عام ٢٠١٨م في محاولة لوضع نفسها كمركز ثقل في منطقة تشمل القرن الإفريقي المتقلب. وفي الوقت نفسه، تم تصدير الانقسام الدبلوماسي داخل مجلس التعاون الخليجي إلى القرن، حيث عززت تركيا وقطر وجودهما في الصومال، التي تستضيف أكبر منشأة عسكرية تركية في الخارج. زادت دول الخليج والسعودية وتركيا وقطر مشاركتها في القرن الإفريقي بشكل كبير في السنوات الأخيرة لأسباب اقتصادية وسياسية وجيوسياسية عديدة. سعت دول الشرق الأوسط والخليج إلى «الحكم الاقتصادي»، باستخدام الاستثمارات الاقتصادية الاستراتيجية لتحقيق أهدافها السياسية والعسكرية والاقتصادية في المنطقة.

### • الإمارات العربية المتحدة: أنشأت الإمارات العربية المتحدة قاعدة بحرية

في عصب إريتريا. كما تدير موانئ بربرة وبوصاصو في منطقة بونتلاندا ذات الحكم الذاتي وجمهورية أرض الصومال غير المعترف بها.

### • المملكة العربية السعودية: لدى المملكة العربية السعودية اتفاق مع

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث (اساد)

- جيبوتي لبناء أول قاعدة لها خارج البلاد.
- **قطر:** تعمل قطر على ترسيخ نفسها في جنوب الصومال.
- **تركيا:** تستضيف تركيا أكبر قاعدة عسكرية لها خارج البلاد في الصومال، وتدير الشركات التركية ميناء ومطار مقديشو. (٨)
- **القواعد العسكرية للقوى العظمى:** القوى العظمى هي بين القوى العظمى والإقليمية في الغالب والتي تكون في ترتيب القوة العالمية ومع بعض درجة من مهمة القدرة العسكرية. خلال الحرب الباردة كانت تحتلها الصين وألمانيا واليابان، مع وجود بريطانيا وفرنسا في شك متزايد. بعد الحرب الباردة كانت تحتلها بريطانيا وفرنسا وألمانيا والاتحاد الأوروبي واليابان والصين وتطرق الهند بقوة على الباب.

تعكس هذه المنشآت العسكرية الأجنبية مجموعة متنوعة من هياكل القوة والانتهازية السياسية والصفقات المالية - نتيجة للديناميكيات الإقليمية المعقدة للبحر الأحمر والقرن الإفريقي. يوفر وجود هذه القواعد لهذه الدول مزايا استراتيجية ويسمح لها بممارسة النفوذ على طرق التجارة الحيوية. (٩)

### القرن الإفريقي: منطقة فوضى أم منطقة فرص؟ تحليل تأثير المنافسات الدولية.

إن المنافسة على الموانئ بين القوى العظمى والإقليمية، وعسكرة البحر الأحمر، والتوسع في الوجود العسكري الأجنبي في القرن الإفريقي كلها تحمل إمكانية الحرب التي قد تؤثر في النهاية على السلام والأمن الإقليميين وكذلك النمو الاقتصادي. وسوف يتم تناول إيجابيات وسلبيات منافسة القوى العظمى في القرن الإفريقي، وكذلك الاحتمالات والمخاطر، وكيفية المضي قدماً من أجل تصميم سياسات من شأنها تعظيم الإيجابيات وتقليل السلبيات.

### الآثار الإيجابية: الأمن الاقتصادي... والتكامل الإقليمي... وزيادة الاستثمار

ازدادت الأهمية الجيوستراتيجية للمنطقة نتيجة للأحداث الجيوسياسية، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر الأمن البحري والأمن الطاقوي والتنمية الاقتصادية والصراعات الدولية والإقليمية. إن إنشاء العديد من المنشآت العسكرية الخارجية في منطقة القرن الإفريقي له تأثير على الأمن الاقتصادي، حيث إن وجود المنشآت العسكرية الأجنبية في منطقة القرن الإفريقي له فوائد عدة للأمن الاقتصادي، كما إن ظهور احتمالات تجارية جديدة مرتبطة بمنطقة القرن أدى إلى بعض الفوائد الأمنية الاقتصادية بسبب زيادة وجود دول الشرق الأوسط والخليج في منطقة القرن. وأدى ذلك إلى زيادة المنافسة العالمية على الوصول إلى المرافق المينائية في القرن الإفريقي، خاصة تلك القريبة من مدخل البحر الأحمر. حيث تسبب هذا التنافس في زيادة تأمين السباق على الموانئ بسبب الموقع الاستراتيجي للقرن الإفريقي. (١٠)

## إن المشاركة المتزامنة للقوى الكبرى الجديدة في القرن الإفريقي لديها القدرة على تحقيق آثار إيجابية كبيرة للمنطقة:

- أولاً، تحقق مشاريع البنية التحتية نتائج صافية إيجابية لدول القرن، التي رحبت عادة بالتدفق المتزايد لرأس المال. على سبيل المثال، أدى بناء سكة حديد من قبل شركة صينية إلى تسريع التكامل الاقتصادي الإقليمي لإثيوبيا وجيبوتي، نتيجة لاستثمار جديد في البنية التحتية.
- ثانياً: يمكن أن يؤدي وجود العديد من المستثمرين إلى تكثيف المنافسة، مما قد يؤدي إلى «سباق للاستثمارات» وزيادة التدفقات المالية الإجمالية إلى قطاع البنية التحتية المتخلف في القرن الإفريقي. يدعم هذه الفكرة العدد الكبير من المشاريع التي تم بدءها ونمت على مدار السنوات القليلة الماضية. على سبيل المثال، من حيث الموانئ، بالإضافة إلى المواقع التي أنشأتها الإمارات العربية المتحدة (في بربرة، أرض الصومال، وبوساسو، بونتلاندي)، والصين (في جيبوتي)، تم بالفعل الانتهاء من مشاريع البنية التحتية الإضافية في المنطقة مؤخراً (على سبيل المثال، إعادة تأهيل تركيا لميناء مقديشو الصومالي)، وهناك المزيد قيد التنفيذ (على سبيل المثال، الجهود التركيبية والقطرية لإحياء ميناء سواكن السوداني القديم؛ تطوير ميناء في هوبيو، في منطقة غالمودغ الصومالية، من قبل كونسورتيوم أنجلو تركي).

قد يكون لمثل هذا السباق الاستثماري فوائد اقتصادية كبيرة للقرن الإفريقي، بالنظر إلى قطاع البنية التحتية وإمكانات السوق المتنامية، حيث يمكن أن يكون لوجود مستثمرين متعددين تأثير سياسي جيد في القرن الإفريقي بالإضافة إلى زيادة مستويات الاستثمار والعوائد الاقتصادية الناتجة عن ذلك للبلدان. قد تكون الحكومات المحلية قادرة على لعب المستثمرين المحتملين ضد بعضهم البعض إذا تم تقديم مجموعة أكبر من المستثمرين، مما يمنحهم أداة أخرى لإسماح أصواتهم.

**على سبيل المثال،** قد يكون وجود مصادر بديلة للاستثمار، أبرزها مشروع الحزام والطريق الصيني، فقد سُمح لمسؤولي الحكومة باتخاذ موقف أكثر صرامة في تعاملاتهم مع دبي العالمية للأرصفة مع تزايد شكوك حكومة جيبوتي بشأن التزام دبي العالمية للأرصفة بتطوير موانئ دوراليه. من المرجح أيضاً أن يعزز التنافس على موقع في موانئ السودان بين دبي العالمية للأرصفة وشركة الموانئ الصينية وشركة قطرية موقف الحكومة السودانية التفاوضي مع كل من الأطراف الثلاثة.

**كما كانت دول الخليج مفيدة في حل الأزمات وتعزيز السلام في المنطقة؛ ومن الأمثلة على ذلك:**

- وساطة قطر في حرب دارفور ومساعدتها في التوسط في اتفاق سلام



- بين إريتريا وجيبوتي.
- سهلت المملكة العربية السعودية اتفاق السلام بين إثيوبيا وإريتريا الذي وقع في جدة في سبتمبر ٢٠١٨م.
- لدى الإمارات العربية المتحدة فرصة لتقليل المعارضة لمرورها العسكري الحالي في عصب إريتريا، من خلال تقليل المعارضة من جانب الجهات الفاعلة في القرن مثل إثيوبيا، ولأن رفع العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة على إريتريا يزيل العقبات أمام الدعم المالي والعسكري. على الرغم من قلة النشاط الفعلي، إلا أنه يوفر أيضاً فوائد اقتصادية محتملة من خلال ربط الموانئ الإريترية بإثيوبيا، الدولة غير الساحلية الأكثر اكتظاظاً بالسكان في العالم.

بشكل عام، فإن التغيرات السياسية والاقتصادية العالمية التي تؤثر على ديناميكيات الأمن الخارجي الجديدة لمنطقة القرن الإفريقي تمثل أيضاً فرصة كبيرة، حيث تجلب معها استثمارات وبنية تحتية جديدة وروابط بالأسواق العالمية. ومع ذلك، يجب أن يتغير موقف دول القرن تجاه تفاعلاتها مع اللاعبين الأمنيين الخارجيين بشكل كبير إذا أرادت الاستفادة من الإمكانيات وإدارة التحديات.

#### • النتائج الضارة: عدم القدرة على التنبؤ... والصراع بالوكالة... والسيطرة

إن الأعراف والقيم والمؤسسات المتعددة الأطراف وسياسات المعاملة المالية والقوة لدول الخليج الملكية طريقتان وفلسفتان مختلفتان للسلام والأمن، ويقع القرن الإفريقي على خط صدع بينهما، حيث تعمل عدد من الدول الآن في المنطقة تحت شبكة معقدة من الاتفاقيات الأمنية الثنائية، مع مجموعة متنوعة من الولايات القومية والدولية التي تربط القرن بمجموعة من الأجندات الجيوسياسية والاقتصادية الجغرافية بسبب انتشار القواعد والمنشآت العسكرية وكذلك توسع القوات البحرية. تتمتع السياسة الأمنية الخارجية للقرن بعدد من الآثار على النظام الأمني الإقليمي.

زادت المنافسة بالوكالة نتيجة لعدة عوامل، وأبرزها:

- أولاً: توسع المصالح الأمنية الأجنبية في القرن الإفريقي والأهمية المتزايدة للشراكات العسكرية التجارية المختلطة.
- ثانياً: تفاقم عدم الاستقرار وانعدام الأمن في بيئة غير مستقرة بالفعل بسبب المنافسة الأخيرة على الهيمنة في القرن الإفريقي بين الإمارات العربية المتحدة والسعودية من جهة وتركيا وقطر من جهة أخرى.

#### أولاً: توسع المصالح الأمنية الأجنبية في القرن الإفريقي:

ركزت مشاركة الإمارات العربية المتحدة في الصومال تقليدياً بشكل أساسي على

الشؤون التجارية والتجارية، على عكس المملكة العربية السعودية، التي كان اهتمامها بالبلاد مدفوعاً في المقام الأول بالمنافسة مع التدخلات الإيرانية والقلق بشأنها. ومع ذلك، فإن الحكومة الفيدرالية الصومالية، التي لا تعترف بسيادة أرض الصومال على بربرة، متورطة في صراع دبلوماسي نتيجة لقرار دبي العالمية للأرصدة توقيع أول عقد دولي كبير مع أرض الصومال.

خاضت خمسة من الولايات الفيدرالية الست في الصومال - أرض الصومال وبونتلاند وهيرشبيلي وغالمودغ وجنوب غرب - موقف الحكومة المركزية ودفَعوا نحو موقف مؤيد للسعودية، على الرغم من أن مقديشو دعمت تركيا وقطر. أدت هذه الآراء المتعارضة إلى خلق توترات داخل الطبقات السياسية الصومالية. حيث تعد العلاقة بين الموانئ وديناميكيات الأمن الإقليمي خارج التجارة مثلاً صارخاً على مدى تعقيد الديناميكيات الجيوسياسية المتغيرة للمنطقة. وفقاً لذلك، تؤكد دول الخليج وتركيا على اهتمامها بـ «السلام والأمن» في القرن الإفريقي. (١١)

### ثانياً: تفاقم عدم الاستقرار وانعدام الأمن:

من شأن إنشاء المنشآت العسكرية الخارجية في منطقة القرن الإفريقي زيادة احتمال التعصب، حيث إن التوجه الديني للدول الشرق أوسطية هو المسؤول الأول عن ذلك، وتقف المنظمات التي تقودها المملكة العربية السعودية من جانب، وإيران وقطر من الجانب الآخر، مما يقيد نمو بعضها البعض. في حين أن تركيا وقطر أكثر دعماً للإخوان المسلمين والمنظمات ذات الأيديولوجيات المماثلة، تعمل السعودية والإمارات ومصر بشكل عام على الحد من تأثير الحركة في الداخل والخارج. يعد البعد الدولي للإخوان المسلمين، الذي تراه الرياض وأبو ظبي أنه من الممكن أن يقوض الملكيات الفردية، هو السبب الرئيسي للقلق السعودي والإماراتي بشأن الحركة.

بالإضافة إلى ذلك، أعاقَت هذه المنافسة الجهود الرامية إلى استقرار مناطق المنطقة الأكثر تخمة بالصراع، وقد دعمت السلطة المركزية في مقديشو في الصومال كل من قطر وتركيا ضد الدول الفيدرالية المدعومة من السعودية والإمارات، مما أدى إلى تقويض الوحدة في دولة مرادفة لانحياز الدولة.

كما أدى تجدد النزاع المائي العابر للحدود الشديد على نهر النيل نتيجة للسياسة القوية الخليجية في القرن إلى زيادة احتمال نشوب صراع حول سد النهضة الإثيوبي الكبير. كانت مصر على وجه الخصوص تروج لهيمنتها المائية في منطقة القرن الإفريقي باستخدام جامعة الدول العربية كجهة دبلوماسية، كما تستخدم مصر التحالف بين السودان وتركيا وقطر لإعادة إحياء اهتمامها بنزاع نهر النيل، ولا سيما مشروع سد النهضة الكبير، وشن الحرب ضد السودان الذي يواجه مشكلة أكبر. تتنازع الحكومتان المصرية والإثيوبية حول تقدم سد النهضة الكبير؛ لذلك، لا يستطيع السعوديون والإماراتيون إرضاء

كلا الحليفين، و بدأ هذا الأمر وكأنه يعوق التعاون مع إثيوبيا بشأن استراتيجية متعددة الأطراف للأمن في منطقة البحر الأحمر الأوسع. ونتيجة لذلك فإن الصراع على سد النهضة والسباق الجيوسياسي والاقتصادي الجغرافي المتناقض في القرن الإفريقي له آثار أمنية أكبر.

أدى الانخراط الشرق أوسطي في القرن الإفريقي إلى تفاقم النزاعات القائمة أو تأجيج التوترات الجديدة، حيث يعد انفصال الإمارات العربية المتحدة عن كل من جيبوتي والصومال مثلاً على هذا الأخير. بالإضافة إلى ذلك، فرض الخلاف في مجلس التعاون الخليجي ضغوطاً كبيرة على الدول الصغيرة في القرن الإفريقي وكانت النتائج متفاوتة على الرغم من هذه المبادرات الكبيرة.

هناك مصدر قلق جيوسياسي كبير آخر يتمثل في استمرار العسكرية في منطقة القرن الإفريقي والتأثير المتزايد للدول الآسيوية هناك، ومع نمو موقع الصين في جيبوتي، برزت منافسة جيوسياسية بين دول القرن الإفريقي الآسيوية، وهناك قلق متزايد بشأن وجود اليابان والهند في المحيط الهندي. بالإضافة إلى ذلك، مع اقتراب الصين من الرياض وأبوظبي، قد تزداد حدة العداء بين الجهات المتحالفة مع الولايات المتحدة وأولئك المدعومين من الحلفاء الخليجيين السابقين إذا كان البحر الأحمر وخليج عدن على المحك. ومع ذلك، هذا احتمال بعيد وغير مرجح.

#### إدارة التفاعلات المعقدة: الاتجاهات المستقبلية

هناك مجموعة من الفرص لتعزيز التعددية والتعاون والعمل الجماعي في منطقة البحر الأحمر، وعلى الرغم من أن الحواجز أمام التعاون الفعال في منطقة البحر الأحمر كبيرة ولكنها ليست مستعصية على الحل. لقد قوضت التنافسات التاريخية وعدم الاستقرار السياسي الثقة بين دول المنطقة، وتداخل أولويات هذه الدول المتنوعة ومصالحها الاستراتيجية، مما يعقد التعاون. على الرغم من هذه التحديات، تتمتع المنطقة بإمكانات هائلة للنمو والتنمية، ويمكن أن يدفع الموقع الاستراتيجي والموارد للدول على كلا الضفتين، إذا تم تسخيرها بشكل بناء وجماعي، إلى ازدهار اقتصادي والاستقرار الإقليمي. ومع ذلك، لا يمكن للمنطقة أن تحقق إمكاناتها وتعجل بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية إلا من خلال النمو الشامل والابتكار ومعالجة التحديات التنموية طويلة الأمد.

في هذا الصدد، فإن أولوية التكامل الاقتصادي والإقليمي أمر بالغ الأهمية لإطلاق العنان لإمكانات المنطقة الواسعة، حيث أدى القرب الجغرافي بين القرن الإفريقي واليمن عبر مضيق باب المندب إلى مبادرات مثل «جسر القرنين»، الذي تم اقتراحه في عام ٢٠٠٧ بين جيبوتي واليمن، والذي مثل رؤية جريئة لمنطقة أكثر تكاملاً وسلمية ومزدهرة. وعلى الرغم من عدم تحقيق المشروع، إلا أنه رمز للإمكانات المتاحة للروابط الاقتصادية والثقافية والسياسية العميقة والمتبادلة المنفعة عبر البحر الأحمر. (١٢)

لا يمكن اعتبار منطقة القرن الإفريقي كم منطقة جيوسياسية منفصلة، وينبغي النظر إلى المنطقة كمكون من منطقة البحر الأحمر ككل، التي يمر عبرها طريق أوروبا- آسيا البحري الهام، وكذلك منطقة هندو-باسيفيك الأكبر، التي تشكل منطقة القرن أقصى نقطة لها في الشمال الغربي. في منطقة البحر الأحمر، يتعايش الاستقطاب السياسي والسباق الجيوسياسي والتوسع العسكري من قبل أطراف مختلفة مع الديناميكية الاقتصادية المستمرة لحكومات الدول الساحلية، و يشارك عدد متزايد من الأطراف الإقليمية والدولية في هذه التطورات على البحر الأحمر، والتي ترتبط أيضًا بتصادم نقاط ساخنة إقليمية أخرى مثل الخليج الفارسي والبحر الأبيض المتوسط الشرقي. و يسعى هؤلاء اللاعبون إلى استراتيجيات مختلفة، غالبًا ما تتعارض مع بعضها البعض،

### ولذلك سيتم بعض استعراض بعض التوصيات الهامة:

- هناك حاجة إلى جهود دبلوماسية نشطة من قبل اللاعبين الإقليميين والمجتمع الدولي لمنع التنافس والمنافسة الجامحة والصراعات من أن تأخذ الأسبقية على التطلعات الإقليمية من أجل إدارة التنافس العالمي والإقليمي الجامح بين القوى العظمى في البحر الأحمر وفي القرن الإفريقي. بدون أي تشاور إقليمي حول الآثار الاستراتيجية لإدراج دول القرن الإفريقي في أجندات الأمن الأوسع نطاقًا، تم تكديس القوات العسكرية هناك.
- لتجنب الصراع بين القوى العظمى، يجب على المنظمات الإقليمية متعددة الأطراف مثل الإيقاد والاتحاد الإفريقي اعتماد خطط استراتيجية قصيرة وطويلة الأجل. لن تكون الدول الضعيفة والدفاعية والمنقسمة في المنطقة قادرة على التعامل مع وإدارة المسابقة الجيوسياسية الجديدة على نطاق عالمي وإقليمي، ومن أجل مواجهة الآثار التي تؤثر على هذه المنافسة في المنطقة بما يكفي من قوتها الخاصة، من الضروري تحديد جدول الأعمال للتعاون عبر الإقليمي من خلال المنظمات متعددة الأطراف مثل الإيقاد والاتحاد الإفريقي.
- يمكن أن يكون للمنظمتين الإفريقيتين دور حيوي في النهوض بالمصالح المشتركة للدول الأعضاء - نظراً لأدوارهما الدولية الهامة - ، في هذا السياق يجب على الاتحاد الإفريقي التحرك بسرعة ودفع جدول الأعمال، إن جعل القرن الإفريقي مكوناً رئيسياً لهيكل السلام والأمن في الاتحاد الإفريقي ليس سوى أحد المجالات التي ينشط فيها الاتحاد. وقد ناقش الاتحاد الإفريقي مؤخراً إقامة علاقة سياسية وأمنية مع مجلس التعاون الخليجي من أجل بناء «سياسة عمل خارجية» للسلام والأمن في البحر الأحمر / خليج عدن. بالإضافة إلى ذلك، هناك حاجة لبناء توافق آراء قاري حول طرق إدارة المبادرات الثنائية التي تفضي إلى إنشاء القواعد، هذا بالإضافة إلى المخاطر المرتبطة بالوجود العسكري الأجنبي ودعوة الاتحاد الإفريقي للدول الأعضاء إلى توخي الحذر في تعاملاتها.
- اختارت دول القرن الاستفادة من أهميتها الجيوستراتيجية وعودة الاهتمام من

**القوى الدولية بدلاً من التصرف كمستفيدين سلبين**، يجب على دول القرن الإفريقي أن تتحمل المزيد من المسؤولية في معالجة قضايا الأمن غير التقليدية في المنطقة، خاصة في القطاع البحري، حيث سيؤدي ذلك إلى تقليل الحاجة للقوى الأخرى لنشر قوات عسكرية هناك. لذلك فإن زيادة القدرات الأمنية الإقليمية هي وسيلة لتقليل العسكرة الخارجية.

• **إن تطوير تعاون ومبادرات عالمية جديدة لتعزيز السلام لديه القدرة على معالجة القضايا الأمنية في القرن الإفريقي**، حيث يعيق التقدم في مجموعة متنوعة من القضايا، بما في ذلك التكامل الاقتصادي والسلام والأمن الإقليميين، عدم وجود منصة إقليمية رسمية وشاملة للمناقشة والتعاون حول البحر الأحمر. ويعد التنسيق بين هؤلاء اللاعبين أمراً بالغ الأهمية نظراً لأن منطقة القرن الإفريقي / البحر الأحمر تجذب عدداً متزايداً من اللاعبين الخارجيين.

• **سيكون من المفيد وجود منصة متعددة الأطراف أكثر موثوقية للاعبين الإقليميين والخارجيين لمناقشة استراتيجياتهم وتنسيقها**. وقد تم إنشاء إطار عمل جديد لهذا الغرض من قبل دول المنطقة في السنوات الأخيرة، وأبرزها قوة العمل المعنية بالبحر الأحمر التابعة لـ الهيئة الحكومية للتنمية (الإيغاد) ومجلس البحر الأحمر، بدعم من المملكة العربية السعودية. حيث يقدم مجلس البحر الأحمر، بعضوية أكبر وتركيزه على القضية المشتركة على نطاق واسع وهي الأمن البحري، نقطة انطلاق مثيرة للاهتمام بشكل خاص لمزيد من التعاون المتعدد الأطراف. لم يتمكن المجلس حتى الآن من قبول سوى الدول الساحلية كأعضاء. ومع ذلك، فإن مجموعة واسعة جداً من الأطراف العالمية المشاركة أو المعتمدة على هذه التجارة لديها مصلحة في ضمان مرور السلع الأمن عبر المنطقة. وبالتالي، من أجل تعزيز التواصل والسعي إلى تقليل الآثار الضارة على الاستقرار الإقليمي، يجب أن يزيد الإيفاد مشاركته مع جميع دول منطقة البحر الأحمر وكذلك الجهات الفاعلة الإقليمية والدولية الأخرى ذات الصلة. التغيرات الجيوسياسية المتطورة الجارية لها عدد من الانعكاسات على صانعي السياسات في القرن الإفريقي، بالنظر إلى الأهمية الجيوسياسية والاستراتيجية لمنطقة البحر الأحمر بالنسبة للتجارة الدولية والاقتصاد الإقليمي وعدم الاستقرار العام.



## ختاماً :

تُعيد هذه المنافسة الجديدة بين القوى العظمى تشكيل الديناميكيات الجيوسياسية في منطقتي البحر الأحمر والقرن الإفريقي، إنها قضية معقدة ذات آثار محتملة على الاستقرار الإقليمي والتنمية الاقتصادية والعلاقات الدولية. حيث تتميز منطقة البحر الأحمر بتاريخ طويل من التفاعلات الجيوسياسية المعقدة وزيادة الاهتمام الخارجي بالمنطقة، وشهدت البيئة الاستراتيجية في منطقة البحر الأحمر تغييراً سريعاً خلال العقد الماضي نتيجة لزيادة التنافسية والتوسع العسكري من قبل الدول الشرق أوسطية والقوى العالمية الكبرى.

سرعان ما أصبح البحر الأحمر مركزاً للاهتمام الجيوسياسي الجديد حيث أعادت الاتصال غير المسبوق بين دول الخليج والقرن الإفريقي صياغة السياسة والاقتصاد والأمن فوق أحد أكثر الممرات المائية ازدحاماً في العالم. يوجد الصراع في القرن الإفريقي على المستوى الوطني والإقليمي، إن الأثر الخارجي خطير لأنه يوفر للأشخاص الطموحين المزيد من الطرق للحصول على الدعم الخارجي، مما يجعل من الصعب على قادة المنطقة الحفاظ على السلطة مع تدفق الأموال والتأثير على السوق السياسي. إن المعركة من أجل الصفر بين الكيانات الشرق أوسطية من أجل النفوذ والتهديدات التي يشكلها هذا التنافس على سلامة الدولة في القرن الإفريقي هما الاتجاهان الأكثر زعزعة للاستقرار في منطقة البحر الأحمر، حيث يتم لعب النزاعات الإقليمية على مسرح يتم فيه خوض المصالح الجيوسياسية. وفقاً لتلك الدراسة، إذا عجز القرن عن السيطرة على المصالح الإقليمية والتوسع في وجود الجهات العسكرية الأجنبية، فإنه يواجه خطر المزيد من الانقسام والانضمام إلى منافسة أمنية دولية أكبر من المرجح أن يكون له تأثير قليل عليها.

## المراجع:

1. Louisa Brooke-Holland, The Horn of Africa and the Red Sea, Research, 18 April 2024, House of Commons Library, <https://short-link.me/KdFC>
2. د. ابتسام الكتبي، المشهد الأمني الجديد في القرن الإفريقي: التداعيات الجيوسياسية لتغير ديناميات النزاع والتعاون، دراسة، مركز الإمارات للسياسات، 26 مارس 2024، <https://urlc.net/Kfgh>
3. د. حمدي عبد الرحمن، هل تتكرر البدايات الخاطئة؟ أفريقيا والحرب الباردة الجديدة، دراسة، تريندز للبحوث والاستشارات، 25 يوليو 2022، <https://urlc.net/Mw07>
4. د. الخير عمر أحمد سليمان، التنافس الجيوسياسي على البحر الأحمر وانعكاساته الأمنية، مقال رأي، 11 أغسطس 2024، الجزيرة، <https://urlc.net/MvZT>
5. د. جمال عبد الرحمن، التنافس الإقليمي والدولي في البحر الأحمر وأثره على أمن الدول المتشاطئة، دراسة، 1 يناير 2020، المركز العربي، <https://urlc.net/Kfhe>
6. أحمد عسكر، التنافس على الموانئ البحرية في القرن الإفريقي: الدوافع والتداعيات، دراسة، مركز الإمارات للسياسات، 8 فبراير 2021، <https://urlc.net/MvPB>
7. إيمان الشعراوي، القواعد العسكرية في منطقة القرن الإفريقي وأثرها على الأمن القومي المصري، دراسة، 23 سبتمبر، 2021، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، <https://urlc.net/> KfiS
8. Long Ding, The Evolving Roles of the Gulf States in the Horn of Africa, Article, May 2024, Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies, Volume 18, 2024 – Issue 1, <https://urlc.net/Kfim>
9. Neil Melvin, THE FOREIGN MILITARY PRESENCE IN THE HORN OF AFRICA REGION, SIPRI Background Paper, April 2019, <https://urlc.net/Mw1R>
10. د. ابتسام الكتبي، مرجع سابق.
11. د. حمدي عبد الرحمن، أبعاد "أمنة" الوجود الصيني في القرن الإفريقي، تحليل، مركز المستقبل، 18 يوليو 2022، <https://urlc.net/KfkJ>
12. Farea Al-Muslimi, Navigating the Red Sea: Addressing threats and harnessing potential, STOCKHOLM INTERNATIONAL PEACE RESEARCH INSTITUTE, 2 September 2024, <https://short-link.me/KdEB>

## اضواء علي منتدي

العلاقات الصينية الافريقية لعام ٢٠٢٤ م



إعداد: معاذ محمد احمد

\*مركز افريقيا للدراسات الاستراتيجية والبحوث

## توطئة :

تتفق العديد من الدول الكبرى من حيث التأثير والقوة المادية كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وفرنسا والصين وبريطانيا على أن قارة إفريقيا تمثل مخزوناً كبيراً للثروات البكر، ولكن تختلف مداخلها للاستفادة من هذه الموارد. فبينما تعتمد بريطانيا وفرنسا بشكل أكبر على إرثهما الاستعماري، الذي من خلاله تحاولان إيقاف عجلة التاريخ عند محطة الاستعمار، وإن اختلفت أشكاله وأنماطه، تستفيد هاتان الدولتان من تلك الموارد دون مقابل يُذكر، مستفيدة من قواعدهما العسكرية المنتشرة وطبقة حكام فاسدين يمررون مشاريعهما الهادفة لنهب ثروات القارة، في مقابل توفير الحماية لهم وضمان بقائهم على كرسي الحكم.

أما روسيا، وفي إطار التنافس الطبيعي بينها وبين جيرانها في الغرب الأوروبي، فقد دُفعت للتصدي لمشاريع نظيراتها الغربية من خلال الدعم العسكري واللوجستي لحركات التحرر ضد وكلاء الاستعمار. وقد بدأت هذه الجهود تؤتي ثمارها في العديد من الدول الإفريقية، خصوصاً في دول وسط وغرب أفريقيا. لكن يمكن أن تكون طريقة تعاملها مع إفريقيا مشابهة للطريقة الغربية، أي من خلال الدعم العسكري وإقامة القواعد في بعض الدول للحماية مقابل امتيازات لاستغلال الثروات باتفاقيات محسنة نوعاً ما مقارنة بدول كفرنسا وبريطانيا.

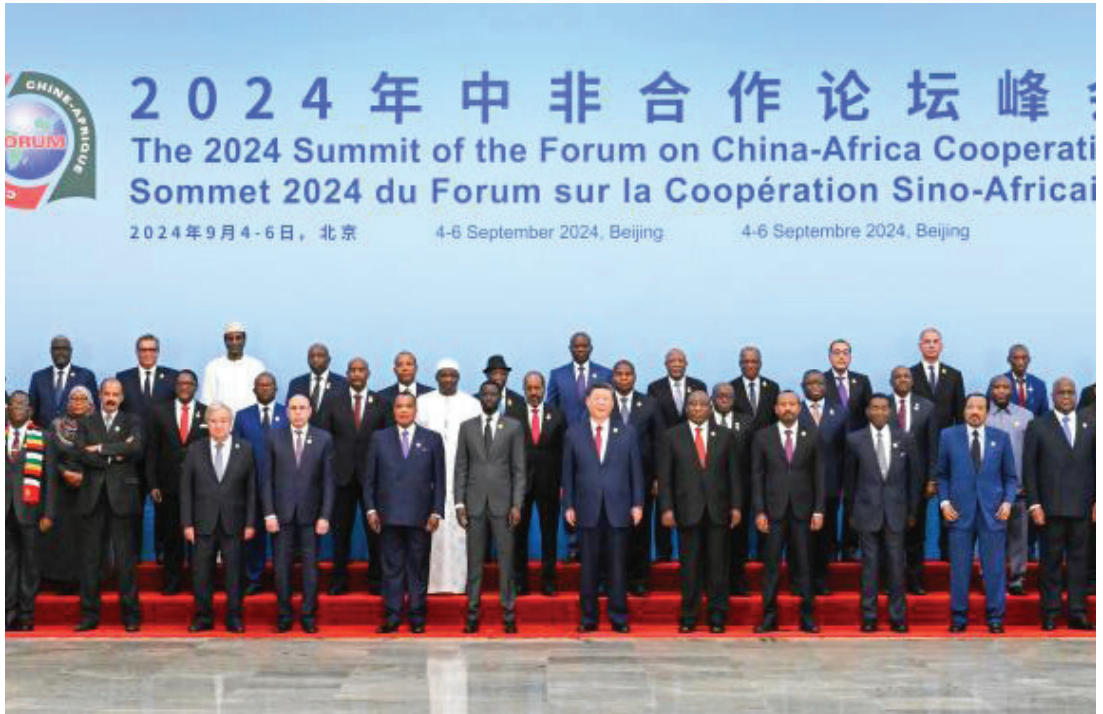
وإذا ما سلطنا الضوء على الصين، التي هي محور هذا التقرير، فلم تتبع طريق السيطرة أو التدخل في السيادة على قيادة الدول الإفريقية من خلال الدعم العسكري والقواعد وغيرها، بل سلكت طريق المنافع المشتركة وتمويل المشاريع الكبرى مقابل استغلالها لفترات طويلة وبشروط اتفاقيات هي الأفضل للدول الإفريقية. وقد ثبت نجاح هذه الاستراتيجية في العديد من الدول بدءاً بالسودان وانتقالاً إلى العديد من الدول الإفريقية الأخرى.

انعقد في بكين منتدى التعاون الصيني الإفريقي (فوكا) لعام ٢٠٢٤ م في الفترة من ٤ - ٦ سبتمبر تحت عنوان (التكاتف لدفع التحديث وبناء مجتمع صيني-إفريقي رفيع المستوى ذو مستقبل مشترك)، بمشاركة ما يزيد عن ٣٥٠ ممثلاً عن الصين والدول الإفريقية. مثل هذا المنتدى تطوراً طبيعياً للعلاقات المتنامية بين الطرفين، حيث تم طرح العديد من المواضيع للمناقشة أهمها التعاون الاقتصادي، السياسي، الثقافي، والاجتماعي في ظل واقع عالمي مليء بالتحديات. نحاول في هذا التقرير تناول بشيء من التفصيل أهداف المنتدى، التحديات التي يواجهها، الإنجازات التي حققها حتى الآن، والتوقعات المستقبلية للعلاقات الصينية الإفريقية مع ابراز بعض ملامح من اللقاءات الجانبية التي تمت في هذا المنتدى.

### قراءة في التاريخ ورحلة التطور

كان ميلاد منتدى التعاون الصيني الإفريقي في عام ٢٠٠٠م بالعاصمة الصينية بكين اiban سياسية الانفتاح الصيني ومحاولتها انشاء علاقات تجارية مع العديد من الدول لذلك هدف المنتدى في المقام الاول تعزيز الحوار بين الصين وإفريقيا وتحقيق تنمية مشتركة بين القارة الإفريقية والصين. استطاع المنتدى مع مرور الوقت، ان يصبح منصة رئيسية للعلاقات الثنائية حيث انعقدت تسع قمم حتى عام ٢٠٢٤، كان أبرزها قمة جوهانسبرغ ٢٠١٥ التي وضعت أسس التعاون الاقتصادي، وقمة ٢٠١٨ التي عقدت في بكين والتي أطلقت العديد من المبادرات المتعلقة بالبنية التحتية والزراعة والصحة.

تعد القمة التاسعة لعام ٢٠٢٤ تواصل لتعزيز التوجه نحو تحقيق أهداف التنمية المستدامة وتعميق التعاون بين الطرفين في المجالات المتنوعة. كما وتنعقد هذه القمة في فترة حرجة، حيث تواجه الدول الإفريقية تحديات اقتصادية بالغة التعقيد، بينما تسعى الصين إلى تعزيز وجودها وتنافسها واهدافها الرامية لقيادة المستقبل.»



صورة جماعية لقادة ورؤساء الوفود

## الأهداف والمحاور الرئيسية للمنتدى:

### التنمية الاقتصادية

من أبرز محاور المنتدى لعام ٢٠٢٤ كان السعي لتحقيق تحديث في الدول الإفريقية بما يتماشى مع أهداف التنمية الصينية. تعمل الصين على تعزيز التنمية الإفريقية من خلال مشاريع استثمارية ضخمة، أبرزها مبادرة «الحزام والطريق»، والتي تهدف إلى تعزيز البنية التحتية والتجارة في إفريقيا.

من بين الأهداف الرئيسية أيضاً، تعزيز القدرة الإنتاجية في الدول الإفريقية وتطوير القطاعات الحيوية مثل الزراعة والصناعة. ومعلوم لصين بالضرورة ان إفريقيا تتمتع بإمكانيات هائلة في هذه المجالات، حيث يمكن للصين أن تقدم دعماً تقنياً واستثمارياً يساعد القارة على تحقيق مستويات أعلى من الإنتاج والتنمية.





خارطة الاستثمارات الصينية في إفريقيا

### التكامل الإقليمي الإفريقي:

ركز المنتدى أيضًا على دعم التكامل الاقتصادي الإقليمي في إفريقيا، بما في ذلك منطقة التجارة الحرة القارية الإفريقية (AfCFTA). هذه المبادرة التي أطلقت في ٢٠١٩ تهدف إلى تعزيز التجارة بين الدول الإفريقية من خلال تقليل الحواجز الجمركية وتسهيل حركة السلع والخدمات. خلال المنتدى، أكدت الصين دعمها الكامل لهذه المنطقة التجارية باعتبارها خطوة كبيرة نحو تحقيق التنمية المستدامة في إفريقيا.

### الابتكار والتكنولوجيا:

يُعتبر الابتكار التكنولوجي من المحاور الرئيسية التي تم مناقشتها في المنتدى. في عصر الرقمنة، يعد الاقتصاد الرقمي والتكنولوجيا مجالات حيوية لتعزيز التعاون بين الصين وإفريقيا. استعرض المنتدى سبل تعزيز الشراكة في هذه المجالات من خلال إنشاء بنية تحتية رقمية، وتبادل الخبرات التقنية، وتطوير المهارات في مجالات مثل الذكاء الاصطناعي والروبوتات وهي مجالات استطاعت الصين تدخلها بقوة بل وتنافس بها كبرى شركات وادي السيلكون.

## نتائج المنتدى وتوصياته

خلال القمة، تم التوصل إلى العديد من النتائج والتوصيات التي تسهم في تعزيز العلاقات الصينية الإفريقية. واحدة من أهم النتائج كانت إطلاق «مخطط عمل بكين ٢٠٢٤-٢٠٢٧»، الذي يحدد مجالات التعاون المستقبلية بين الطرفين، بما في ذلك التكنولوجيا، الزراعة، الصحة، والتعليم.

بالإضافة إلى ذلك، أعلن الرئيس الصيني شي جين بينغ عن ١٠ مبادرات رئيسية تهدف إلى تعزيز التعاون بين الصين وإفريقيا على مدى السنوات الثلاث المقبلة. تشمل هذه المبادرات دعم التنمية الزراعية المستدامة، تعزيز الابتكار الرقمي، وتطوير البنية التحتية في الدول الإفريقية.

من النتائج المهمة الأخرى للقمة هو التعهد الصيني بمواصلة تقديم المساعدات للدول الإفريقية في مواجهة التحديات التنموية، بما في ذلك التغير المناخي، الفقر، ونقص الموارد الصحية.

### أبرز اللقاءات الجانبية خلال المنتدى:

شهد المنتدى عددًا من اللقاءات المهمة التي أسفرت عن نتائج كبيرة للمشاركين، وأبرزها لقاءات وفد جمهورية السودان برئاسة رئيس مجلس السيادة عبد الفتاح البرهان. تكتسب هذه اللقاءات أهمية خاصة نظرًا للظرف الزمني الحرج الذي يمر به السودان، حيث يقاتل الجيش السوداني مليشيات الدعم السريع المتمردة في حرب دمرت البنية التحتية للدولة. من خلال القمة، يسعى السودان إلى جذب الاستثمارات الصينية لبرامج إعادة الإعمار، وخصوصًا في مجالات الطاقة والخدمات. وهذا ما ظهر جليًا خلال لقاء الرئيسين الصيني والسوداني، وكذلك خلال اللقاءات مع وزير التجارة الصيني ومديري كبرى شركات النفط والكهرباء الصينية، والتي أثمرت عن توقيع عدد من الاتفاقيات في مجال الطاقة.



جانب من اللقاء السوداني الصيني برئاسة رئيسي البلدين

كما كانت هنالك لقاءات للرئيس الصيني مع عدد من رؤساء الدول والوفود المشاركة ركزت على إيجاد دور صيني في مجال الابتكار والتنمية في إفريقيا.

### التحديات التي تواجه العلاقات الصينية الإفريقية:

بالرغم من الإنجازات التي حققتها الشراكة الصينية الإفريقية، هناك العديد من التحديات التي تواجه هذه العلاقات، منها:

#### • الديون: مؤثر أساسي على تقدم العلاقات الصينية الإفريقية:

تعتبر مشكلة الديون واحدة من التحديات الكبيرة التي تواجه العلاقات الصينية الإفريقية. وتعتبر الصين واحدة من أكبر المقرضين للدول الإفريقية، وقد زادت الديون بشكل كبير في السنوات الأخيرة نتيجة للتمويلات التي قدمتها الصين لمشاريع البنية التحتية الضخمة. بالرغم من أن الصين ضلت تؤكد في أكثر من مناسبة استعدادها لإعادة جدولة الديون أو إلغاؤها في بعضها، إلا أن هناك قلقًا متزايدًا من تأثير هذه الديون على الاستقرار الاقتصادي في إفريقيا.

## • استمرار واستدامة الاستثمارات:

تواجه بعض المشاريع الصينية في إفريقيا انتقادات بسبب المخاوف بشأن الاستدامة البيئية والاجتماعية. على سبيل المثال، بعض مشاريع التعدين والبنية التحتية في إفريقيا أثارت جدلاً حول تأثيراتها البيئية وعدم استفادة المجتمعات المحلية منها.

## • المنافسة الجيوسياسية:

كما هو معلوم تعتبر قارة إفريقيا منطقة جذب كبير للقوة العظمى وذلك لما تمتلكه من موارد كبيرة وذلك ما يمثل تحدي كبير للعلاقات الصينية الإفريقية ورغم هذه المنافسة الجيوسياسية مع القوى الكبرى الأخرى، خاصة الولايات المتحدة وأوروبا. تسعى الصين من خلال تعزيز علاقتها مع إفريقيا إلى تقوية موقعها الدولي، في حين ترى القوى الغربية أن تدخل الصين في إفريقيا يمثل تهديداً لمصالحها التقليدية في المنطقة.

## التوقعات المستقبلية للعلاقات الصينية الإفريقية

مع تقدم الزمن، من المتوقع أن تستمر العلاقات الصينية الإفريقية في النمو والتطور. تعتبر الصين إفريقيا شريكاً استراتيجياً رئيسياً في مساعيها لتعزيز مكانتها العالمية وتحقيق أهدافها الاقتصادية والسياسية. وفي الوقت نفسه، تنظر الدول الإفريقية إلى الصين كحليف قوي في مواجهة التحديات التنموية، خاصة في ضوء ضعف الدعم الذي تتلقاه من القوى الغربية.

## • التعاون في مجال الصحة والتعليم:

من المجالات التي يمكن أن تشهد توسعاً في التعاون هي التعليم والصحة. الصين قد لعبت دوراً رئيسياً في تقديم المنح الدراسية للطلاب الأفارقة، وتدريب الكوادر الإفريقية في المجالات التقنية والطبية. كما ساهمت في تقديم دعم طبي خلال أزمة كوفيد-19، وهو ما قد يتعزز في المستقبل من خلال إنشاء مراكز صحية وبحثية جديدة في القارة.

## • الطاقات المتجددة:

تعتبر الطاقة المتجددة أحد أهم المجالات الواعدة التي يمكن أن تشهد توسعاً في التعاون بين الصين وإفريقيا. تمتلك إفريقيا موارد طبيعية هائلة في مجالات الطاقة الشمسية والرياح، والصين تعد رائدة في مجال تطوير تقنيات الطاقة المتجددة. من المتوقع أن يسهم التعاون في هذا المجال في تحقيق أهداف التنمية المستدامة وتقليل اعتماد إفريقيا على الطاقة التقليدية.



## محطة طاقة شمسية بجنوب افريقيا تم بناءها عن طريق شركة صينية



### • التعاون الأمني:

في ظل التحديات الأمنية التي تواجه العديد من الدول الإفريقية، من المتوقع أن تتزايد أهمية التعاون الأمني بين الصين وإفريقيا. تشمل هذه التحديات الإرهاب، والجريمة المنظمة، والصراعات الداخلية. الصين قد تلعب دورًا أكبر في تقديم الدعم الأمني وتدريب القوات الإفريقية، بالإضافة إلى تعزيز التعاون في مجال مكافحة الإرهاب كما ترغب الصين في زيادة حجم مبيعاتها العسكرية لأفريقيا وخاصة ان السوق الافريقي واعد نتيجة لحالات الحروب وعدم الاستقرار

### خاتمة:

منتدى التعاون الصيني الإفريقي لعام ٢٠٢٤م يعد خطوة مهمة في توثيق وتعزيز العلاقات الثنائية بين الصين وإفريقيا. وذلك من خلال التركيز على تحقيق التنمية المستدامة، وتعزيز الابتكار التكنولوجي، ودعم البنية التحتية، تهدف الصين تحت منصة المنتدى إلى بناء شراكة استراتيجية قوية مع إفريقيا. رغم ما تواجهه من تحديات، لكن من المتوقع أن تستمر العلاقات الصينية الإفريقية في النمو في المستقبل، خاصة في ظل التزام الصين بدعم جهود التنمية وتبادل المنافع في القارة الإفريقية.



## المراجع:

١. موقع المنتدى على الشبكة العنكبوتية
  ٢. وكالة شينخوا
  ٣. منتدى التعاون الصيني الإفريقي 2024 - جريدة البعث»، جريدة البعث،
  ٤. التعاون الاقتصادي بين الصين وإفريقيا - المشهد الصيني.
  ٥. China-Africa Relations 2024: Challenges and Opportunities,+ Africanews
- .Key Outcomes from FOCAC 2024,» China Africa Cooperation Review»

# جامعات مالي التاريخية: تمبكتو نموذجًا

د. دريس تراوري،

أستاذ مشارك، معهد أحمد بابا للدراسات

العليا والبحوث الإسلامية، تمبكتو

**The historical universities of Mali:case of Timbuktu**

D. Driss Traore, Associate Professor, Ahmed Baba  
Institute of Higher Learning and Islamic Research,  
Timbuktu

idristraore@gmail.com

شهدت جمهورية مالي ازدهارا ملحوظا في التعليم الإسلامي خلال العصور الوسطى؛ حيث أصبحت مدنها الكبرى مثل تمبكتو، وغاو، وسيقو، وكاي مراكز هامة للحركة العلمية والثقافية في غرب إفريقيا. يتناول هذا البحث أهم المراكز العلمية التي ظهر في مدينة تمبكتو خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وهي الفترة التي شهدت ذروة تطورها العلمي. وتهدف الدراسة إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المحورية: ما العوامل التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية في تمبكتو؟ ما هي المراكز التعليمية التي تأسست في المدينة؟ وما هو النظام التعليمي الذي كان معمولاً به في تلك الفترة؟ ويعتمد البحث على المنهج الوثائقي في جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع، بالإضافة إلى المنهج التاريخي لتقديم تصور شامل للتاريخ العلمي والثقافي لمدينة تمبكتو. كما يتم توظيف منهج تحليل المضمون لفهم واستقراء النصوص المتعلقة بالحركة العلمية والمراكز التعليمية في المدينة.

**الكلمات المفتاحية:** جمهورية مالي، العصور الوسطى، الحركة العلمية، جامعات تمبكتو، النظام التعليمي.

### Summary

The Republic of Mali experienced a remarkable boom in Islamic education in the Middle Ages. Its major cities, such as Timbuktu, Gao, Ségou, Kayes, have become important centers of scientific and cultural movement in West Africa. This research focuses on the most important scientific centers of Timbuktu during the 15th and 16th centuries AD. This is the period that saw the peak of its scientific development. The study aims to answer a set of crucial questions: What are the factors that contributed to the scientific development of Timbuktu? What are the main educational centers in the city? What was the educational system in force at that time? The research is based on documentary research to collect data, and the historical approach to address the scientific and cultural history of Timbuktu, the content analysis approach is also used to understand and exploit the data collected.

**Keywords:** Republic of Mali, Middle Ages, scientific movement, universities of Timbuktu, educational system

## مقدمة البحث:

شهدت جمهورية مالي خلال العصور الوسطى نهضة علمية وثقافية جعلتها مركزاً للتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا. كانت مدن مثل تمبكتو وغاو وسيقو وكاي منارات للحركة العلمية، حيث اجتذبت العلماء والطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

تعد مدينة تمبكتو، الواقعة في جمهورية مالي، أبرز هذه المدن؛ حيث كانت تمثل مركزاً علمياً عالمياً في إفريقيا، ووجهة للعلماء وطلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، أصبحت تمبكتو مركزاً رئيسياً للتعليم الإسلامي، مستفيدة من مكانتها الجغرافية والتجارية التي ربطتها بشمال إفريقيا والمشرق العربي. وقد شكلت هذه الفترة الزمنية ذروة الازدهار العلمي في المدينة، حيث نشأت فيها جامعات ومدارس مرموقة مثل جامعة «سنكوري» التي كانت تمثل منارة للعلم والمعرفة. يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة شاملة حول المؤسسات العلمية في تمبكتو خلال هذه الحقبة الزمنية، وتحليل العوامل التي ساهمت في نهضتها التعليمية والثقافية.

## أهمية الموضوع:

تتبع أهمية هذا البحث من مكانة مدينة تمبكتو في التاريخ العلمي والثقافي الإسلامي، فهي ليست مجرد مدينة تاريخية عريقة، بل كانت تمثل رمزاً للإشعاع الحضاري في غرب إفريقيا. ويمثل البحث في تاريخ الجامعات والمراكز التعليمية في تمبكتو مدخلاً لفهم أعمق للتفاعلات الثقافية والفكرية التي سادت في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصور الوسطى. كما أن تسليط الضوء على هذه المرحلة الهامة من تاريخ مالي يساهم في إعادة الاعتبار لدور إفريقيا في بناء الحضارة الإسلامية، وتقديم نموذج ناجح لحركة علمية في بيئة صحراوية بعيدة عن مراكز الخلافة الإسلامية التقليدية. لذلك، يعتبر هذا الموضوع ذا أهمية كبيرة لعلماء التاريخ والحضارة الإسلامية، وللباحثين المهتمين بدراسة التعليم الإسلامي في العصور الوسطى.

## أهداف البحث:

١. تحليل العوامل التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية في مدينة تمبكتو خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر.
٢. دراسة المراكز التعليمية التي تأسست في المدينة وأدوارها في نشر التعليم الإسلامي.
٣. توضيح النظام التعليمي الذي كان معمولاً به في تلك الفترة وتقييم تأثيره.

## مشكلة البحث:

رغم الأهمية التاريخية لتمبكتو كمركز علمي وثقافي، إلا أن هناك نقصاً في الدراسات المتخصصة التي تتناول بالتفصيل المراكز التعليمية ونظام التعليم فيها خلال فترة ازدهارها. يهدف هذا البحث إلى معالجة هذا النقص من خلال تقديم دراسة شاملة تُجيب عن التساؤلات المتعلقة بالعوامل التي أدت إلى ازدهار الحركة العلمية، والمراكز التعليمية التي تأسست، والنظام التعليمي المتبع.

## أسئلة البحث:

١. ما هي العوامل التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية في تمبكتو؟
٢. ما هي المراكز التعليمية البارزة التي تأسست في المدينة؟
٣. كيف كان النظام التعليمي في تلك الفترة، وما مدى تأثيره على الحركة العلمية؟

## فرضيات البحث:

١. ساهم الموقع الجغرافي لتمبكتو في تواصلها مع مراكز العلم في العالم الإسلامي، مما عزز من ازدهار الحركة العلمية فيها.
٢. كانت المراكز التعليمية في تمبكتو تتبع نظاماً تعليمياً متميزاً ساهم في الحفاظ على مكانتها العلمية.
٣. استمر تأثير تلك المراكز العلمية حتى بعد انحسار العصر الذهبي للمدينة بفضل التراث الثقافي الذي تركته.

## منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوثائقي في جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع التاريخية، بما في ذلك المخطوطات والوثائق الأصلية. كما يتم توظيف المنهج التاريخي لتتبع تطور المراكز التعليمية وتحليل الأحداث والظروف التي أثرت عليها. بالإضافة إلى ذلك، سيتم استخدام منهج تحليل المضمون لفهم واستقراء النصوص المتعلقة بالحركة العلمية والنظام التعليمي في تمبكتو.

## المبحث الأول: تمبكتو والحركة العلمية:

### المطلب الأول: موجز تاريخ تمبكتو:

يقول السعدي: «نشأت تنبكت على أيدي توارق مقشرون في أواخر القرن الخامس الهجري فكان أول من ملكها مملكة مالي، ثم رجعت إلى طوارق امغشرون، ثم دخلت



تحت إمبراطورية سنغاي مع سني علي بير، ثم استولى عليها المغاربة بعد غزوة أحمد المنصور الذهبي (٢٩)، ثم دخلت تحت مملكة ماسنا الإسلامية بعد استيلائه على الرماة، ثم استولى عليها الحاج عمر تال بعد انتصاره على الفلانين، ثم رجع إلى الكنتيين مع الطوارق، ثم استولى عليها الاستعمار الفرنسي في نهاية القرن التاسع عشر، ثم أصبحت الإقليم السادس لدولة مالي بعد استقلال البلاد سنة ١٩٦٠م.

وورث تمبكتو ولاتة اقتصاديا وثقافيا حيث «كان التسوق قبل في بلد بير (ولاتة)، وإليه يرد الرفاق من الأفاق، وسكن فيه الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر ووجل وفران وغدامس وتوات ودرعة وتقاللة وفاس وسوس وبيط إلى غير ذلك، ثم انتقل الجميع إلى تنبكت قليلا قليلا حتى استكملوا فيه وزيادة مع جميع قبائل صنهاجة بأجناسها، فكانت عمارة تنبكت خراب بير (ولاتة)» (٣٠)

## المطلب الثاني: نشأة الحركة العلمية في تمبكتو:

نشأت الحركة العلمية في تمبكتو نتيجة لتضافر مجموعة من العوامل الهامة التي ساهمت في تحويلها إلى مركز علمي بارز في غرب إفريقيا خلال القرون الوسطى. من أبرز هذه العوامل:

### ١. هجرة الأسر العلمية إلى المدينة:

انتقل العديد من العلماء والفقهاء من مناطق مختلفة واستقروا في تمبكتو مما ساهم في نقل المعرفة والثقافة إليها، وجعلها وجهة لطلبة العلم: ففي القرن الخامس عشر الميلادي، هاجر إليها أسرة أقيمت من ولاتة مثل محمد أقيمت، وهو الجد الأعلى لأحمد بابا من جهة أبيه (انتقل من ماسنا إلى ولاتة، ومن ولاتة إلى تمبكتو)، وأندغ محمد، وهو الجد الأعلى لأحمد بابا من جهة أمه، كما هاجر إليها أسرة بغيغو من جني، فوفد إليها محمود بغيغو مع ابنه محمد بغيغو أستاذ محمد بابا السوداني، وأحمد بغيغو، من جني إلى تمبكتو، في القرن السادس عشر الهجري، كما هاجر إليها التوتيون كأبي القاسم التواتي جاء إلى تمبكتو مع جماعة من علماء وشرفاء تافيلالت، وسكن بجوار الجامع الكبير (٣١).

### ٢. رعاية السلط المتعاقبة على المدينة للحركة العلمية:

تمتعت المدينة برعاية حكامها للعلم وأهله منذ نشأتها: فاستقدم إلى تنبكت سلطان مالي مانسا موسى علماء المشرق، وكتبنا من مصر، وبعث طلبة العلم إلى شمال إفريقيا. كما أن سلطان سونغاي، سوني علي بير- رغم المعاملة القاسية التي تعرض لها علماء

٢٩ - تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق حماد الله ولد السالم، دار الفكر العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م، ص: ١٢٧.

٣٠ - تاريخ السودان، ص: ١٢٧.

٣١ - أحمد بابا التنبكتي (١٥٥٦ - ١٦٢٧م) حياته وآثاره، محمود عبده زبير، ميزونيف ولروز، باريس، ١٩٧٧م، ص: ١٦ وما بعدها؛ تاريخ السودان، ص: ١٩٤.

تنبكت على يديه - كان يجلّ العلماء، ويقدرهم، ويقول فيهم، كما رواه السعدي: «لولا العلماء لا تحلو الدنيا ولا تطيب»<sup>(٣٢)</sup>.

وقد بلغت رعاية العلم وأهله ذروتها ومداها في عهد السلاطين الأساكي (٨٩٨ - ٩٩٩ هـ = ١٤٩٣ - ١٥٩١ م)، وبصفة خاصة في عهد أسكيا محمد الكبير (حكم ٨٩٨ - ٩٣٥ هـ = ١٤٩٣ - ١٥٢٩ م)، وابنه أسكيا داود (٩٥٦ - ٩٩١ هـ = ١٥٤٩ - ١٥٨٣ م) الذي أنشأ مكتبة سخّرها لأهل العلم<sup>(٣٣)</sup>. هذا الدعم كان له أثر بالغ في تشجيع الطلاب على القدوم إلى تمبكتو للدراسة تحت إشراف هؤلاء العلماء.

### المطلب الثالث: نشأة المراكز العلمية

ساعدت نشأة المراكز العلمية في المدينة، مثل جامعة سانكوري وغيرها من المؤسسات، في تأطير الحركة العلمية وجعل تمبكتو محطة رئيسية لتداول الأفكار والمعارف.

#### ١. جامعات تمبكتو

لم تكن مدينة تمبكتو، خلال القرون الوسطى، تضم جامعات بالمعنى الحديث للمصطلح. بل كانت تحتضن ثلاثة مساجد رئيسية كانت بمثابة مراكز للتعليم العالي والبحث العلمي. هذه المساجد هي: مسجد جنكربير (المعروف بالمسجد الكبير)، ومسجد سيدي يحيى، ومسجد سنكوري. كان مسجد جنكربير يُعتبر الجامع الوحيد الذي تُقام فيه صلاة الجمعة في المدينة، نظرًا إلى أن المذهب المالكي السائد في المنطقة، يرى عدم جواز إقامة أكثر من جمعة واحدة في مصر واحد<sup>(٣٤)</sup>. أما المسجدان الآخران، سيدي يحيى وسنكوري، فقد كانا مخصصين لأداء الصلوات الخمس ولم يصبحا جامعين (لأداء صلاة الجمعة) إلى حد اليوم.

ولماذا نستعمل لفظ «جامعات تمبكتو»؟ يُطلق مصطلح «الجامعة» على هذه المراكز التعليمية الثلاثة نظرًا إلى المستوى الرفيع للتعليم الذي كانت تقدمه، والذي كان يُعادل ما تقدمه أبرز المؤسسات الإسلامية في ذلك الوقت، مثل جامعة الزيتونة في تونس، وجامعة القرويين في فاس، وجامعة الأزهر في القاهرة. وإليك هذه المساجد الثلاثة:

#### ١. المسجد الكبير المسمى باللغة المحلية جَنكَرِي بَارْ، وهو المسجد الجامع

٣٢ - تاريخ السودان، ص: ٢١٣.

٣٣ - مدينة تنبكت تاريخها ورجالها وإسهامها في الحضارة الإسلامية خلال القرنين (٩ - ١٠ هـ (١٥ - ١٦ م)، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمّقة، قسم الحضارة الإسلامية، بالمعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، أعداد الطالب محمد جاكاي، إشراف الدكتور سالم بو يحيى، السّنة الجامعيّة: ١٤٢١ - ١٤٢٢ هـ (٢٠٠٠ - ٢٠٠١ م) ص: ٥٤؛ الحركة العلمية في مدينة تنبكت خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديّين)، عبد الرحمن محمد ميغا، مجلة دار الحديث الحسينة، ع. ١٤٠، الرباط ١٩٩٧، ص ٣٣٣.

٣٤ - انظر مختصر العلامة خليل، خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (المتوفى: ٧٧٦ هـ)، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث/القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م، ٤٤/١.

قديمًا إلى الآن. بناه الحاج كنك موسى في أوائل القرن الثامن، وجدد بناءه القاضي العاقب في أواخر القرن العاشر.

٢. مسجد سيد يحيى. قيل إنه أول مسجد بني في تمبكتو؛ لأنه اشتهر بمسجد امغشرن، وبعد انقراض دولتهم جدد بناءه محمد نض، لما بلغه أنه مسجد أجداده، وجعل فيه سيد يحيى إمامًا. وجدد بناءه القاضي العاقب أيضًا، وذلك في عام ٩٧٦هـ أو ١٤٤٠م، وقيل إن مسجد سيد يحيى بني ثلاث مرات (٣٥).

٣. مسجد سنكري الذي كان مركز العلوم الدينية. يروى أن امرأة أغلالية هي التي قامت ببنائه، ثم قام بتوسيعه القاضي العاقب (٣٦).



صورة ١: صورة من مسجد سنكري التاريخية (٣٧)

كانت العملية التعليمية في جامعات تمبكتو منظمة تنظيمًا دقيقًا، حيث كان الطلاب يجلسون في حلقات دراسية تتخذ شكل نصف دائرة، يتوسطها كرسي الأستاذ. وكان الهدف منه تعزيز التواصل البصري والفكري بين الأستاذ وطلابه، وتسهيل متابعة الدروس والمشاركة في النقاشات التعليمية.

٣٥ - من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، محمود محمد ديب التنبكتي الأرواني، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو . ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص: ٢٢.

٣٦ - تاريخ السودان، ص: ٢٠٦.

/، تاريخ <http://lactualite.com/monde/٠٥/٠١/٢٠٠٧/dans-les-rues-de-tombouctou>

الزيارة: ١٥ أكتوبر ٢٠٢٤.

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )

أما فيما يتعلق بطريقة التدريس، فقد كانت الطريقة السائدة في هذه الجامعات هي أسلوب الإلقاء والمحاضرة؛ إذ كان الأستاذ يقرأ النص أو يقوم أحد الطلبة، الذي يُعرف بالمسرد، بقراءة النص فقرة بعد أخرى، ستولى الأستاذ، بعد قراءة كل فقرة، شرح المعاني وتقديم التعليقات التوضيحية حول الأفكار الأساسية أو المفاهيم المعقدة في النص المقروء. وهو أسلوب يتيح للطلاب فرصة الاستيعاب المتدرج للمادة العلمية، مما يساهم في تعزيز الفهم العميق لمحتوى الدرس.

كان الطلاب يقومون بتسجيل الملاحظات خلال هذه الحصص الدراسية، وغالباً ما كانوا يدونون هذه الملاحظات على هوامش الكتب التي كانوا يستخدمونها، حيث كانوا يكتبون عليها معاني المفردات الجديدة أو يعلقون على الأفكار التي تُعرض خلال الشرح، أو يكتبون شرح الأستاذ، إما باللغة العربية أو باللغات المحلية التي يجيدها الطالب. ويشهد على هذا الأسلوب التعليمي المخطوطات التاريخية التي لا تزال محفوظة في مكتبة معهد أحمد بابا اليوم، إذ يظهر على بعضها أمثال هذه الملاحظات المدونة باللغات المختلفة.

كان الأستاذ الجامعي في جامعات تمبكتو يقوم بتدريس أكثر من مادة علمية، الأمر الذي يعكس المستوى العالي والموسوعي الذي كان يجب أن يتمتع به الأستاذ في ذلك الوقت، مما يسهل على الطلبة الحصول على تعليم شامل في مجالات متعددة دون الحاجة إلى التنقل بين أساتذة مختلفين. وفي المقابل، كان للطلاب حرية كبيرة في اختيار المواد التي يرغب في دراستها، وكذلك في اختيار الأستاذ الذي يود أن يتلقى التعليم منه، كما كان يتمتع بمرونة فيما يخص الأوقات التي يود أن يحضر فيها الدروس. هذا النظام المرن كان يلبي احتياجات الطلبة الذين قد يكون لديهم ارتباطات أخرى أو يعيشون في أماكن بعيدة عن مكان الدرس، مما جعل التعليم في هذه الجامعات مفتوحاً للجميع، يعزز من تفاعل الطلاب مع العلم والدراسة (٣٨)

## المبحث الثاني: نظام التعليم في تمبكتو:

### المطلب الأول: مراحل التعليم:

ويبدو في ثنايا ما كتبه أحمد بابا السوداني (٣٩) عن تعليمه في كتابه كفاية المحتاج، أثناء ترجمة شيوخه الذين أخذ عنهم، أن التعليم العالي كان منقسماً إلى ثلاث مراحل (٤٠): المرحلة الأولى: وهي مرحلة تالية لمرحلة ابتدائية ومتوسطة سكت عنهما أحمد بابا،

٣٨ - انظر كتاب بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، محمد الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الصفاة، الكويت، ص: ٥٥٢.

٣٩ - انظر مقدمة تحقيق نيل الابتهاج بتطريز الديباج، من منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ليبيا، ط١، ١٩٨٩م، ١٢/١.

٤٠ - يرى عبد القادر زبادية أنه « كان التعليم في تمبكتو خلال القرن السادس عشر ينقسم إلى ابتدائي وثانوي وعال » انظر حركة التعليم في تمبكتو في بلاد التكرور خلال القرن ١٦م ودور الأوقاف في ازدهارها، عبد القادر زبادية، مجلة دعوة الحق، العدد ٢٣٠، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، يوليو - أوت، ١٩٨٣، ص: ٤٣.

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث ( اساد )

يرتاد فيها التلميذ الكتاتيب لتعليم مبادئ اللغة العربية والعلوم الشرعية، يظل فيها إلى أن يحفظ القرآن الكريم، ويقرأ المتن الأولية كمتن الأخصري في الفقه، ومتن الأجرومية في النحو، ومتن الأربعين في حديث وغيرها، فهي مرحلة تمهيدية، ثم يلتحق بالحلقات العلمية. ففي هذه المرحلة الأولى يلتحق التلميذ بحلقات الشيوخ في الجامع، وكان التعليم فيها تعليمًا استيعابيًا يحاول فيه الطالب فهم فروع المسائل، وعن هذه المرحلة يقول أحمد بابا التنبكتي: فقرأت عليه سماعاً، أو قرأت عليه إسماعاً، أو قرأت عليه قراءة فهم، وهذه هي مرحلة الفهم. والمرحلة الثانية هي مرحلة التحقيق، وهي مرحلة فوق مرحلة الفهم المجرد؛ إذ يعيد فيه الطالب قراءة ما قرأه في المرحلة السابقة مع أدلتها، وعنها يقول أحمد بابا: فقرأت عليه قراءة تفهم، أو قرأت عليه قراءة بحث، أو قرأت عليه قراءة تحقيق. والمرحلة الثالثة وهي الأخيرة هي مرحلة التدقيق والبحث لا يكتفي فيها الطالب بتفهم ما يتعلمه ولا بإرجاعها إلى أصولها، بل يقارن بين أقوال العلماء فيها للوقوف على أسبابها. يقول عنها التنبكتي: فقرأت عليه قراءة بحث وتحقيق، أو قراءة بحث وتدقيق، أو قراءة بحث وتحقيق وتحرير، أو قراءة مباحثة ومراجعة<sup>(٤١)</sup>. وبعد قطع هذه المراحل في التعليم يلتحق الطالب بسلك العلماء: إما أن يلتحق بسلك التدريس أو بالوظائف الإدارية كالكتابة والإفتاء والقضاء.

## المطلب الثاني: المواد التعليمية<sup>(٤٢)</sup>:

وإذا كانت جامعات العالم الإسلامي، مغرباً ومشرقاً، قد استأثرت فيها المواد الدينية بنسبة كبيرة من مواد التدريس، فلا غرو أن نجد علماء تنبكت، الذين اقتفوا أثرهم، منكبين على دراسة المواد الشرعية المختلفة، وتدريسها خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين). ويمكن أن تصنف مواد الدراسة على النحو التالي:

### ١. الشرعيات:

٤١ - انظر التنبكتي، أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد المطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٢١ هـ. ٢٠٠٠ م، الترجمة رقم ٩٤: ترجمة أبيه أحمد بن أحمد بن عمر بن أقيت، ١٣٧/١؛ والترجمة رقم ١٣٧: ترجمة عمه أبي بكر بن أحمد بن عمر بن أقيت، ١٨١/١؛ والترجمة رقم ٦٤٦: ترجمة شيخه محمد يغيج، ٢٣٧/٢.

٤٢ - مدينة تنبكت تاريخها ورجالها وإسهامها في الحضارة الإسلامية خلال القرنين (٩ - ١٠ هـ (١٥ - ١٦ م)، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمّقة، قسم الحضارة الإسلامية، بالمعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، أعداد الطالب محمد جاكاييتي، إشراف الدكتور سالم بو يحيى، السنة الجامعية: ١٤٢١ - ١٤٢٢ هـ (٢٠٠٠ - ٢٠٠١ م) ص: ٥٩ وما بعدها؛ انظر الكتب المذكورة في تراجم هؤلاء الأعلام في كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد المطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٢١ هـ. ٢٠٠٠ م، الترجمة رقم ٩٤: ترجمة أبيه أحمد بن أحمد بن عمر بن أقيت، ١٣٧/١؛ والترجمة رقم ١٣٧: ترجمة عمه أبي بكر بن أحمد بن عمر بن أقيت، ١٨١/١؛ والترجمة رقم ٦٤٦: ترجمة شيخه محمد يغيج، ٢٣٧/٢؛ وانظر أيضاً ميقاتاً، أبو بكر إسماعيل، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من ٤٠٠ هـ إلى ١١٠٠ هـ، في عهد الممالك الإسلامية: غانا، مالي، سونغاي، التي قامت في غرب إفريقيا بين الرابع الهجري والحادى عشر الهجري، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٧، ص ٢٣٣. ٢٣٦.



كان الهدف من التعليم الإسلامي إرساء معرفة دينية سليمة، لذا استأثرت المواد الدينية بعناية علماء تنبكت، فغدوا يدرّسونها. وأهم الكتب التي حظيت بالعناية في ميدان التعليم هي :

**كتب الفقه المالكي:** مختصر خليل (ت. ٧٧٦ هـ = ١٣٧٤ م) ومدونة سحنون (ت. ٢٤٠ هـ = ٨٥٤ م) والرسالة لابن أبي زيد القيرواني (٣١٦ - ٣٨٦ هـ = ٩٢٨ - ٩٩٦ م)، وجامع المعيار للونشريسي (ت. ٩١٤ هـ = ١٥٠٨ م)، وتحفة الحكام لابن العاصم، والمنتقى للباجي (ت. ٤٧٤ هـ = ١٠٨١ م)، والمدونة بشرح المحلي، والمدخل لابن الحاجب (٥٧٠ - ٦٤٦ هـ = ١١٧٤ - ١٢٤٨ م)، والمرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر الفاسي (ت. ١٠٤٠ هـ = ١٦٣٠ م)، ومنظومة الزكاة لمحمد بن العربي (ت. ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م)، والبيان والتحصيل لابن رشد الجد القرطبي (ت. ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م)، وجمع الجوامع في أصول الفقه، وشرح أبي الحسن الصغير على المدونة.

**كتب الحديث:** صحيح البخاري (ت. ٢٥٦ هـ = ٨٦٩ م) ومسلم (ت. ٢٦١ هـ = ٨٧٥ م)، والشفاء للقاضي عياض (ت. ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م)، وألفية العراقي (ت. ٨٠٦ هـ = ١٤٠٣ م) في علوم الحديث مع شرحها، وموطأ الإمام مالك، والجامع الصغير للسيوطي (ت. ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م)، وألفية الأثر في شرح الحديث، والطرفة في مصطلح الحديث لمحمد الفاسي (٤٣).

**كتب العقيدة:** وهي كثيرة، أهمها: صغرى السنوسي (ت. ٨٩٥ هـ = ١٤٨٩ م)، وحكم ابن عطاء الله (ت. ٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م) مع شرح أحمد زروق (٨٤٦ - ٨٩٩ هـ = ١٤٤٢ - ١٤٩٣ م) عليه، والبيان والتصوف، شرح الكواكب الوقادة في الاعتقاد، ورجز المغيلي (ت. ٩٠٩ هـ = ١٥٠٣ م) في المنطق، وشرحه لأحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٢٩ - ٩٩١ هـ = ١٥٢٢ - ١٥٨٣ م)، وشرح النقاية في الأصول، والمراصد في التوحيد لمحمد بن العربي، ومختصر ابن الحاجب (٥٧٠ - ٦٤٦ هـ = ١١٤٧ - ١٢٤٨ م)

**كتب التفسير:** لا تتوفر معلومات ضافية بالنسبة إلى كتب التفسير، إذ اقتصر على تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي (ت. ٨٦٤ هـ = ١٤٥٩ م) والسيوطي. ومن غير المستبعد وجود كتب أخرى للتفسير، حيث كان لأحمد بابا مؤلفات في التفسير، منها ما كتبه في أول سورة الفتح (٤٤).

## 2. اللغة العربية:

تدرّس باعتبارها مكملة للشرعيات ولفهم مقاصد الشريعة. ومن أهم كتب اللغة المدرّسة

٤٣ - ميّقا، أبو بكر إسماعيل، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من ٤٠٠ هـ إلى ١١٠٠ هـ، في عهد الممالك الإسلامية: غانا، مالي، سونغاي، التي قامت في غرب إفريقيا بين الرابع الهجري والحادي عشر الهجري، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٧، ص ٢٣٣ - ٢٣٦.

٤٤ - التنبكتي، أحمد بابا، تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، تحقيق سعيد سامي، الرباط، ١٩٩٢، ص ٢٣. نقلًا عن محمد جاكيتي، المصدر السابق، ص: ٥٩ وما بعدها.

مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث (اساد)

في تنبكت:

ألفية ابن مالك في النحو (ت. ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م) وتلخيصها للسيوطي، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، المشهور بـ «التسهيل» لابن مالك في النحو، و الجمهرة في اللغة لابن دريد (ت. ٣٢١ هـ = ٩٣٣ م)، والخزرجية في العروض بشرح الشريف الدمامي، وقطر الندى وبلّ الصدى في النحو لابن هشام (ت. ٢١٨ هـ = ٨٣٩ م)، ومقدمة الباجوري، وشرح المكودي (ت. ٨٠٧ هـ = ١٤٠٤ م) على ألفية ابن مالك، ومقامات الحريري (ت. ٥١٥ هـ = ١١٢١ م)، والأجرومية وشروحها، والبهجة المرضية، وتلخيص المفتاح مع تعليق سعد الدين التفتازاني (ت. ٧٩٣ هـ = ١٣٩٠ م).

### المطلب الثالث: الإجازات:

في جامعات تمبكتو، يمكن تمييز نوعين رئيسيين من الإجازات:

إجازات خاصة تهم فئاً أو عدة فنون متحدة الموضوع، وإجازات عامة تشمل فنون وعلومًا متباينة، ويقع النص على كل نوع في نص الإجازة نفسها، ومن أمثلة النوع الأول الإجازات القرآنية والحديثية، وكان يراعى فيها الاحتياط في قراءة النص والمعرفة التامة بالقراءات السبع واختلاف الروايات الحديثية، أما الإجازات العامة فهي تقتضي ختم عدة مواد على النحو الذي يؤهل المجاز لرواية العلم عنه، والقدرة على تبليغه للآخرين، ولم يكن ذلك متأتياً إلا لمن لزم المجالس العلمية لسنوات طويلة قد تشمل جانباً كبيراً من حياة الطالب (٤٥).

ذكر الشيخ محمود محمد دبدب الأرواني طريقة اختبار الطالب للإجازة في مادتي الحديث والتفسير في الفقرة التالية:

هناك كان اختيار العلماء أولاً في كتب الأحاديث، بمعنى أن الطالب يلزم المجالس، وكل أسئلة أقيمت على الشيخ يوجهها لهذا الطالب ويمتحنه بها، ويبقى في هذا زمناً. ثم يؤمر بالجلوس على مقعد لقراءة الحديث بحضرة الشيخ، وبحضرة جماعة من الطلبة، ويبد كل واحد منهم شرح أو تفسير ينظر فيه، ويراقب القارئ، وبعد كل حديث أو حديثين يناقشونه ويسألونه عن بعض الأدلة والأوجه، وما أشبه ذلك. ويستمررون على هذا زمناً طويلاً، ثم تكون الحصّة للتفسير، ويفعل فيه أيضاً نفس الشيء.

والاختبار في العلوم المذكورة له ثلاث حصص:

**الحصّة الأولى:** يقرأ الحديث أو التفسير بنقطه وأشكاله. وفي الحصّة الثانية بنقط من غير شكل، وهذا ليحققوا باعه في القواعد العربية.

**وفي الحصّة الثالثة من غير نقط ولا أشكال.** ومن هنا أيضاً يحققون حفظه، وتدقيق فهمه، وتحقيق فهمه وحفظه، وتمكنه في هذه العلوم. وبعد ذلك يكتبون له الإجازة (٤٦).

٤٥ - محمد الغربي، المصدر السابق، ص: ٥٥٥؛ وانظر أيضاً مظاهر الثقافة الإسلامية العربية في تنبكتو وغاوو وجنّي في عهد الأساكي، محمد حمد كنان ميغا، مجلة قراءات، العدد الثالث، ذو الحجة ١٤٢٩ هـ. ديسمبر ٢٠٠٨ م، ص: ٣٣.

٤٦ - من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، محمود محمد دبدب التنبكتي الأرواني، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية مجلة إفريقيا للدراسات الإستراتيجية والبحوث (اساد)

## الخاتمة:

وتوصل البحث إلى جملة من النتائج تتمثل في أن:

١. مستوى التعليم في المراكز العلمية في تمبكتو التي نسميها اليوم بـ«جامعات تمبكتو» لم يكن أقل شأواً مما كان مقدماً في نظيراتها في العالم الإسلامي، كالزيتونة والقرويين؛
٢. التعليم في جامعات تمبكتو كان تعليماً متدرجاً حسب المراحل العمرية أو المستوى العلمي؛ إذ كان التعليم مقسماً إلى تعليم ابتدائي، وتعليم متوسط، وتعليم عال، وكان الأسلوب متدرجاً من التلقين، إلى الإلقاء والمحاضرة، إلى المناقشة والحوار، وكان الهدف التعليمي متدرجاً من فهم إلى تحقيق إلى تدقيق؛
٣. التعليم في تمبكتو كان مربوطاً بحاجات المجتمع؛ لأن المتخرج من هذه المراكز كان معداً لتولي وظائف الإمامة، والتدريس، والقضاء، والإفتاء، والكتابة وغيرها، فلم يكونوا يعرفون البطالة؛
٤. التعليم في جامعات تمبكتو كان تعليماً حسب المقاربة بالكفاءات؛ لأنه كان للطالب حرية في اختيار المادة العلمية، وأستاذ المادة، والفترة التعليمية.

## التوصيات:

١. يُوصى بضرورة إعادة تفعيل مناهج التعليم التقليدية التي كانت تُدرّس في تمبكتو، ولكن مع تطويرها ودمجها بالتكنولوجيا الحديثة لتتماشى مع متطلبات العصر، مع الحفاظ على الأسس الفكرية والثقافية التي شكلت جزءاً كبيراً من هوية تلك المؤسسات؛
٢. يُنصح بتبني سياسات تعليمية تستمر في مراعاة حاجات المجتمع، حيث يمكن استلزام تجربة جامعات تمبكتو في إعداد الطلاب لتولي مناصب تخدم المجتمع مثل القضاء والتعليم والإفتاء، وضمان أن تظل مخرجات التعليم مرتبطة بشكل مباشر بمتطلبات التنمية المحلية، مما يساهم في تقليل معدلات البطالة وتلبي احتياجات سوق العمل؛
٣. يُوصى بتطبيق نظام الاختيار الحر للطلاب في المواد الدراسية وأوقات الدراسة وأساتذتها، كما كان متبعاً في جامعات تمبكتو، مما يساهم في تطوير كفاءات الطلاب وبتيح لهم فرصة تحسين مهاراتهم وقدراتهم بشكل يتناسب مع طموحاتهم واحتياجاتهم الفردية؛
٤. يُنصح بتشجيع الباحثين والمؤرخين على إجراء دراسات معمقة حول إسهامات تمبكتو التعليمية، وذلك لإبراز دورها في الحضارة الإسلامية وتأثيرها على التطور التعليمي في منطقة غرب أفريقيا.

## قائمة المصادر والمراجع

١. أحمد بابا التنبكتي (١٥٥٦ - ١٦٢٧م) حياته وآثاره، محمود عبده زبير، ميزونيف ولروز، باريس، ١٩٧٧م.
٢. بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، محمد الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الصفاة، الكويت، د.ت.
٣. تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق حماد الله ولد السالم، دار الفكر العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م.
٤. تاريخ الفتاش، محمود كعت، منشورات معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، تمبكتو، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.
٥. حركة التعليم في تمبكتو في بلاد التكرور خلال القرن ١٦م ودور الأوقاف في ازدهارها، عبد القادر زبادية، مجلة دعوة الحق، العدد ٢٣٠، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، يوليو - أوت، ١٩٨٣.
٦. الحركة العلمية في مدينة تنبكت خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (الخامس عشر و السادس عشر الميلاديين)، عبد الرحمن محمد ميغا، مجلة دار الحديث الحسنية، ع. ١٤، الرباط ١٩٩٧.
٧. الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من ٤٠٠ هـ إلى ١١٠٠ هـ، في عهد الممالك الإسلامية : غانا، مالي ، سونغاي، التي قامت في غرب إفريقيا بين الرابع الهجري والحادي عشر الهجري، أبو بكر إسماعيل ميغا، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٧.
٨. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، أحمد بابا التنبكتي، تحقيق: محمد المطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
٩. مختصر العلامة خليل، خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (المتوفى: ٧٧٦هـ)، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث/القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.
١٠. مدينة تنبكت تاريخها ورجالها وإسهامها في الحضارة الإسلامية خلال القرنين (٩ - ١٠ هـ) (١٥ - ١٦ م)، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمّقة، قسم الحضارة الإسلامية، بالمعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، أعداد الطالب محمد جاكاييتي، إشراف الدكتور سالم بو يحيى، السنة الجامعية: ١٤٢١ - ١٤٢٢ هـ (٢٠٠٠ - ٢٠٠١ م)
١١. مظاهر الثقافة الإسلامية العربية في تنبكتو و غاوو وجنّي في عهد الأساكي، محمد حمد كنان ميغا، مجلة قراءات، العدد الثالث، ذو الحجة ١٤٢٩ هـ - ديسمبر ٢٠٠٨م.
١٢. من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، محمود محمد ددب التنبكتي الأرواني، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافة - إيسيسكو - ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١م.
١٣. من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، محمود محمد ددب التنبكتي الأرواني، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافة - إيسيسكو - ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١م.
١٤. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، من منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ليبيا، ط ١، ١٩٨٩م.

# جزر القمر

حياة إفريقية تزخر بالترابط الاجتماعي



د. مزمل الرئيس احمد على

جمهورية

جزر القمر المتحدة

و(رسميًا: الإِتِّحَادُ القُمْرِي)، بالقمرية

(Udzimawa Komori) هي دولة عربية

تتكون من أربع جزر في أرخبيل جزر القمر

البركاني وهي: انجزيجة، جزيرة موالى، وجزيرة

أنزواني وجزيرة ماهوريه بالإضافة إلى العديد من الجزر

الأصغر مساحةً تقع في المحيط الهندي على مقربة من

الساحل الشرقي لإفريقيا على النهاية الشمالية لقناة موزمبيق

بين شمالي مدغشقر وشمال شرق موزمبيق. وأقرب الدول إلى

جزر القمر هي موزمبيق، وتنزانيا، ومدغشقر، وسيشل.

تبلغ مساحتها ١,٨٦٢ كيلومتر مربع لذا تعد ثالث أصغر دولة

إفريقية من حيث المساحة، ويقدر عدد سكانها ب ٨٧٦,٩٣٥ نسمة

وبذلك تعد سادس أقل دولة إفريقية من حيث عدد السكان على الرغم

من أنها من أعلى الدول الإفريقية من حيث الكثافة السكانية، كما

أنها أقصى دولة جنوبية في تنتمي الى جامعة الدول العربية.



## المناخ:

والمناخ عمومًا استوائي ومعتدل وهناك فصلان رئيسيان يتميزان بهطول الأمطار بشكل كبير إلى حد ما. وتصل درجة الحرارة إلى (٨٤-٨٦) درجة فهرنهايت في مارس الذي يعد أعلى الشهور حرارةً في الموسم المطير الذي يمتد من ديسمبر إلى أبريل. وعلى الجانب الآخر، تنخفض درجة الحرارة لتصل إلى (٦٦ درجة فهرنهايت) في الموسم البارد الجاف والذي يمتد من مايو إلى نوفمبر. وتعرض الجزر للأعاصير خلال الموسم المطير

## السكان:

تعد جزر القمر من الدول التي تتميز بقلة عدد السكان إذ يبلغ عددهم ٧٨١,٧٦١ نسمة [1] وعلى الرغم من ذلك، فإنها تعد أيضًا من أكثر الدول كثافةً سكانيةً، حيث تقدر الكثافة السكانية بـ ٢٧٥ نسمة في كل كيلو متر مربع أي ما يعادل ٧١٢ نسمة في الميل المربع. وفي عام ٢٠٠١ بلغت نسبة سكان الحضر ٣٤٪ ويتوقع زيادة هذه النسبة نظرًا للنمو السكاني لسكان الريف، وفي الوقت نفسه يستمر النمو السكاني بشكل عام في الارتفاع النسبي. ومن بين المراكز الحضرية الكبرى مدينة موروني وموتسامودو ودوموني وفومبونيوتسمبيو [2]. راجع خريطة جزر القمر

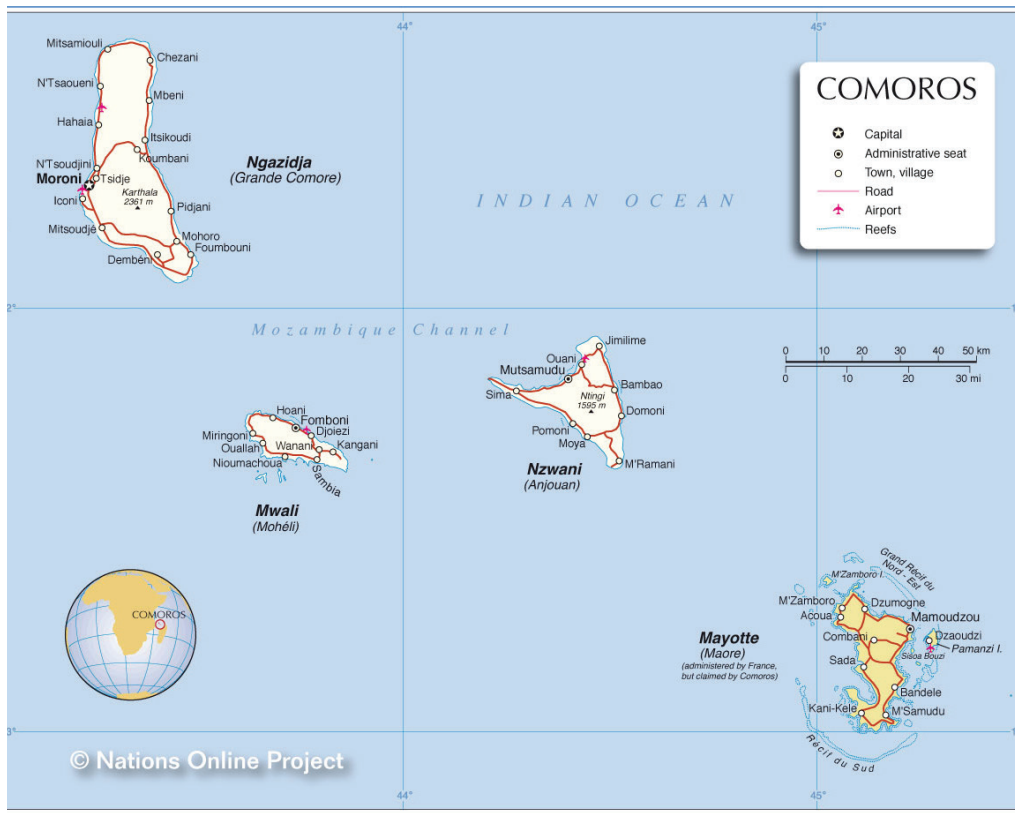
## الديانة

يمثل الإسلام الدين الغالب في الدولة إذ يدين به نحو ٩٩٪ من السكان. وعلى الرغم من تغلغل الثقافة العربية في الأرخبيل، فهناك أقلية من المواطنين الكاثوليك في مايوت الذين تأثروا بقوة بالثقافة الفرنسية.

## اللغات

أما أكثر اللغات شيوعًا فهي شيكومور وهي مشتقة من اللغة السواحلية ومتأثرة بالعربية. أما عن اللهجات المتحدثة في الجزر فهي شينجازيجا: وهي لهجة جزيرة نجازيجا، وشيموالي: وهي لهجة جزيرة موالى، وشيننزواني: وهي لهجة جزيرة انزواني، وشيماوريه: وهي لهجة جزيرة ماهوريه. كما أن اللغة الفرنسية واللغة العربية تعدان من اللغات الرسمية بالإضافة إلى اللغة القمرية. وتنتشر اللغة العربية على نطاق واسع كلغة ثانيةً فهي لغة التعليم القرآنية، أما الفرنسية فهي لغة كل أنواع التعليم الرسمي. أما المالغاشية فيتحدثها عدد قليل من المهاجرين المالغاشيين. حوالي سبعة وخمسين في المائة من السكان يجيدون قراءة الألفبائية اللاتينية أكثر من الألفبائية العربية، وتقدر نسبة معرفة السكان بالقراءة إلى نحو ٦٢,٥٪ [3] واللغة القمرية ليس لها حروف محلية خاصة بها، ولكن تم استخدام كل من الحروف العربية واللاتينية.

## خريطة جزر القمر



المصدر: <https://www.org.nationsonline.org/map/one-world/map-comoros.htm>

## ثقافات متنوعة

تتميز جزر القمر بتركيبة سكانية مميزة تعكس تنوع الأصول حيث اجتمع المهاجرون العرب والفرس والملايو مع شعوب مدغشقر والشعوب الإفريقية لتشكيل مجتمع سكاني مميز، حيث يتحدث سكان جزر القمر مجموعة من اللغات منها لغة بانتو واللغات العربية والفرنسية فيما يعتبر الإسلام دين الدولة. [4]

فإن حكومة الاتحاد القمري (أو أسلافها منذ الاستقلال) لم تحكم مطلقًا جزيرة مايوت التي تعتبرها فرنسا مستعمرة فرنسية عبر البحار ولا زالت تحكمها. ويرجع ذلك إلى أن مايوت كانت هي الجزيرة الوحيدة في الأρχيبيل التي صوّتت ضد الاستقلال عن فرنسا في التاسع والعشرين من مارس عام ٢٠٠٩، واستخدمت فرنسا حق الفيتو وأبدت اعتراضها على قرارات مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة التي تؤكد سيادة جزر القمر على الجزيرة. يتميز هذا الأرخيبيل بالتنوع الثقافي والتاريخي، حيث تألفت الأمة من ملتقى العديد من الحضارات. للاتحاد القمري ثلاث لغات رسمية وهي اللغة القُمريّة (شِقْمُر) واللغة العربية والفرنسية.



ويعد الاتحاد القمري الدولة الوحيدة التي تشترك في عضوية كل من الاتحاد الإفريقي والمنظمة الدولية للفرنكوفونية ومنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية ولجنة المحيط الهندي بالإضافة إلى العديد من المنظمات الدولية.

يُعتقد أن أول من سكن جزر القمر كانوا مستوطنين من بولينزيا ومن ماليزيا ومن الملايو ومن إندونيسيا والأسترونيسيون وقد جاؤوا عن طريق القوارب. واستقر هؤلاء في القرن السادس الميلادي وهو تاريخ أول موقع أثري معروف وجد في أنجوان، على الرغم من أن بعض المصادر تعتقد أن الاستيطان بدأ منذ أوائل القرن الأول. وقد أصبحت جزر القمر مأهولة بسكان تحدرت من مجموعات مختلفة أتت من ساحل أفريقيا والخليج العربي وإندونيسيا ومدغشقر. وقد وصل المستوطنون السواحليون أولاً إلى الجزر كجزء من توسع البانتو الأكبر والذي حدث في أفريقيا خلال الألفية الأولى. ويقسم تطور نمو جزر القمر إلى مراحل زمنية تبدأ بالنفوذ السواحلي والاستيطان في مرحلة الدميني (من القرن التاسع إلى القرن العاشر الميلادي) والتي ظلت خلالها كل جزيرة عبارة عن قرية واحدة مركزية. ومنذ القرن الحادي عشر إلى الخامس عشر، ازدهرت التجارة مع جزيرة مدغشقر وتجار الشرق الأوسط، وظهرت بعض القرى الأصغر وتوسعت المدن

الموجودة. وقد صرح المواطنون والمؤرخون في جزر القمر أن أول استقرار للعرب يرجع إلى وقت أبكر من وصولهم المعروف إلى الأرخبيل، كما أن المؤرخين السواحليين كثيراً ما ينتبعون الأنساب ويرجعونها إلى الأسلاف العرب الذين أبحروا من اليمن ومملكة سبأ القديمة في عدن التي يعتقد أنها عدن. وعلى الرغم من ذلك، فإن الناس ليسوا متأكدين من صحة هذا الأمر. وكان التجار القادمون من الشرق الأوسط هم أول من قدم الإسلام إلى هذه الجزر. وبمجرد أن انتشر الدين واكتسب شعبية، بدأ تشييد المساجد (المسجد الكبير).

### حضور المناسبات الاجتماعية



وكانت جزر القمر مثل غيرها من المناطق الساحلية في المنطقة، من أهم المحطات في طرق التجارة الإسلامية الأولية التي سلكها العرب. وعلى الرغم من بعد جزر القمر عن الساحل، فهي تقع على طول طريق البحر الرئيسي بين كيلوا وموزمبيق وهي بذلك منفذ لذهب زمبابوي. وازداد النفوذ العربي مع علو شأن زنجبار تحت الحكم العربي العُماني (عُمان) وكذلك زاد تأثير الثقافة القمرية بالثقافة العربية وانعكس ذلك في عدة مجالات لاسيما في مجال العمارة والدين. وقامت العديد من السلطنات المتنافسة في القرنين السادس والسابع الميلادي. وفي الوقت الذي أظهر فيه الأوروبيون اهتمامهم بجزر القمر، دفع مظهر الثقافة العربية المسيطرة على الجزر الكثيرين إلى تذكر أصول المجتمع العربية على حساب التراث السواحلي والإفريقي [5].



## التعليم

التحق تقريباً غالبية المتعلمين من السكان في جزر القمر بمدارس قرآنية في مرحلة ما من حياتهم وغالباً ما تكون قبل الالتحاق بالمدرسة العادية.

جزر القمر تضم عدداً من الجامعات والمؤسسات التعليمية. من أبرز الجامعات في جزر القمر:

- **الجامعة القمرية (Université des Comores):** هي الجامعة الرئيسية في البلاد، تقع في العاصمة موروني. تقدم مجموعة متنوعة من البرامج الأكاديمية في مختلف التخصصات.
- **الجامعة الإسلامية بجزر القمر (Université Islamique des Comores):** تركز على التعليم العالي والدراسات الإسلامية، وتعتبر من المؤسسات التعليمية الهامة.
- **كلية العلوم والتقنية:** تقدم برامج دراسات في مجالات العلوم والتكنولوجيا والعلوم الهندسية.

تسعى هذه الجامعات إلى تحسين التعليم العالي في جزر القمر وتلبية احتياجات المجتمع المحلي.

تُدرس اللغة العربية في جزر القمر بطرق متعددة، نظرًا لأهمية اللغة في الثقافة والدين والتعليم.

## طلاب المدارس في جزر القمر



المصدر <https://www.sharq-al.com/article/2014/07/10/>



## جزيرة القمر الكبرى

المعروفة محلياً باسم «نكازيجا»، هي أكبر جزر أرخبيل جزر القمر وتحتوي على العاصمة موروني. تفصل الجزر مسافات كبيرة عن بعضها البعض، حيث تبعد نجازيجيا (القمر الكبرى) من ماهوري (مايوت) مسافة ٢٠٠ كيلو متر، ومسافة ٤٠ كيلو متر من موالى (موهيلي). تكونت جزر أرخبيل جزر القمر بفعل النشاط البركاني. ويقع القرطالة، وهو بركان درعي نشط في نجازيجيا ويعد أعلى قمة في البلد حيث يبلغ ارتفاعه ٢,٣٦١ متر ٧,٧٤٨ قدم (٢,٣٦٢ م). ويضم هذا الجبل أكبر بقعة من الغابات المطيرة الأخذة في الاختفاء في جزر القمر

تتميز العادات الاجتماعية في جزر القمر بتنوعها وغناها، حيث تعكس الثقافة الفريدة للبلاد وتعتبر هذه العادات نتاج تمازج وتلاقح عدد من الثقافات التي تشكل حضوراً في تركيبة المجتمع القمري. وتتسم تقاليد الزواج في جزر القمر بالخصوصية والاحتفالية، وهناك عدة مراحل وعادات تقليدية تميز هذا الحدث الهام في حياة المجمع القمري ومنها الخطبة تبدأ منذ ذهاب أهل العريس إلى عائلة العروس لعرض نواياهم. يتبادلون الهدايا ويتحدثون عن الترتيبات المالية. والتي تتضمن المهر والذي يتم تحديده من قبل عائلة العروس ويعتبر رمزاً للاحترام والجدية في الزواج. كما يتم الاتفاق على التحضيرات لحفل الزفاف حيث تشارك العائلتان في تنظيم الحفل، بما في ذلك اختيار الملابس والمكان والطعام في حفلٍ دعى له الأقارب والكثير من الأصدقاء، والذي يتضمن الموسيقى والرقصات التقليدية. تُعتبر الزفاف فرصة للاحتفال بالمجتمع وتبادل الثقافات. غالباً ما تتضمن الزيجات في جزر القمر طقوساً دينية، حيث يتم أداء صلاة معينة في المساجد للاحتفال بالانتقال الرسمي من العزوبية إلى الحياة الزوجية. بعد الزفاف، يُعتبر من المهم أن تتوفر الأسرة المنزلة للعروس وتكون مستعدة للعيش مع العريس، ويُعتبر الدعم من عائلتي الزوجين أمراً أساسياً.

وعادة ما يكون الزواج مطابقاً للشرع الإسلامي ويطلق عليه زواج السنة، غير أن هذا الزواج يرتبط بتقليد آخر وهو ما يطلق عليه «الزواج الكبير» والذي لا يشترط قيامه بالتزامن مع زواج السنة بل يمكن أن يقام بعد سنوات من زواج السنة أو حتى بعد الانجاب يتطلب هذا «الزواج الكبير»، تكاليف كبيرة يتكبدتها الزوج، بما في ذلك المهر ومجوهرات العروس وهدايا الأقارب. وهو من العادات غير المألوفة في المجتمعات الأخرى وتقردها بها المجتمع القمري بل هو عادة اجتماعية متجذرة في المجتمع لها طقوسها وتكاليفها غير المنظورة والتي تظهر هي اسهام العريس في الحياة العامة من خلال اسهامه في مشروعات الخدمة الاجتماعية اذ من الفقرات المهمة جدا في الاحتفال بالزواج هو تكريم الزوج لإسهاماته في المجتمع والتي غالبا ما ترتبط بخدمة اجتماعية مثل المساهمة في بناء المساجد أو تعبيد الطرق الداخلية بالحي الذي يقطنه أو المشاركة في امداد الكهرباء أو بناء المدارس أو التبرع للجمعيات الخيرية التي تعنى برعاية الايتام والنساء الارامل وغيرها من مشروعات الخدمة المجتمعية.

## التقاليد الأسر وتساهم في تعزيز الروابط الاجتماعية بين المجتمع المحلي



تكتسب الاحتفالات بالأعياد في جزر القمر شكلا خاصا، حيث تجمع بين التقاليد المحلية والمظاهر الثقافية. اذ ويواظب العديد من الناس في جزر القمر على الإفطار في المسجد، فتراهم قبل موعد الإفطار يحملون أكلهم ويتجهون إلى المساجد، ويهيئون مائدة إفطار جماعي مكون من أطباق مختلفة فيتبادلون الأكل مع بعضهم في جو من التآخي والرحمة، ولا ينسون نصيب الفقراء على مائدتهم [6]. ويمثل عيد الفطر الذي يُحتفل به بعد أداء فريضة الصيام في شهر رمضان، ومثل بقية العالم الإسلامي يبدأ اليوم بصلاة العيد في المساجد، حيث يجتمع الناس لتأدية الصلاة وتبادل التهاني. يُعد إعداد الأطعمة والحلويات الخاصة جزءاً أساسياً من الاحتفال، ويُقدم للأقارب والأصدقاء.

## تجمع النساء في المناسبات الخاصة في الزواج الكبير



من العادات التي يحتفل بها شعب دولة جزر القمر بعيد الفطر هي إقامة مسابقات مصارعة حرة ومسابقات رياضية في سباق الجري. ووسط الاحتفالات تشد بينهم المنافسة للفوز بكأس البطولة وهدايا وخيرات العيد. ومن المعروف أن خلال أيام العيد تكثر حفلات الزفاف والمناسبات الخاصة، وتكون إجازة رسمية لتبادل الزيارات. [7] أما عيد الأضحى يعتبر من الأعياد المهمة. يحضر الناس الأضاحي ويتم توزيع اللحم على المحتاجين، وكذلك على الأقارب. ثم تنتظم المدن مهرجانات تجوب شوارع المدن احتفاءً بهذا العيد. [8] وهناك احتفالات أخرى كالأعياد الوطنية حيث تشمل احتفالات بالاستقلال والتاريخ الوطني، حيث تُقام الفعاليات والنشاطات مثل المسيرات والعروض الثقافية والفنية. وعادة ما تشمل الموسيقى والرقصات التقليدية، حيث تُعبر هذه الاحتفالات عن الهوية الثقافية والتقاليد المتوارثة.

تجتمع العائلات والأصدقاء خلال هذه الأعياد للتواصل وتعزيز الروابط الاجتماعية، مما يجعلها فرصة للتلاقي والاحتفاء بالتراث المشترك.

## احتفال الرجال في المناسبات الخاصة في الزواج الكبير



### خاتمة:

هذا التعدد في العادات الثقافية جعل من جزر القمر دولة إفريقية فريدة تعكس تراثها وتنوع سكانها وتمسكها بأهم عاداتها هي ارتداء الملابس التقليدية في المناسبات الاجتماعية، مثل «الكيمنو» أو «الساري»، والتي تُعبر عن الهوية الثقافية لهذه الدولة العربية الإفريقية. والتى تُعتبر العادات المحلية والقيم الاجتماعية جزءاً أساسياً من الحياة اليومية فيها، مثل احترام كبار السن وأهمية الأسرة. تجمع هذه العادات بين تأثيرات الثقافة الإفريقية والعربية الإسلامية مما يجعل الثقافة القمرية غنية ومميزة.



- [1] <https://populationtoday.com/ar/km-comoros/>
- [2] Population Division of the Department of Economic and Social Affairs of the United Nations Secretariat
- [3] <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- [4] "Comoros", Britannica, Retrieved 21/1/2022. Edited.
- [5] Federal Research Division of the Library of Congress under the Country Studies/Area Handbook Program (1994 أغسطس). Ralph K. Baensch (المحرر). A Country Study: Comoros. Washington, D.C.: US Department of the Army. مؤرشف من الأصل في 2015-07-21
- [6] <https://www.daleelalmasjed.com/art.php?id=244>
- [7] <https://sabq.org/saudia/6bfz7tm98g>
- تم النشر في: 09 أبريل 2024, 12:16 صباحا- كيف تحتفل الشعوب الإسلامية بقدوم عيد الفطر المبارك. شاهد غرائب العادات والتقاليد
- د. نضيف مولدة باحث في اللسانيات والدراسات المصطلحية (قناة الجزيرة الوثائقية فلم رمضان [8] <https://www.youtube.com/watch?v=G8X7-r2tvI8> ومدينة جزر القمر)



## Araştırma Özetleri

### Sudan'daki Savaşın Demografik Boyutları

Prof. Dr. Hashim Mohamed El-Amin El-Badri

Karrary Üniversitesi Barış Araştırma ve Stratejik Çalışmalar Merkezi Müdürü

Doç. Dr. Mozamil El-Raiys Ahmed Ali

Afrika Üniversitesi Coğrafya Bölümü

### Özet

Bu araştırmanın amacı, Sudan'daki savaşların demografik ve etnografik boyutlarını nüfus coğrafyası perspektifinden incelemektir. Araştırma, 15 Nisan 2023'teki savaşın ardından Sudan'a komşu ülkelerden gelen nüfus hareketlerini ve bu göçü teşvik eden faktörleri anlamayı hedeflemektedir. Sudan, Mısır, Libya, Çad, Orta Afrika Cumhuriyeti, Güney Sudan, Etiyopya ve Eritre olmak üzere yedi ülke ile çevrilidir. Sudan'ın toplam sınır uzunluğu yaklaşık 6.751 kilometre olup, bu sınırların büyük bir kısmı çizilmemiş ve belirsiz durumdadır. Komşu yedi ülkenin toplam nüfusu yaklaşık 245 milyon iken, Sudan'ın nüfusu yaklaşık 34 milyondur. Komşu ülkelerden gelen bireyler, Sudan'a maden kaynakları veya iş olanakları arayışı, istikrar ihtiyacı ya da Avrupa ülkeleri ve Amerika Birleşik Devletleri'ne geçiş amacıyla göç etmektedir. Araştırma sonucunda, Sudan'a yönelik nüfus hareketini tetikleyen faktörlerin gelecekte artacağı öngörülmektedir. Bu nedenle, Sudan makamlarının bu göçü düzenlemek, sınır sorunlarını çözmek ve sınırları net bir şekilde tanımlamak için sınır muhafaza kapasitelerini geliştirmesi gerekmektedir. Ayrıca, Sudan'daki iş gücü eksikliklerini gidermek için komşu ülkelerden gelen göçmenleri değerlendirecek nüfus politikalarının uygulanması ve Sudan'ın ıssız sınır bölgelerine yönelik nüfus akışını engellemek için sınır şehirlerinin inşa edilmesi önerilmektedir.

# Kızıldeniz'deki Jeopolitik Manzarayı Şekillendirmede Bölgesel ve Uluslararası Güçlerin Rolü ve Bunun Afrika Boynuzu Üzerindeki Etkisi

**Dr. Nashwa Abd El Nabi, Lojistik Araştırmaları Uzmanı**

## Özet

Bu araştırma, uluslararası, bölgesel ve yerel güçlerin Kızıldeniz'deki limanlar ve askeri üsler üzerindeki artan rekabetini ve bu rekabetin Afrika Boynuzu'nun istikrarı ve güvenliği üzerindeki etkilerini incelemeyi amaçlamaktadır. Çalışma, büyük güçlerin giderek artan hırslarının şekillendirdiği küresel güvenlik ve ekonomik düzende, Afrika Boynuzu'nun oynadığı kritik rolü vurgulamaktadır. Bölgede jeopolitik ve ekonomik gündemlerin güvenlik gelişmeleriyle nasıl kesiştiği ve dış aktörlerin katılımının Afrika Boynuzu ile Kızıldeniz'deki hükümetler üzerinde nasıl etkiler yarattığı analiz edilmektedir. Çalışma ayrıca, bölgedeki büyük güçlerin varlığının büyüme ve entegrasyon için fırsatlar sunduğunu; ancak aynı zamanda bölgesel istikrar için ciddi tehditler oluşturduğunu öne sürmektedir. Bu durum, savaş ve vekalet çatışmalarının ihtimalini artırmakta, jeopolitik rekabetleri derinleştirmekte ve bölgedeki uzun vadeli barış ve istikrar çabalarını olumsuz yönde etkilemektedir.

## Kadim Sudan Arkeolojisi: Savaş ve Çatışma Arasında

**Dr. Abdulmonem Ahmed Abdullah Babiker**

Arkeoloji Bölüm Başkanı – Afrika Üniversitesi Edebiyat Fakültesi

### Özet

Sudan, kültürel ve medeniyet tarihinin insanlık tarihinin en eski dönemlerine kadar uzandığı kadim bir ülkedir. Bu derin tarihsel önemi, Sudan’da yüz yılı aşkın süredir kesintisiz olarak yürütülen arkeolojik araştırmalarla ortaya konmuştur. Ancak, bu araştırmalar, son bir yılı aşkın süredir devam eden savaş nedeniyle durma noktasına gelmiştir.

Sudan’ın arkeolojik değeri, özellikle dünya genelinde tarih öncesi dönem araştırmaları için bir model olarak kabul edilen Sudan’daki arkeolojik sit alanlarına dayanmaktadır. Taş alet yapımı gibi teknik gelişmelerin anlaşılmasında bu sitler hala önemli bir referans noktasıdır. Sudan’ın bu köklü medeniyet mirası, arkeolojik kayıtları, müzeleri ve sit alanları aracılığıyla korunmaktadır. Ancak, 15 Nisan 2023’te baş gösteren savaş, özellikle ulusal başkent Hartum’da olmak üzere, bu mirasa çeşitli şekillerde zarar vermiştir.

**Anahtar Kelimeler:** Arkeoloji - Müzeler - Tarih Öncesi - Aletler - Çatışma - Savaş

## Tarihi Mali Üniversiteleri: Timbuktu Örneği

Doç.Dr. Driss Traoré, Ahmed Baba Yüksek Lisans ve İslam Araştırmaları Enstitüsü, Timbuktu

### Özet

Orta Çağ'da Mali Cumhuriyeti, İslami eğitim alanında dikkate değer bir gelişim süreci yaşamıştır. Timbuktu, Gao, Ségou ve Kayes gibi büyük şehirler, Batı Afrika'daki bilimsel ve kültürel hareketin önemli merkezleri haline gelmiştir. Bu araştırma, Timbuktu'nun 15. ve 16. yüzyıllarda en önemli bilim merkezlerinden biri olarak öne çıktığı döneme odaklanmaktadır. Çalışma, Timbuktu'nun bilimsel gelişimine katkıda bulunan unsurları ve o dönemin eğitim sistemini anlamayı amaçlamaktadır. Bu bağlamda, şu temel sorulara yanıt aranmaktadır: Timbuktu'nun bilimsel gelişimine katkıda bulunan faktörler nelerdir? Şehirdeki başlıca eğitim merkezleri hangileridir? O dönemde geçerli olan eğitim sistemi nasıldır? Araştırma, veri toplama aşamasında belgesel araştırma yöntemine, Timbuktu'nun bilimsel ve kültürel tarihini ele alırken ise tarihsel yaklaşıma dayanmaktadır. Ayrıca, elde edilen verilerin yorumlanması ve analizi için içerik analizi yöntemi kullanılmıştır.

Anahtar Kelimeler: Mali Cumhuriyeti, Orta Çağ, bilimsel hareket, Timbuktu üniversiteleri, eğitim sistemi

Her türlü iyiliğin Allah'ın nimetiyle tamamlandığını belirterek, sevgili Peygamberimiz Hz. Muhammed'e en güzel salat ve selamlar olsun.

Afrika Stratejik Çalışmaları ve Araştırmalar Merkezi, ilk yayın ürünü olarak, adına yakışır bir bilimsel platform olma amacıyla yola çıkan dördünlü bir bilimsel dergi sunmaktadır. Merkezimizin, Afrika konusunda karar alma süreçlerine, politika yapımına ve kamuoyunu şekillendirmeye olumlu katkı sağlayan önde gelen bir aydınlatma ve bilgi üretim merkezi olma vizyonunu gerçekleştirmek için bu dergiyi bir araç olarak kullanmayı hedeflemektedir.

Dergimiz, tüm dünyanın gözünü diktiği, zengin kaynaklara sahip ve sıcak gelişmelerin yaşandığı gizemli bir kıta olan Afrika'ya ışık tutmaktadır. Türkiye'nin Afrika'da tarihi ve çıkarları bulunmakta olup, kıtadaki ülkelerle karşılıklı kazanç esasına dayalı üretken ortaklıklar kurarak bu ülkelerin kaynaklarını kalkınma ve refah için kullanmalarına imkân tanıyan potansiyele sahiptir.

Dergimiz, bilimsel araştırmalar, makaleler ve raporlar aracılığıyla kıtanın sunduğu fırsatlar hakkında nitelikli bilgi ve derinlemesine, objektif analizler sunmayı amaçlamaktadır. Aynı zamanda, Afrika'da siyaset, ekonomi ve toplum alanındaki stratejik gelişmelere ilişkin bölgesel ve uluslararası anlayışı güçlendirmeye ve sürdürülebilir kalkınma kavramlarını yerleştirmeye odaklanmaktadır.

Dergimiz için Afrika kıtasının farklı coğrafi bölgelerini kapsayan bir araştırmacı ekibimiz bulunmaktadır. Ayrıca, çeşitli alanlarda düşünce ve bilgi liderleri de dergimize yazılar yazmaktadır. Yazar ve araştırmacıları aramıza katılmaya davet ediyoruz.

Dergimiz, hem bilgiye duyulan hissi dokunuşu sevenler için basılı olarak Türkiye'deki merkezimizden yayımlanmakta, hem de elektronik ortamda geniş bir okuyucu kitlesine ulaşabilmek amacıyla elektronik olarak da yayımlanmaktadır. İlk sayımız, daha iyiye ulaşma çabasıyla zengin bir içerik sunmaktadır.

Afrika kıtasının gelişimi ve büyümesine katkı sağlayacak düşünce ve bilimsel katkılarınız için dergimizi takip etmenizi ve bize ulaşmanızı rica ederiz.



## **Yönetim Kurulu Başkanı:**

MÜH.Mohamed Atta Elmoula

## **Baş Editör:**

Dr. Intisar Abunagma

## **Baş Editör Yardımcısı:**

Dr. Muzamil Alrais

## **Dergi Sekreteri:**

Maaz Mohamed

## **Editörler Kurulu:**

Dr. Mohamed Hameed Elfaki

Tahira Sulafeldein

Alzaki Zakaria

## **Tasarım ve Sanat Yönetimi:**

Dr. Mohamed Hameed Elfaki

## **Dil Editörü:**

Dr. Matarl Abduallah Ishak

## **Çevirmen:**

Dr. Suleyman Nasir

# Afrika Stratejik Arařtırmalar Dergisi

عنوان المجلة :

ZİYA GÖKALP MAH SÜLEYMAN DEMİREL BULV. MALL OF ISTANBUL  
THE OFFICE BLOK NO:7E/109 BAŞAKŞEHİR/İSTANBUL

البريد الالكتروني :

info@asadcenter.org

Dergi Adresi:

ZİYA GÖKALP MAH SÜLEYMAN DEMİREL BULV. MALL OF ISTANBUL  
THE OFFICE BLOK NO:7E/109 BAŞAKŞEHİR/İSTANBUL

E-posta:

info@asadcenter.org



